خضير فليح الزيدي

أطلس عزران البغدادي

رواية مُصوّرة

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى 2015 م
عدد النسخ: 1000
عدد الصفحات: 244

الكتاب: أطلس عزران البغدادي
تأليف: خضير فليح الزيدي

الترقيم الدولي: 978-9933-9122-9-1

دار أفكار
للدراسات والنشر

سورية دمشق ص.ب3397

هاتف: 00963112258243

Email:afkar2011@gmail.com

دار ميزوبوتاميا
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد – شارع المتنبي
موبايل: 07905139941
mazin24@ymail.com
الإشراف العام: مازن لطيف
hamawendi@yahoo.com

ATHAR CENTER FOR DEVELOPMENT

أطلس عزران البغدادي

رواية مُصوّرة

خضير فليح الزيدي

قول في هواء:

كانوا جماعات من شمع ملون، تعثّروا كثيرا في صعودهم على سلّم الحب.. ومع أول إشراقة للشمس هبطوا ذائبين أنساقا متشابهة.. موغلين في اليأس، إنهم اليوم في طريق سلّم النزول، يهزجون بحماس منقطع النظير فوق سلّم الكراهية.. نحن هنا.

من حديث

"عزران البغدادي"

من: noora -1994@yahoo.com

إلى: m- ryadi wadi@yahoo.com

صباح الخير:

استاذ محمد رياض الوادي، أنا نورا.. حاولت الاتصال بك البارحة وصباح اليوم لأكثر من مرة على هاتفك النقّال، لكنه للأسف كان مغلقا. النغمة المقلقة تشير إلى (الرقم المطلوب مفصول عن الخدمة.. يرجى الإتصال بمركز خدمة العملاء107)، لم أتصل بخدمة العملاء، بصراحة أكره العملاء.. قلقتُ عليك كثيرا، ربما تعرضتَ الى حادثة اختطاف جديدة أو ... لا سامح الله، والآن ليس لي وسيلة أخرى للاتصال بك سوى الإيميل، لأخبرك أن المؤلف (صاحبك) اتصل بي لأكثر من مرة، لأرسل له برسائل فضائية كل ما جرى لي من حكايتي التي نشرت بعضها في مجلتكم، ماذا تقول أنت؟؟ هل أتعامل معه أم لا؟؟ أصبحت أخاف من الجميع هنا وخصوصا المؤلفين.. (ما عايزة فضائح) أرجوك أن لا تخبره بقلقي هذا.. وترشدني ماذا أفعل؟

انتظر ردّك على نار وبأقرب فرصة.. مع فائق التقدير والسلامة لك سيدي.. إن كنت موجودا طبعا.

نورا

من: m- ryadi wadi@yahoo.com

إلى: noora -1994@yahoo.com

مساء الخير:

عزيزتي نورا.. نعم أني موجود للأسف، وجودي مجرد صدفة طائشة. هاتفي سُرق من جيبي أثناء التسوّق من باب المعظم، اتصلتُ بالسارق لأكثر من مرة قبل إغلاقه نهائيا من هاتف أحد الأصدقاء، أخبرني باسترخاء تام أنه كان مضطرا إلى السرقة، قال لي بالحرف الواحد بعد أن بسملَ وحوقلَ: (من اضطر ليس بباغٍ) حسب قوله، على العموم ليست بمشكلة سأحرق الشريحة أو استردّها لاحقا، تعودت على الصدمات اليومية.. أشكرك على مشاعرك اتجاهي. أُخبرك أني تركت البلد قبل أيام، أنا الآن في الأردن وقدمت أوراقي لل (UN) طلبا للهجرة، انتهت جرعات الصبر التي كنت أمنّي النفس بها، هرمت كثيرا، وتبخرت في روح المقاومة التي كنت أتزوّد بها.. بصراحة نورا عزيزتي، لم أعد احتمل العراق بما فيه، البلد متخّم بتأريخ فضفاض وقد انتهت صلاحيته.. من المؤسف أقول لك أنه لا أمل للحياة فيه بالنسبة لي. "بعثي" هذه الكلمة المزعجة والهوية التي طُمغت بها حياتي في بغداد أينما ذهبت، أطلت لحيتي وترددت على الجامع ولعنت القومية في كتاباتي الصحفية، لكن من دون فائدة تذكر، فقررت الهجرة الى الأبد، لما تبقى لي من عمر شحيح..

أما بخصوص موضوع الرسائل.. نعم يا عزيزتي فقد اتفقت مع المؤلف في الأيام الأخيرة من سفري على مراسلتك عبر الإيميل.. وهي الطريقة الأفضل لكما.. هو بالطبع يرغب في المراسلة لمعرفة المزيد غير

المكتوب في أعداد المجلة.. فـ(المؤلفون دقداقيون) ينبشون ما توارى من الحكايات.. الرجل محل ثقتي ومستودع أسرار من الطراز الكلاسيكي وهو متحمّس جدا لحكايتك.. المؤلف يعيش في بغداد ويأبى مغادرتها، هو موجود ومرتاح في بطن الحوت، لم يكن وكيل أمن سابقا ولم يعش مخبرا سريا في الوقت الحالي، عاش طوال عمره شاهدا على الأحداث.

تحياتي لك على أن تكوني بخير ومتجاوزة لتلك الأزمة التي عصفت بحياتك، والبقية في حياتك، فالحياة رغم تعسفها معك، وإن بدت من ثقب الإبرة ضيقة جدا، ورغم شحّتها حتى بدت ككف شحاذ بخيل، فهناك من أمل في غيمة ومطر وأرض آمنة.. إنه الأمل يا نورا الغالية.. فضيلة النسيان وحدها ستعيدك الى الحياة متعافية من كل الجروح عزيزتي، أليس كذلك؟ محبتي.

محمد رياض الوادي

عاجل
BREAKING NEWS

تنويهات وثائقية عاجلة:

● إنه اليوم المشؤوم فعلا.. يوم أسود من أيام تشرين الثاني من عام 2012.. الذي توقفت فيه إلى الأبد مجلة نوارس البغدادية عن الصدور، اليوم المشؤوم الذي ظهر فيه السيد "عزران" ظهورا غائما قرب السيطرات في شوارع بغداد، اليوم نفسه الذي شاهد فيه شباب من محلّة الفضل الناقعة في القدم، طيور السطوح الواطئة تفزّ من أبراجها وتطير مذعورة من دون ريش.. قالوا: "سبحانه.. ليس كسوفا" قال لهم عزران: "لا تكبّروا"..

حطّت جوقة الطيور لبرهة فوق عمارة الضمان العالية في شارع الجمهورية القريب، ثم حامت مرة أخرى على بيوت محلة "عباس أفندي" لتواصل الطيران. ثم على بيوت آيلة أخرى من منطقة "قنبرعلي" في سماء سوق الدجاج. حاولت الهبوط من تعب على حافات محال الصفيح المتراصة بالقرب من شورجة الشاي.. بعدها ولّت هاربة الى سماوات بعيدة مذعورة خائفة، ترفع هياكل أجنحتها - منزوعة الريش - كأنها تتوسّل الدعاء للخالق الأعم..

لم تكن الحياة البغدادية واقفة على قرن ثور في تلك الساعة الشيطانية غير المباركة من ذلك اليوم، إنما كانت واقفة على شعرة واحدة فقط، مثلما توصف غالبا في معجم جمهرة أمثال البغداديين.. حياتهم مهدّدة بذوبان جبل الشمع الذي يغطّي أجسادهم كما توقّع لهم جرّاحهم - علي الوردي - في لمحاته.. الحياة يومها تحبو كسيحة على أرض ترابية مغطاة برماد لأيام من صيف فائت دبق وحامض، قال أحد

النازلين من سلم الكراهية:"الصيف الفائت كان حارقا خارقا كالعادة"، غالبا ما تكون الحياة فيه ملوثة بحزن فاقد الطعم".

"غالبا ما تكون الحياة فيه ملوثة، فاقدة للصلاحية" كما علّق عزران بذلك..

حلّ خريف تشرين الأسود على محلات بغداد الموحشة فجأة، معطيا اشارات طقسية مخيفة.. في ذلك اليوم الخريفي بالذات، السماء مُغطّاة بطبقة كثيفة من غبار رماد ثقيل يُفطر له الصائم، ارتدى الناس فيه الكمّامات الصحية، واكتفى بعضهم بوضع أكفهم على أنوفهم، ساترين أعينهم بنظارات سود.. استطاع الرماد أن يحوّل النوارس البيض الى غربان مبقّعة فوق نهر دجلة، كأنها خارجة للتو من فضاء منجم فحم عتيق.. فيما كلاب الزينة الأجنبية البيض في معارض سوق الغزل في هذا اليوم الخريفي، وقد تحولت بقدرة القادر الى كلاب عراقية رمادية تعوي بنبرة صوتية حادة وكئيبة، متّسخة وأضلاعها ناتئة، ذيولها كالفوارز الزائدة، تلوذ بهياكل أقفاصها المهشّمة على امتداد السوق المتعرج بحثا عن طمأنينة مؤقتة..

إنه يوم مشؤوم فعلا وتلك واحدة من علاماته.. الغيوم الخجولة العالية ولّت هاربة الى سماوات بعيدة كما جوقة الطيور، لم تنزل مطرا وتغسل به الأرض كما توقع الناس في أدعيتهم قبل صلواتهم وما بعدها، ولا الشمس بكل قساوة وهجها الحاد، تجرّأت بلحظة إنقاذ على شروق واضح..

المهم توقفت مجلة نوارس، حيث أجبرتها محكمة خاصة تُعرف بـ"محكمة النشر" على الإغلاق الفوري التام وتسريح العاملين، بل مصادرة وحجر على ممتلكات المجلة كافة، أثاث مكتبية وحواسيب مع "الحجز المؤقت" على سكرتير تحريرها محمد رياض الوادي.. الصحفي الطيب ذو النظارة الطبية السميكة (كعب استكان) والشعر الفضي

الأعكش والبنطلون الرصاصي يضع ميدالية سداسيّة الشكل مذّهبة الحواف لخارطة البلد اليتيمة على مكانٍ عالٍ فوق ثديه الأيسر، ثم أُعيد إطلاق سراحه بعد يومين فقط من السلطات المختصة، وتعهده الخطي بعدم معاودة المجلة للصدور مجددا، بعدما نشرَت بعددين متتاليين مادتين تحقيقيتين مصورتين عن قضية (عزران) التي شاعت بشكل عام بين عامة الناس في بغداد .. حيث استطلعتْ فيهما آراء البغداديين عن تلك الظاهرة الغريبة..

أصبحت القضية هي الشغل الشاغل في الأماكن العامة من الصباح حتى المساء، في مقاهٍ لمحلات مُسيّجة بالكونكريت الأصم، حجر صامت لا يتكلم ولا يحتج يحاصر مناطق بغداد ويكاد يخنقها .. يشبه بإنتصابه الأصنام المستنسخة لهُبل الصحراء يخيّم على بغداد العجوز وهي تعيش في آخر أيام خرفها المزمن.. كان الحديث مسهبا ومغمّسا بالدهشة، ولا بأس من نشر نتف منه:

ففي منطقة الشيخ عمر الصناعية، حيث خطّوا على أبواب المحال أو ألصقوا قطعا إعلانية صغيرة على زجاج السيارات (عزران لا دين له.. أو من عزران الى عزران.. العراق واحد .. أو عزران سنة وشيعة هذا البلد ما نبيعه).. كما في مناطق صناعية أو سكنية أخرى كمنطقة "كسرة وعطش" أو في "بوب الشام" أو بالقرب من "مجمع مشن" وصولا بطريقة الزحف المقدس الى منطقة "الزعفرانية" كما في "السيدية - البياع" في الصوب الآخر من بغداد في أيام رمادها .. شعارات وشائعات عن ظاهرة تشبه الكسوف، لكن من دون تكبير في الجوامع..

تحدث أصحاب"الستوتات" يدعمهم بمرويّات مشابهة سوّاق "الكيّات" للنقل العام، كذلك يساعدهم بذلك دوارة العتيق وجامعو قناني الكوكا كولا وعمال بناء ساحة الطيران وعمال النهار لساحة العروبة في

الكاظمية ومتقاعدو السنين الأخيرة وهم ينبشون في الصحف باحثين عن زيادة محتملة لرواتبهم المتدنية البائسة..

كان الحديث متواصلا على مدار اليوم لنسوة المحلات البغدادية الضارية في القدم، يتجمّعنَ ساعة غروب رمادية أمام أحد البيوت في أزقتهنَّ الضيقة.. يتحدثن بشهية مفتوحة في باب الشيخ في صوب الكرخ و"محلة الذهب" في العلاوي أو في محلة "سفينة الأعظمية" أو في أزقة "الكرادة والصالحية والمدينة".. كان الحديث انفعاليا عن شخصيته بشيء من الريبة والقلق والتوجّس المرتقب والقدسية المجروحة أحيانا.. لا حديث سوى الخوف من شبحه الذي خيّم على الفضاء البغدادي الملتبس أصلا بمشاكل جمة أخرى آنذاك.. نفخوا بصورته حتى صار واقعا ثقيلا.. لا أحد قال "ولله الحمد"، إنه شاهد صورته مرسومة لصورة الزعيم في القمر المكتمل.. وللخلاص منه كان ينصح في حديث الجوامع بطقطقة الحرمل والإكثار من الدعاء الباكي المُبكي.. فعلت ذلك عجائز الأحياء البغدادية الساخنة، كما علّق الرجال على عتبات البيوت قرونا كانت مدفونة في مقابر متروكة قرب النهضة، ثم وضعوا فوق أبواب بيوتهم أنيابا مقوّسة لحيوانات مفترسة نافقة.. وشدّ الشباب على زنودهم حروز الحفظ..

إنتشر الحديث عنه كانتشار فيديو فاضح لمطربة حسناء صعبة المنال.. كأنه ينتقل عبر البلوتوث والفيس بوك واليوتيوب..

صورة متخيلة أولى له

شخص يدعى عزران يتنقّل في شوارع بغداد بكل حرية أمام أعين السيطرات العسكرية المزدانة كالنخل المزروع في الجزرات عنوة.. لا أحد يستطيع الإمساك به.. كالزئبق يزوغ عن الأعين برمشة جفن.. لم يُظهر شريط الفيديو سوى شخصية شبحية فقط، يظهر شكله من الخلف بين حشد منيف من الناس، ففي تجمع عشوائي بعد انفجار مفخخة مباشرة يرفع يده اليمنى المباركة كأنه شبح "الرئيس" المنصرم في لحظة زهو "فاشوشية".. لم تزل بعد "هورنات" السيارات المحروقة تعزف سيمفونية الرعب المتواصلة جراء عصف التفجير.. وبقايا الأجساد المتجمّرة تتحمّص على نار التبليط المستعرة.. تنتشر أشلاء أخرى مبتورة كعلامات دلالة فوق أسطح البنايات العالية لفنادق شارع المشجّر في البتاوين، أما على الأرض فثمة سكراب لسيارات محروقة.. ثمة أوراق لمعاملات إدارية لم تنجز بعد تتطاير هنا وهناك.. أُدحضت كل الآراء التي تحدثت عنه قائلة هو نفسه "عادل طيارة" أحد شقاوات منطقة الفضل الزئبقي الذي يفلت من كمائن الشرطة بيسر وشيطنة قصوى.. ومثلما تلاشت الحكاية التي قالت إنه هو نفسه "أبو درع" الذي ظهر في مقطع فيديو مشكوك فيه.. مطعون بمصداقيته وهو يروي في المقطع ظمأ فرسه بالكوكا كولا وسط شارع عام من شوارع المدينة.. لم يكن المقطع قاطعَ الافصاح وداحضا للاشاعات والتقوّلات..

طارت بسلام كل زرازير شارع السعدون من دون ريش يُذكر وحطّت بأماكن متفرقة في التخوم. غير أن عزران يشمّ بشغف وشهوة جائع رائحة الأجساد المشوية المحمّصة للزرازير ويزفر بنشوة قصوى رائحتها من فمه.. كان يصلي مع الجمع المؤمن صلاة الخائفين.. يبكي مع المعزين ويلطم قبلهم..

استطاع شاب عشريني من تصويره بهاتفه الكلاكسي من الخلف حتى فاحت رائحة شبحية في كل بقعة من أرض بغداد، وعبر موقع اليوتيوب لم تبن الحقيقة كاملة..

قيل ضمن ما قيل في المقطع المصّور له، كانت على رأسه هالة صفراء، يرتدي قميصا ورديا وربطة عنق رمّانية والبنطلون الغامق، لم تفصح اللقطات عن كنهة لونه ومعطفا أخضر كمعطف الرئيس حامد كرزاي.. شاهده الرجل الكرخي بالعين المجردة لأيام معدودات يقف فوق جسر الشهداء، وأكّد مشاهدته للمرة الأولى أحد متسولي الجسر.. قال إنه كان يحدّق في النوارس اللاعبة بالقرب من صفحة نهر دجلة، ينتظر شخصا ما هناك لعدة أيام، أعتقد – اللّه لايكذبّني – هو المرافق الشخصي للرئيس السابق، ثم اختفى وذاب بين الجموع بعد حضور متأخر لمفرزة حكومية لهذا الغرض..

على جسر الشهداء العتيد، ثمة ريح تشرينية باردة ممزوجة برائحة زفرة أسماك الشوّاكة تضرب على وجهه وتعبث بربطة عنقه الرمانية.. يطقطق بمسبحته "السندلوسية"، يدورها نحو جهة الكرخ مرة وجهة الرصافة مرة أخرى.. ينزل من الجسر صوب الرصافة مسرعا ويرمي في طريقه عملة ورقية من فئة "ألف دينار" ممزّقة على رجل متسول عجوز يسند ظهره الى مشبّك الجسر الأخضر، المتسوّل يضع قطعة كارتون فارغ ل"شبس" محلي فوق رأسه لحمايته من طبقات الرماد التي ما انفكت تنزل الى الأرض طيلة هذا النهار المشؤوم.. قال المتسول العجوز:"إنه مضى نحو عمق الشورجة بعد أن تجاوز سيطرة الجسر وقد شاهدته بعيني التي يأكلها الدود.. عمي بكيفكم تصدّقون أو لا"..

إنه مضى نحو سوق الشورجة وضاع بين دهاليزها الملتوية كأمعاء خروف مطعون من الخاصرة.. كأنه يبحث عن شخص ما.. كان يتلفت كثيرا خلفه.. ينتهي مقطع فيديو اليوتيوب دون الإفصاح الكامل عن وجهه وصورته التي تمنّي الناس الإمعان فيها لتفادي خطره..

لم تنفع النذور ولا الأدعية المبكية التوسليّة، ولا صلوات الخوف في جوامع كانت مرمّمة عن آخر تفجير مزدوج لأنتحاريين منغمسين، لا

خلاص في الوقت الحاضر من ضيم عظيم حلّ على عموم ربوع عاصمتهم - مثلما روته الجوامع في مساءات متتالية..

برغم كل التعتيم الاعلامي السائد في الفضائيات المحلية عن الشخص الظاهرة والمحرّك الأساس لكل ما يحدث للناس هنا، لكن حديث القيل والقال دائر بين تجمعات الناس حتى وصل لأحلامهم وأثار الشك في قلوب الرجال والغيرة في قلوب النسوة، وللأسف لم يصل الى اهتمام ملحوظ من جهات القرار.

● غير أن القيل والقال العراقي يعجن حديثه بطريقة أخرى عندما يدور عن إغلاق المجلة: "إن المجلة أُغلقت لأسباب أخرى.. بعيدة كل البعد عن "عزران أفندي".. فالقيل والقال المجاني هو"أكثر من النخيل وأقل من حوادث التفجير".. كل حوادث بغداد اليومية تقريبا أخذت مسارات متناقضة بفعل الروي اليومي في مقاهي الأرصفة.. الأحداث التي جرت هي أصلا مذكورة بنتف من أصل تفاصيلها وليس كلها في مجموعة قصص ضمن العدد (1) والأعداد التسعة اللاحقة للمجلة الفصلية التي صدرت بعشرة أعداد في بغداد من عام 2010 وحتى ساعة توقفها في عام 2012..

● أثارت المجلة اهتمامي الشخصي رغم كل الشبهات التي دارت حولها بين مؤيد لتحرر الثقافة العراقية من طواطمها العنقودية، وبين معارض سلبي، ينظرُ الى المجلة بمنظار العمالة والجاسوسية.. غدت حديث شباب الجامعات وخريجيها العاطلين ومراهقي المدارس الثانوية من "جماعة الإيمو" أو المدخنين منهم والمكبسلين والمتسربين أصلا خارج أسيجة مدارسهم..

أغرب حكاية حب بغدادية رصدتها المجلة، حدثت تحديدا ما بعد أعوام خيبة التغيير العراقية.. الأغرب لأن الحب في بغداد أصبح من

المحرمات وحكاية البطرانين كما تدعي المجلة.. بالنسبة لي تيقّنت من وقوف محرر محترف خلف هذه المجلة، إذ يقف خلف باب الغرائب صحفي عتيد له دراية في علم النفس ودربة عالية بفنون الكتابة الاحترافية الصحفية المشوّقة.. محمد رياض الوادي يعرف في الوسط الصحفي بأنه "بعثي عتيد وقديم"، يعرف الرجل كيف يدير دفّة الحكايات الغريبة والحفاظ على خميرة الحكاية لأعداد لاحقة، مما زاد من طلب المجلة في الأسواق وأكشاك البيع المباشر للقرطاسية والصحف وسوق الاستنساخ في شارع المتنبي، إذ تبتاع المجلة بعض شرائح متنوعة لمتابعة حلقات قصة الحب البغدادية الغريبة، لأنها جاءت في زمن العبوات المغناطيسية اللاصقة.. فللحب مغناطيسيّته الجاذبة، مثلما للعبوة اللاصقة مغناطيسيتها الجاذبة لصيد أهداف الغفلة..

● أغلقت المجلة بابها وتوارت كقريناتها وتسرّح عاملوها، فلا ديمومة حقيقية هنا ولا تقاليد معرفية أو ثقافية ولا هم يحزنون.. الغريب إنها أغلقت باب بنايتها وموقعها الالكتروني، لكن لم تنته قصة الحب الغريبة التي بدأت المجلة بتحرير مدوناتها وسيرة أحداثها.. حتى عزران فقد بقي شاخصا بذاكرة الناس وغدا محركا فاعلا لكل تحركات الناس، كان مهتما بقصة الشابين ومصير قصة حبهما الحزينة.. بعض القراء يتسائلون يوميا بعد قراءة الحلقات المتسلسلة عن مصير "سامر وحبيبته نورا" .. إنه زمن اللواصق كما عبّر عنه السيد محمد رياض الوادي صاحب القلم الرشيق في "نمنمة" قصة الحب من دون أن تمهله المجلة وقدرها المحتوم من وضع كلمة النهاية لفصولها المؤلمة..

بودي اليوم وضع النهاية الملائمة لأبطالها، فهو أفضل عندي من تركهم هكذا يهيمون في مضمار الخراب العجيب، بانتظار العدم العراقي المميّز.. تعلّق الشخوص بخيوط كالدمى في مخازن البيع الكبيرة،

يتـأرجحون طـوال الوقـت وأقـدامهم لا تطـأ الأرض وهامـاتهم لا تصـل السماء.. هو "العدم العراقي" إذن دون نقاش حوله..

تُعنى المجلة المذكورة بموضوعات عراقية متنوعة منها ما يخص غرائب القصص الاجتماعية وبضمنها قصة حُب فريدة من نوعها، حيث حدثت في زمن حرب الطوائف وأثارت جدلا متواصلا أيضا.. موضوعات أخرى تتعلق بعلم نفس الأقليات العراقية، كذلك تحتوي على رصد علمي عن الاضطرابات النفسية العامة والسلوكيات النافرة للأفراد المهجّرين قسرا منهم أو أولئك المرعوبين والمترقبين للقادم المخيف أو حتى البقية الذائبة بشخوص تنكّرية..

وبعكس الأحداث وشخوصها التي أوردتها في الرواية، فهي مأخوذة بتصرف من باب (غرائب الحكايات العراقية) التي نشرتها المجلة المذكورة، لم تكن حلقاتها مُتسلّسلة بتلك الطريقة التي ابتدعتُ بعضها أنا بمعرفتي الخاصة بعد ورود رسائل البنت المسكينة نورا لي.. إنما تصرّفتُ بها لتروق لعزران، وليكن طعمها مستساغا، كطبخة طازجة خرجت من يد طبّاخ بدين ومحترف يجيد غواية الجائع بالنكهة والطعم للقمة سائغة.. قصص الحب العراقي وهي تدور تحت فضاء الرعب والعنف الدموي، حقا هي قصص مثيرة وغرائبية في مجرى أحداثها، لكن ثمة أمور أخرى بدت غير واقعية للوهلة الأولى مثلما حصل الى ثنائي حكايتنا.. ثنائي قصة الحب حيث تغذّيا من ضرع الشوارع الموحشة والمشبّعة برائحة البارود والرماد.. قصة الحب التي اندحرت تحت إيقاع قرقعة السلاح وصليل السيوف والكواتم.. طعم حكاية الحب المبثوثة في المجلة كان باهتا رغم درامية أحداثها الواقعية.. ما حفّزني لإدراجها ضمن متن الرواية.. فواقعيتها من النوع الحامضي.. رغم امكانية تكرارها في كل زمان ومكان.. "الحامضية هنا مستلّة بأريحية

مريحة من كتاب كيمياء قديم" .. أي قدرتها على التفاعل السلبي مع عناصر قاعدية المنحى..

المهم حدثت هذه القصة في بغداد، بين شابين حاولا أن يمارسا لعبة الحياة ككل البشر.. حاولا ايقاظ قمر الليل من غفوته في ساعة "وجه الصبح" ليشهد على حبهما .. ثم عاشا ردحا من الزمن تحت خيمة متهرئة انتعشت داخلها حكاية حبهما، مثل أية نبتة غريبة أينعت فوق قمة بركان مضطرم يمور بنيران جحيمية مرعبة..

● ففي صبيحة يوم 5/ 11/ 2012 وتحديدا في الساعة التاسعة والنصف من ذلك اليوم المشؤوم، ظهرت كلمة عاجل.. عاجل .. عاجل.. في شريط أحمر على عرض الشاشة المسطّحة للتلفاز.. الكلمة تظهر وتختفي دلالة على خطورة هذا العاجل.. تناولته بعض القنوات الفضائية التي تُعنى بالشأن العراقي المحلّي.. قال صاحب كشك "شاي بالهيل" السفري والقريب من موقع الانفجار، وهو بغدادي أحمر وبدين منزوعا من جلده:

- يا ستّار ياحافظ من الصبح.. مو والله مليّنه ما يزي عاد.. أدري مكش مكان غير بغداد المصخمة.. اشطلعت هاي.. قابل ماخذين مقاولة حروب وأحنه مندري؟.

وماهي إلا لحظة جنون عراقية مرّت حتى بانت تفاصيل الحدث العاجل من مراسل احدى الفضائيات وهو ينقل التفاصيل نقلا مباشرا: "ننتقل وإياكم أخوتي المشاهدين بنقل مباشر من شارع السعدون، في العاصمة بغداد".. تحدّث المراسل ذو الوجه الشاحب على الهواء مباشرة، قال:

- أعزائي.. أقف الآن في قلب الحدث العراقي الملتهب.. سلسلة تفجيرات موجعة تضرب خاصرة بغداد في هذا الصباح الكئيب..

انفجرت سيارة مفخخة الآن في شارع السعدون ببغداد .. السيارة المُفجّرة كانت متوقفة خلفي في هذا الشارع كما ترون.. وحسب معطيات الشارع والمتروكات المنظورة منها كانت من نوع "سايبا" تكسي، وفي عمق الصورة من بعيد يظهر لكم سياج "معبد مئير طويق" معبد الطائفة الموسوية اليهودية العراقية، وهو مهجور ومغلق منذ فترة طويلة.. وكما تشاهدون هناك بعض الطيور وقد بنت أعشاشها على هامته المتآكلة، رغم أنها طيور مفزوعة أصلا وقد انتزع العصف المدوي ريشها وجعلها أشبه بدمى محنّطة فوق هامة المعبد المُغلق، الغريب سادتي أنها طارت من دون ريش يغطّي أجنحتها، كطيران الفيلة في فيلم كارتوني وباتجاهات شتى.. إنهار بعض من سياج المعبد بفعل شدة الانفجار، ألو بلال تسمعني؟؟

● أخيرا وليس آخرا.. حضَر صاحب الشأن "عزران" لم يكن ملثّما كالعادة، من دون أن يتنبّه الجميع لوجوده الجسدي سوى الشاب العشريني الذي التقط له مقطع الفيديو القصير، حتى أن عامل الأطفاء قد أحسّ بيد ثقيلة تسحب "هوز" الماء من يده وتحرف تدفق رشاشه نحو تجمعات الناس الفضوليين والمتجمعين على جانبي الشارع.. الجمهور انشغل بفتح كاميرات هواتفه لتوثيق الحدث، للفوز بلحظة بث في الفيسبوك أو اليوتيوب.. ما هي الا لحظات عسيرة ومشوّشة حتى يتنحّى جانبا ليرصد المشهد كاملا ويحلله.على وفق منهجه الأرضي. أخيرا يرفع تقريره عن حالة الدمار ويجرد ما تبقى من الأحياء في قائمة بيده .. القائمة هي عبارة عن ورقة لكروس سكائر مارلبورو تُعزل بخطوط الشطب الأفقية الأحياء عن الأموت.. المصيبة كانت الناس دائخة، فلا أحد يعرف بالضبط لمن يرفع عزران تقاريره لغاية ساعة التفجير الأخيرة..

● إنه في الساعة الحادية عشر والنصف من ضحى ذلك اليوم 11/5 لحادثة التفجير أي بعد مرور ساعتين تقريبا، ومرور شهر على غلق مجلة نوارس، حيث انتشر خبر انفجار المفخخة كإنتشار النار في الهشيم.. إذ نقلت مواقع عالمية وعربية هذا الحادث بشيء من الاهتمام الكبير على غير عادتها .. في بغداد حيث تتكرر حالات التفجير على مدى ساعات اليوم الواحد بحيث أصبح الأمر مألوفا أكثر من توالي الليل والنهار على بغداد وأكثر من تداول لعبة "السلام عليكم" ورديفتها "الله بالخير" الايقونة العراقية الفارغة..

● نقل موقع "جيمينا" - موقع خاص باليهود العراقيين - على الانترنيت الخبر على النحو التالي: ((انفجار سيارة مفخخة في بغداد .. على مقربة من معبد "مئير طويق" المعبد الشاخص حتى هذه الساعة في حي السعدون على مقربة من شارع المدرسة الأوسية)).. ثم ذُيل الخبر بصلاة ودعاء محبة توراتية على النحو التالي: " **يالله يا ربنا. يا ملك الكون. يامن قدّستنا بوصاياك أوصيتنا بضيائك المُشع . يارب أرضنا اجعلها مثمرة. يا رب السماء اجعلها آمنة**"..

MS 577
Syriac Serta book script. Mt. Sinai, Egypt. ca. 12th c.

● في اليوم نفسه وعند الساعة التاسعة ليلا بالضبط أطلّ علينا الناطق الرسمي باسم التفجيرات وتحديدا على قناة الحرة – عراق ليوجز لنا ملخص ما حدث في الصباح بعد إنجلاء الغبرة من الرماد. قال:

- ترجّل صاحب سيارة التكسي.. تركها بجنب الرصيف ما بين موقع المدرسة الأوسية ومعبد مئير طويق. لا خسائر في الأرواح.. سوى خسائر مادية بسيطة في البنايات.. أكذبُ كل ما جاءت به وسائل الإعلام المغرضة.. حيث لم ترصد وسائل استخباراتنا أي وجود حقيقي لشخصية عزران في ذلك الشارع أو قرب الحادث.. أدلى رجل سكير يغسل سيارات الأجرة في مربع الحادث بشهادته لراديو دجلة:

- عمي بصراحة ودون لف ودوران تمشّى رجل السائبة الى ساحة (فولكات باب المعظم) التي يسمونها سابقا ساحة النصر، بالقرب من مختبر "منذر مصطفى" للتحليلات المرضية، ثم اختفى رأسا.. فص ملح وذاب مثل "طنطل القصب.." ..الباقي معروف لكم مثل كل مرة.. أهي باقلاء جديدة؟ لم يفهم البعض بما قصده سكير الساحة ب "الباقلاء الجديدة" لغاية إذاعة اللقاء عبر الأثير.

لكن الحقيقة يكملها راوٍ آخر كان يشاهد ما حدث من كوّة في مراحيض عامة في ساحة النصر تطّل على شارع الأوسية.. يقول رجل المراحيض:

- كنت منهيا للتّو عملية كبرى، وساحبا لباسي الى مكانه المعتاد.. نظرت من شباك مفرغة الهواء كالعادة.. شاهدتُ رجل السائبة وهو يسحب هاتفه المحمول "غير المعّرف" من جيب دشداشته الرمادية، ثم أظهر الرقم المُعرّف مصوبا نحو هاتف آخر كان مرزوما على عبوتين كبيرتين محشورتين في الباب الخلفي للسيارة "السائبة".. في لحظة

سريعة أمّن الاتصال بالضغط على الرقم، ما هي إلا ثوانٍ حتى دوّى في المكان صوت رعد خرافي وخر بنطلوني الى أسفل قدميّ.. اهتزت له أركان المراحيض العامة وتناثر خراء السابلة على ملابسي.

قيل أيضا .. في اللحظة الخرافية هذه، فزّ بها عزران من صوت الانفجار وتراجع عضوه ليندحر تماما عن التقدم والانتصاب ليحرر الأرض الحرام..

● في لقاء سريع أمام الكاميرا .. تحدّث آخر من الناجين، وهو من سواق التكسي، كان الرجل مصابا بفوبيا ما بعد الانفجار، يضحك بهستيريا اللحظة العراقية واصفا لحظة الانفجار التي مزّقت قميصه وقشرّت بنطاله عن جلده الأسمر ونزعت زغب ريشه مستدركا القول:

- يا أخي.. والله كأنه صوت خزان ماء حديد فارغ.. بوووووب يُضرَب بحجر من السماء.. قُلّ طير أبابيل هاجمنا من السماء.. معه حجارة من سجّيل تمطر علينا ككرات الحديد في ساحة النصر هذه..

● كان معظم الضحايا هم من المارة بصف الحائط، هكذا أكدت الروايات الأولية.. كذلك كان من ضمن الضحايا أحد العاملين في مجلة نوارس ويدعى "أنور مراد بطاط" جاء ليتفقد وضع المجلة، وهو من بقايا الطائفة اليهودية في بغداد .. لم يكن آخر العنقود كما تقول الروايات الأولية.. "يا رب السماء اجعل بغدادنا آمنة .. الرحمة له يارب".. بموته، على وفق الروايات يقّل عددهم حتى أصبحوا أقل من عدد أصابع اليد الواحدة.. قال سائق الفولكا حليق اللحية:

- تعال نحسبها حساب عرب.. أرجع مال الوالد .. أعد مالك الى جيبك.. اقذف الباقي في عرض النهر.. ماذا يتبقى لنا؟ ولا شيء من أصابع اليد .. نفس قصة موضوع طيور شجرة الرمان التسعة في كتاب

القراءة الخلدونية للصف الثاني.. عندما سمعت صوت الاطلاقة.. وقع منها ثلاثة.. كم تبقى منها؟ لا شيء.. طارت البقية من دون ريش يذكر في أصقاع الله البعيدة:

- عمي بصراحة وبتلخيص مفيد هناك من يتلاعب في قدرنا .عزران أو غيره ما أعرف.. التاريخ ربما سيذكره أو الامريكان.. بلاء والله بلاء اسود مخطط بالرماد..

● أما أنا داعيكم كمؤلف فأمر التفجير هذا جعلني أذهب في اليوم التالي، باحثا عن أعداد مفقودة لديّ من مجلة نوارس لمعرفة الدافع للتفجير بعدما تبيّنت النيّة المبيّتة ليلا من خلال الإعلام الراصد للحدث، "إن التفجير كان مخصّصا لردم البيت الذي استأجرته إدارة المجلة للإدارة والتنضيد والتحرير والحسابات والتصحيح اللغوي، لم يكن المقصود بالتفجير"معبد مئير طويق" كما شيع في بادئ الأمر.. فالمفخخة رُكنت بالقرب من باب بناية المجلة مباشرة ثم حدث الانفجار..

● وصلتُ الى ساحة "فولكات النصر".. كانت الفوضى ضاربة بكل أرجاء الساحة.. سيارات التكسي المتعبة تنقل (العبرية) من ساحة النصر عبر الشورجة الى باب المعظّم" الواقعة في قلب شارع السعدون"، يتوسطها كشك لبيع الدوريات والجرائد المتنوعة.. وهو ملاصق لكشك آخر كان مغلقا منذ عام 2005 لبيع الزهور وباقات الورد الطبيعي.. كانت تديره فتاة خيالية بأناقة بغدادية زائلة تدعى "نهلة جرجيس" هاجرت بعدما أصابها دخان مفخخات الساحة بحساسية فقدان شم عطور الزهور.. بقي الكشك المزجج محافظا على بعض الأنواع المحنّطة من زهور بلاستيكية مغبّرة وقد بنت العناكب بيوتها الواهنة على باب

جحره المزجج.. أما صاحب كشك الصحف والدوريات والإصدارات الحديثة للمجلات ودواوين الشعر الشعبي ورسائل الموبايل، رجل بدين كبير السن ضعيف السمع، حاولتُ التعامل معه بروح الفكاهة بالإشارة والصياح ليسّهل ليّ إخراج الأعداد المفقودة من المجلة المخبأة داخل الكشك بعدما أنقدته ثمنها مضاعفا..

ما الذي احتوته المجلة من موضوعات حسّاسة للوضع المتشّنج؟؟ مما أثارت حفيظة الجهة المسلّحة لتفجيرها وردمها دفعة واحدة.. سنتبيّن الأمر لاحقا بشيء من التفصيل والدقة..

● نشرت المجلة على طريقة "كوبي بست" من موقع "القيل والقال" وكشف المستور ((ويكيليكس)) هذا المقطع .. تحدث المحللون عشيّة التفجير عن الخبر المنشور في العدد التاسع من المجلة عن بقايا الطائفة اليهودية في العراق.. يعتقد أنه كان سببا في ما حدث للرجل الطيب "أنور مراد بطاط" الذي راح ضحية التفجير..

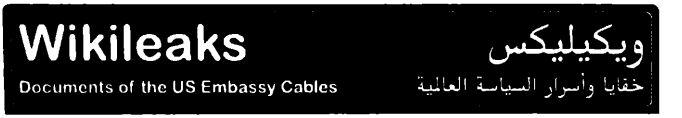

ويكيليكس بالعربي خفايا وأسرار السياسة العالمية 2010 - 2011

● نشر موقع ويكيليكس برقية دبلوماسية أميركية جاء فيها أن عدد اليهود العراقيين في بغداد أصبح ثمانية فقط بنهاية العام 2009.

فقد قالت امرأة كانت تتحدث مع موظف بالسفارة الأميركية في أكتوبر 2009 إنه: " لم يعد هناك سوى ثمانية يهود عراقيين يعيشون في بغداد"، المرأة هي واحدة منهم. كما جاء في البرقية التي سرّبها الموقع " إن عدد اليهود كانوا عشرين يهودياً في عام 2003، لكن هذا العدد انخفض نتيجة تقدّم السن لمعظم المتبقين بالهجرة والعنف الطائفي"، ثم أضافت البرقية أن المرأة التي تعمل طبيبة وهي بين آخر من تبقى من يهود العراق." قالت إن أمها توفيت وزوجها خطفه المتطرفون الإسلاميون وقتلوه على الأرجح، معربة عن رغبتها في الهجرة. ذكرت إنه تم إغلاق الكنيس اليهودي والمدافن اليهودية في بغداد منذ العام 2004، بينما تم تحويل كنيس آخر في البصرة إلى مخزن للفحم وآخر في الديوانية الى ورشة نجارة. وبسؤالها عن إمكانية عودة اليهود العراقيين من الخارج أو على الأقل للزيارة أعربت المرأة "عن تشاؤمها لأن مستوى معاداة السامية في المجتمع العراقي سيحول دون حدوث ذلك في المستقبل المنظور.. ذُكر أن العراق كان يضم زهاء 150 ألف يهودي قبل قيام "إسرائيل" العام 1948 غير أن يهود العراق الذين تعود جذورهم فيه إلى

25 قرناً نزحوا نزوحاً جماعياً(الهجرة رقم واحد) ما بين العامين 1948 و1951 مع اتساع نطاق أعمال العنف ضدهم في المنطقة بأسرها. نحن مشروع نزوح دائم..

● بعد التقصي الميداني عن وثيقة (Wikileaks) تبيّن زيف الادعاء وعدم دقّة معلومات الوثيقة.. فالنتائج المستخلصة للجهد الإنساني للعاملين في منظمة "أخوان الإنسانية" أثبتت عكس ما جاءت به الوثيقة.. اليكم التفاصيل:

● في حوار أجراه أحد محرري المجلة والأقليات مع الأستاذ الدكتور "نهاد القاضي" الأمين العام لهيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب في العراق قال: لا توجد لدى الأمانة العامة أية إحصائية دقيقة سواء أكانت ميدانية أو بيانية عن الأعداد المتبقية من يهود العراق ومندائييه وبهائييه، ذلك بفعل عامل التخفي والانزواء والتنكر الظاهري.. حاولنا في المؤتمر التأسيسي الأول المنعقد في السليمانية ربيع2010، عبر ورشات عمل المؤتمرين والمندوبين من المنظمات الإنسانية غير الحكومية من توضيح هذا الالتباس ونشره.. وما نشره موقع ويكيلكس ما هو إلاّ محض تقرير من دون وثيقة دالة..انتهى تصريح الدكتور نهاد القاضي.. فيما استطاع من ناب عن عزران من الوثوب الى منصة الإدلاء بالرأي واصفا يهود العراق ببقايا شراذم زرعهم الموساد الإسرائيلي للتجسس على العراق.. قام أحد المداخلين المدعوين ليفجّر قنبلة في حديثه بوجوه المؤتَمرين قائلا: " عزران رجل وطني أكثر من الوطنيين أنفسهم، لم يك يوما طائفيا قط".. فجّر قنبلته وغادر من الباب الخلفي من قاعة المؤتمر دون أن يصرح لوكالات الإعلام والفضائيات عن زوبعته الخبرية تلك.. ما أثار حفيظة بعض الضيوف الأجانب في المؤتمر..

● مجلة نوارس كانت مهتمة بشؤون الأقليات وأكثر تحفظا من غيرها من ألبت بشأن أعداد المتبقين هنا في قيد الحياة. ففي باب غرائب القصص كانت تتحفّظ على أمور كثيرة أخرى.. حيث تؤكد دائما على حفظ الأسرار الشخصية وذات الإثارة المباشرة.. (تتحفّظ إدارة المجلة على الصور الشخصية لأبطال قصة الحب الغرائبية، وقد تعمدّت هيئة التحرير على لصق شريط أسود على أعين سامر ونورا بطلي القصة، للضرورة أحكام كما يشاع هنا.. ولعدم شيوع سر العائلتين والحفاظ على بقية الأرواح.. هامش هيئة التحرير)..

● في أثناء المراجعة لمقاطعة تدفق المعلومات الواردة، تم العثور على تناقض حاد بين سيل المعلومات التي أوفدتها القنوات الفضائية عن اسم الشخص اليهودي الذي قُتل في انفجار مجلة نوارس.. حيث ورد اسمه"أنور مراد بطاط".. أما المعلومات التي أوردتها أعداد مجلة نوارس فهي للمصحح اللغوي ويدعى "عامر موسى يوسف" الذي وافته المنية في شارع من شوارع بغداد ولم يقتل في حادث التفجير المذكور.. بالنسبة لي أرجح الرواية الثانية.. ولحل هذا الأشكال سنعتمد قائمة عزران أولا والمعلومات التي يوردها لنا السيد "أركان الموسوي" المدير التنفيذي لمنظمة أخوان الإنسانية أو إحصائية سكرتير التحرير للمجلة لاستبيان الحقيقة.. إذ يقول بالحرف الواحد :

● .. أرجّح بهذا الصدد النظرية الثانية عن موت السيد "عامر موسى يوسف" الذي تخفّى تحت هذا الاسم، عندما أبقى اسمه السري "أليس رغيد حزام" في جيب لباسه الداخلي.. أما الشخص الذي وافته المنية في الانفجار فهو حارس المعبد وهو رجل من دون هوية -لا دين له- يحرس المعبد منذ زمن طويل.. ينام في غرفة مستقلة داخله ينتظر

حتفه المُتسارع، لم يكن ساعتها داخل بناية المجلة كما جاء في تقرير بلال مراسل قناة العاجل المذكور، إنما كان الرجل مسترخيا على كرسي أمام باب معبد "مئير طويق" غادر المكان قبل التفجير بلحظة صدفة حياة تصادفنا كثيرا إزاء فعل الموت اليومي، يقال عادة عن الناجين من موت المفخخات (روح فلّتتْ)، لكن الحقيقة سجلتها دائرة الطب العدلي بموت اليهودي ما قبل الأخير في بغداد.. "شظية عابرة حلّت ضيفة على رأسه واصطادته".. أورد هذا فقط من باب التنويهات الوثائقية العاجلة وإزالة اللبس، من باب الموضوعية والدقة في نقل الأخبار والحوادث.. مع التحيات وفائق التقدير نأسف لعدم التغريد بلغة شعرية معتمدين على لغة التقارير البرقية تتوائم مع التويهات العاجلة.. إقتضى التويه لذلك..

رسالة فضائية أولى

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير..

ربما أكون مترددة في رسالتي الأولى، للحديث عما يجول في رأسي من أفكار.. هي أفكار هائمة عن أحداث جرت لي ومحتارة الآن كيف أُلملمها وأقدمها لك على طبق مُحلّى ومزخرف في حواشيه بدموع بنت بغدادية سيدي الكريم؟

المهم هي أحداث جرت لي شخصيا، جعلتني في وضع لا أحسد عليه. عشت الأحداث ساعة بساعة ولكني لا أستطيع أن أرويها مثلما عشتها.. بعدما قررت الامتثال لطلبك والكتابة عما جرى لي.. شجّعني بالكتابة اليك السيد سكرتير تحرير مجلة نوارس محمد رياض الوادي، حيث بعث برسالة لي يحثّني على كتابة قصتي للمؤلف..

سيدي أرجو المعذرة، أنا لا أستطيع الحديث بشكل متسلسل عما جرى لي.. تقع عليك مهمة ترتيب الأحداث حيث سارت الأمور الى نهايتها المأساوية.. إن كتابة ما جرى ليس بطبيعة الحال مثلما عشتها بكل ساعاتها القلقة وأيامها الثقيلة ثقل الجبال. فالحديث عن الوقائع أسهل بكثير مما جرى لي فعليا.. كيف يكون الحديث عن الهواجس وأيام القلق، أو ربما عسل اللحظات الحلوة - المرة؟ كل الشهقات المتكسرة في صدري، كل لحظات القلق والخوف ورجفة البدن وأصطكاك الأسنان.. مستحيل أن أصف ما جرى لي بمثل ما وقع فعليا.

في البدء كانت علاقة حب عادية مثل أي علاقة في أي مكان، كأية علاقة عاطفية بين أي شاب وشابة يعملون في مكان عمل مشترك..

علاقة حب بسيطة ليس فيها ما يلفت النظر.. سامر شاب وسيم ذو صفات كثيرة تتمنّاها البنت في فارس أحلامها.. لم يخطط هو أيضا لهذه العلاقة التي تطورت بسرعة مذهلة وأنا كذلك.. لكنها مشيئة القدر التي أرادت لنا الارتباط بعلاقة حب كهذه العلاقة..

منذُ الأيام الأولى لعلاقتنا كنت أضع في حسابي هذا الشرخ الحاصل والعائق الذي سيحول من الاستمرار وتتويج علاقتنا بالزواج.. أنا بنت عراقية ولدتُ في بغداد فوجدت نفسها من مذهب مخالف لمذهب سامر.. لم ننتبه كلانا الى ذلك.. بصراحة شديدة أنا بنت سنيّة من منطقة الغزالية شمال بغداد، أبي كان ضابطا برتبة عميد في لواء الحرس الخاص، وبعد أن حُلّ الجيش العراقي السابق هرب الى سوريا خوفا من الملاحقة أو القتل وهو يشطب يوميا أحد الضباط السابقين من قائمة الأصدقاء، لم يستقر في الغربة كثيرا، حيث تعرّض الى مضايقات من جهات أخرى تدفعه بالاتجاه المعاكس.. ثم عاد من دمشق مضطرا بعد خرابها وجلس في البيت.. سجنَ نفسه داخل جدرانه، رغم أنه حاول مرارا العودة للخدمة في الجيش لكن طلبه يرفض لأسباب مجهولة.. حتى نضجت لديه العقدة الوطنية المدمّرة..

سامر شاب من منطقة شارع فلسطين الشيعية جنوب شرق بغداد.. لم يختر ذلك بمشيئته، مثلما أنا سنيّة ولم أختر طائفتي بمحض إرادتي، القدر وحده هو الذي اختار لنا طائفتين متعاكستين لا تلتقيان في زمن احتراب الطوائف.. ورغم كل الشعارات المرفوعة في التظاهرات والتجمعات الحماسية، أو تلك المتداولة في المؤتمرات الرسمية التي تحاول التقريب بين المذاهب. كانت أكذوبة كبرى راح ضحيتها الكثيرون ممن صدّقها.. الفضاء ملبد بغيوم سود تنذر بأمطار كانت قطراتها ككرات حديد أسود تنزل على رؤوس الجميع.. إنه سيدي زمن طويل من حرب الطوائف التي صدّق البعض أنها بلغت نهايتها من دون رجعة..

المهم كان علينا آن نواصل الحياة ونتشبث بتلابيبها .. كنا نراهن على تحسّن الأوضاع يوميا، نمنّي نفسينا بتغير الأحوال العامة في البلد وتعود " اللحمة" .. ننتظر سيظهر يوما من يصفّي الاوضاع، أو يعيدها الى نصابها المفترض.. حالنا حال بقية خلق الله. آه.. لكم كرهت مصطلح (اللحمة الكاذبة)..أحسّه كاللحم المتفسخ، على الأقل كنا نمنّي نفسينا بذوبان الفروق المذهبية واندمال الجروح الطائفية مع تقادم الزمن عليها ومهما حصلت من شروخ وتشويه للنسيج الأجتماعي مثلما يقولون في علم الفضائيات.. تبين أنه كذب في كذب. لذلك قررنا في لحظة طيش وتحد، الذهاب بعيدا لنعيش حياتنا الخاصة بعيدا عن ساحات الاحتراب والتنابز وفضاء الإلغاء الكلي.. نلهو أحيانا بالنكات المتداولة لطائفتي على طائفته أو بالعكس.. نضحك ونكركر أو نتألم لمصيرنا المشترك، أحيانا كنا نبكي بدموع بلورية ساخنة، لم نعلم أن دوران عجلة الزمن التي راهنّا معا عليها، ستقدمنا قربانا أو أضحية لتلك المجزرة الطائفية..

المهم بعدما وضعتنا المنظمة التي نعمل فيها في حلقة عمل ثنائية للعمل الميداني.. حتى تبلورت وشائج الارتباط بيننا مثلما ذكرت وأعذرني سيدي من التكرار.. رحنا نشرب على مهل من كأس العشق اللذيذة.. رشفة له وأخرى لي، نتمضّغ بهدوء.. حتى ذبنا معا ونسينا واقعا أقدامه من حديد صلب، هصرتنا معا في لحظة ما وغفلة من زمن ضروس..

وصلت الأمور الى حالة العشق الساحرة التي لا فكاك منها .. الذوبان الكلي حتى كادت الأنفاس تتلاحم.. لا أستطيع الاستغناء عنه وهو كذلك.. نسينا أن هناك ارادات كبرى تعمل ضدنا وتنتظر لحظة الانقضاض على وكر الحب الصغير الذي حلمنا به، نسفت عشّنا الصغير وتحطّمت أركانه بأكثر من عبوة وضعت بين ثناياه أركانه الواهنة ..

في هذه الرسالة القصيرة، أود إخبارك سيدي، أن ما حدث لاحقا لم يكن من ترتيبنا .. عليك أن تتصور ما معنى "علاقة حب بريئة" تتحول الى جريمة بنظر الآخرين؟ لاحقا سأخبرك كيف جرت الأمور وما آلت اليه نبتة الحب فوق فوهة البركان البغدادي كما أسميتها أنت في مسودة روايتك..

ملاحظة:

بودي أن أخبرك بشيء ما .. أنك كنت موفقا عندما جعلت بداية قصة حبّنا تنطلق من سوق الشورجة البغدادي، لقد كان فعلا ذلك المكان سرا من أسرار علاقتنا .. وشاهدنا جسر الشهداء ونوارسه المرعوبة، كانت نوارسه شواهد تاريخية، لكنها للأسف ظلّت خرساء على ما حدث من عشق صامت.. طارت ولعبت على وجه النهر، كان الريش يكسوها قبل يوم 11/5 .. ذلك حقيقي سيدي، كأنك كنت تتابع بذرة الحب التي انبثقت فوق جسر شهداء ببغداد .. وكأن أنفاسك تذوب في نفسينا.

تقبّل فائق مودتي .... تحياتي لك...

نورا

المؤلف يكتب عزران يرسم المصائر

في أثناء هذه اللحظة الصباحية الكالحة التي حدث فيها انفجار يوم 5/ 11، كانت سماء مدينة بغداد ملبّدة بطبقة ثقيلة من غبار "أسود كذّابي" وبعض غيوم رمادية أخرى ضاحكة تحوم كفربان لحمية شبحية تطير من دون ريش فوق رؤوس الناس الهائجة، بدت الطيور منزوعة الريش مثل فقمات طائرة، وعندما تحط بعد تعب الجري في السماء، تلوذ بالجدران من شر وسواس الشوارع المفتوحة على الفجائع المضمومة بين الرصيف والشارع وساحة النصر الشهيرة.

بدت الحياة باهتة الطعم رتيبة وخاملة ليس لها طعم يُذكر في هذا الصباح وقبل لحظة الانفجار المدوي، إلا أن الأمور سرعان ما تغيرت نحو إيقاع أسرع وبحيوية متصاعدة..

في ذلك الوقت بالضبط كان عزران ظلا ثقيلا، هو المُراقب الوحيد لبطلي الحكاية، وهو أيضا الرديف الفعلي لي في عملية التوثيق والكتابة، سأسجلها حتما "إنه ما زال في بيته أثناء تلك اللحظة الحرجة"..لم يصدق الناس أن عزران كحالهم يأكل وينام ويمارس حياته اليومية مثلهم..

في داخل ظلام بيته وفي ساعة الانفجار يُعتقد - الله أعلم - ووفق معطيات مادية محسوسة أنه في سريره يضاجع زوجته البدينة، ترتدي كالعادة دشداشتها الزهرية القصيرة المطرّزة بالدانتيلا البيضاء بكمّيَن مُكشكشين قصيرين، الناظر لزوجته من ثقب بسقف الغرفة يتجسد له منظر دمية رخيصة الثمن مطروحة كجثة منفوخة على جنبها، لم تنمْ بسريرها كراقصة باليه.. شتان بين الثرى والثريا، فثمة

بقايا روائح مطبخ عالقة في الفضاء المحيط بها.. بقايا روائح بصل وبهارات شورجة ونومي بصرة وثوم عجم تعبق في فضاء السرير..

في تلك اللحظة كانت شبه نائمة، وقيل -والله أعلم- ربما كانت تحلم أحلامَ زرازير مذعورة ومنتوفة الريش أيضا..

أرادها عزران وكالعادة مضاجعة صباحية خاطفة لكن بميكانيكية رتيبة.. فهو يميل غالبا لممارسة غرائزه الشهوانية كاملة قبل الخروج من البيت في صباح كل يوم عمل ما عدا عطلة يوم الجمعة.. كعادته في كل صباح يذهب الى الحمام واضعا "الخاولي" الكحلي على كتفيه، يدخل ليمارس الافراغات الكاملة، بعد أن يطلق جملة أصوات محتقنة ومتقطّعة كما البشر العاديين في أثناء استخدامه المرحاض، رغم شكواه المتواصلة من عقدة البواسيرالمتورمة كثمرات تين عالقة في شجرتها كما أُشيع عنه، يذهب بعدها الى المغسلة البيضاء خارج قن الحمام ليمارس إفراغ أنفه وحنجرته وبلعومه ومعدته من مخاطات صفراء مخضرة متكلسة أو سائلة.. يتمضمض ثلاث.. ثم يغتسل بالماء والصابون لمرتين.. ينظر الى وجهه المتورم في المرآة، فيطلق بصقة نجمية النهايات على المرآة ليسيل لعابه بخريطة نهرين لا يلتقيان.

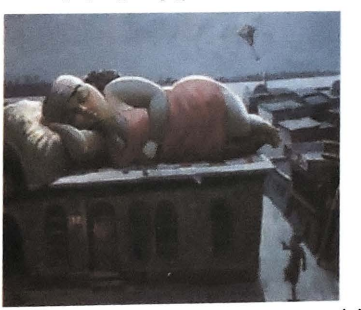

لوحة "استراحة فوق السطح" للفنان محمود عبود فهمي هي الأقرب لزوجة عزران في السرير

يذهب الى غرفة المعيشة الثانية وفيها لوحة مبهمة تتأرجح على الجدار المقابل لجلسته الأرضية لا تفصح عن سنيّته أو شيعيته مثلما هو اسمه الغامض، بل يثبت فعليا أنه فوق الطائفة وتحت خيمته الزرقاء.. يجلس على الأرض حاله بذلك من حالهم ممارسا الحياة من موقع أدنى.. يلتهم فطوره الدسم المُفضل من البيض المقلي بالبصل والطماطم، يلحقها بطقس الشاي الثقيل ثم التجشّؤ بصوت متقّطع مموسق.. بدا لنا من كل ذلك بشرا سويا..

في الساعة التاسعة والربع من ذلك الصباح حان موعد المضاجعة الصباحية على طريقة الجنب المريح المحبّبة لديه بتقليده حركة البندول أو رقّاص الساعة الجدارية.. متخلّصا من طريقة المضاجعة الروتينية القديمة بطريقة "ركوب الحصان" التقليدية القديمة ومتناغما مع سنوات التغيير الجديدة في المضاجعة الجنبية المُحدثة، للوصول المريح الى هدفه رغم عقدة البواسير غير المستأصلة.. بمنظره المُشين والمُضحك هذا كان يثير الفكاهة فتكتم زوجته "الدمية المنفوخة" ضحكة سرية لوضعه هذا، مستأنسة بلّذة المضاجعة المفتعلة معه فتطلق تأوهاتها الكاذبة .. لمرتين متتاليتين تفصل بينهما جرّة شهيق بآهات مموسقة.. ثم آههههههه طويلة مصحوبة ب آوووي و بيبي في لحظة الولوج الكبرى. حيث تعجّل في بلوغ نهاية لذته بمشهد تمثيلي متقن الأداء، هو غالبا ما يصر على سماع تلك الآهات في كل مرة.. أدمن على سماع التأوهات والتنهدات الطويلة.. في تلك اللحظة تهتز اللوحة المعلقة على الجدار.. هذا الفصل هو أيضا استعارة حامضية من معرض الخاتون البغدادية للفنان محمود عبود فهمي، فهي قريبة الشبه من زوجة عزران في سرير الزوجية.. ولم يزل عزران يرسم كعادته مصائر "البغادة" في هذا الصباح الثقيل حاله حال الذي يرسم المصائر..

في أثناء الممارسة الجنبية كان يرتدي كامل قيافته في نصفه العلوي.. كالعادة قميص وردي مكوي بطريقة جيدة وبحواف مستقيمة

حادة وبكامل أزراره وربطة عنق رمانيّة اللون بخط جريء أصفر مرسوم بإنسيابية في وسطها، بتسريحة شعر حديثة ونظارة شمس سوداء، بعكس نصفه السفلي، " أملط كما خلقه ربه" إلا من الجواريب.. وليكتمل المشهد فكاهة وضع مسبحته السندلوسية الليمونية وهاتفه المحمول الكلكسي فوق كور لباسه الداخلي والمُرمى بعشوائية على أرضية الغرفة.. حتى إن المروحة السقفية كانت تطلق أزيزها المتناوب مع حركة طعناته الايقاعية في أثناء تلك الممارسة في مشهد متّقن الأداء. ظل هاتفه يرن بنغمة غريبة هي بعض من سمفونية ايروتيكية غريبة عن مسامع الناس هنا..

في لحظات تكرار الطعن المتواصل، وفي شوطها الأول بالذات من الممارسة. كانت مرآة "الكنتور" المستوية تعكس صورة التلفاز بشكل مقلوب وطبعا هو مستأنس لذلك.. يتابع حركة شريط الأخبار"التايتل" بصورة معكوسة في المرآة في دورة مجيئه وذهابه البندولية.. حتى حانت الساعة العاشرة وبضع دقائق صباحا، حدث وميض مفردة العاجل في الزاوية العليا على شاشة التلفاز بشكل معكوس(ل ج اع) على المرآة.. تقرفص عضوه تدريجيا مع العاجل الصباحي ثم تداخلت حلقاته المحبسية شيئا فشيئا حتى تحول الى ما يشبه صفارة حكم رياضي غشيم، وتلاشى أزيز المروحة المتناوب واضعا كفه على فمها كاتما بكفه التأوهات ليسيخ السمع.. حتى أُعلن لاحقا عن موت عضوه سريريا ليدخله في غمده مجبرا..

انسحب من الفراش من دون أن يتم غزوته المباركة، أما زوجته فما زالت غارقة في الضحك المكتوم، دون أن تستر عريها متلذّذة بنسمة الهواء الباردة التي ضربت على أرض مؤخرتها العراقية العالية..

خرج من غرفة العمليات كسيرا مطأطأ الرأس ضاما عضوه في جيب خصيته خلف "برشوت" لباسه الأبيض الطويل حيث انتشله من الأرض ثم لبسه بالمقلوب.. طقطق بغضب واضح بخرزات مسبحته

السندلوسية ومدورا اياها بحركة دائرية عنيفة.. كان يفكر بكيفية الوصول السريع الى موقع الحدث.. وفي لحظة خبَل حقيقية تمنّى لو تحول لباسه البرشوتي هذا الى منطاد ليحمله الى مكان الحدث.. ليتخلص بذلك من عُقد الازدحامات القاتلة في معظم شوارع العاصمة ولؤم رجال السيطرات..

أكمل عزران قيافته التحتانية بسرعة عسكرية روتينية، ثم توجّه الى شارع السعدون لمتابعة الحدث وجامعا المعلومات ليضمها الى تقريره اليومي من أرض الواقع، مقلبا الأحداث المتواترة من قلب المكان باتجاه غير واضح الملامح .. لم تزل القناة المحلية تنقل أخبار انفجار شارع السعدون نقلا مباشرا:

- نعم نعم أخي جمال.. أسمعك جيدا.. أكملْ رجاءً.. بودي أن أعرف ماذا كان يستهدف التفجير تحديدا.؟؟ لو تدع لنا الكاميرا تتحرك الى مكان التفجير ليتعّرف المشاهد الكريم على تفاصيل ما يجري..

- نعم زميلي.. لغاية الآن لا أحد يعرف بالضبط هل استهدفت السيارة المعبد أم لا؟ المعبد قد أُستهدف من قبل برمانات يدوية بعد عام 2003 مباشرة، ممّا عجّل في إغلاقه دفعة واحدة، أم إنها استهدفت البناية المجاورة للمعبد؟ لغاية الآن الموقف غير واضح زميلي.. ربما كان المُستهدف بناية مجلة نوارس، وهي مجلة عراقية أثارت لغطا كثيرا في الآونة الأخيرة، حيث نشرت قصة الحب العراقية وغرائبيتها بعض الشيء، بناية المجلة محاذية تماما لبناية مطبعة المهندس ذات البناية التراثية العريقة بريازتها التوراتية المتآكلة.. وكما تعرف ويعرف الأعزاء المشاهدون أن قوات الأمن قد قطعت الطريق المؤدي للمعبد ولم تسمح لمحطات الإعلام التوغل لمعرفة مكان الاستهداف.. لم يتسنّ حتى هذه اللحظة لنا معرفة عدد الضحايا في الأرواح والممتلكات..

-2-

(الناس تشبه بعضها)

الصورة المتخيلة الثانية يرتدي معطف حامد كرزاي

على وفق رواية عزران التي غرّد بها على حقول تويتر.. انه مكلّف تكليفا أرضيا مؤقتا على مراقبة مسارات الناس ومعاقبتهم في بغداد بالذات وليس في افغانستان، كذلك له كامل الصلاحية للعفو عن أتباعه ومريديه، وتسوية القبض على أرواح الفائض عند الحاجة منهم.. قال في نص التغريدة "الكل في قبضة يدي.. هم في حوض أسماك الزينة.. الناس هنا تشبه بعضها"..

حيث الجميع أنا وشخوص الرواية والبشر الماشين بصف الحائط، كنا نعوم سوية في حوض أسماك زينة كبير نسبيا بعدما وصلنا الى لحظة انسداد تاريخي مقرف للخروج اليسير من مستنقع هذا الحوض الآسن.. لا أحد فسّر تفسيرا واقعيا ما قصده عزران بتغريدته"الناس هنا تشبه بعضها".

وعلى وفق روايتي الشخصية.. إن عزران هذا ليس سوى القدر المنزل من السماء، وهو نسخة من عزرائيل محدّث دخل الحواسيب ببرنامج رعب محلي، يذوب بين تفاصيل الناس ويظهر وقت ما يشاء.. قالت إحدى عجائز منطقة الكاظمية عنه:

- يمه هو نفسه هذا (أبو طبر) وهو نفسه (صاحب عصابة الكف الأسود).. هو هو نفسه الذي قتل أولادنا في الحروب ودفنهم بيده وبكى قبل المعزين وأصحاب المآتم.. يمه هذا حرامي بيت..

كما جاء في تقرير سكرتير تحرير المجلة السيد المخضرم محمد رياض الوادي لم نكن في سلة لغلّة واحدة، بل الأرجح هو إنه كنا نعيش في حوض أسماك زينة بقدر مساحة بغداد كلها، كان الهواء اللازم لقيد الحياة فيه شحيحا بفعل قلّة الأوكسجين المذاب في هذا الحوض المستنقع..

كانت هواية عزران الوحيدة مراقبة الناس وملاحقة الجميع متشمشما أخبارهم في الصغيرة والكبيرة ويسجلها بكشكول ملاحظاته..

أتخيل الأمر كالآتي: "يلاحق الجميع من خلف زجاج الحوض.. يضحك عندما يرتطمون بقاع الحوض – الساخن، وسرعان ما تنطُ جماعات جماعات الى سطح الحوض بحثا عن الهواء.. ليلتقطهم بمنقاشه واحدا بعد واحد.. وإن حصل الاختفاء المؤقت في القاع تحت صخور الحوض الصناعية، يقوم هو منتشيا بقشّهم بشبكته بصفقة واحدة ثم يميتهم جملة أو بالتقسيط"..

هو رجل محسوس غير ملموس من لحم آدمي بنظّارة شمسية سوداء وربطة عنق دموية يقلل من احمرارها السائد، خط جريء أصفر فاقع على وسطها.. قيل أيضا إنه "عافَ أمه وأباه وراح يركض خلف امرأة أبيه" حسب المثل العراقي السائد..

أتخيّل أيضا الصورة التالية فأدرك عاجلا نهايتنا الأكيدة على يديه: "ينكسر الحوض فجأة بفعل شظية نزقة.. يتبدد الماء منسكبا خارجه.. تهنا جماعات جماعات في حيز الوجود البغدادي.. الجماعة – الشخوص وأنا كاتبهم ومدوّن آلامَ ضحاياي المساكين خارجين توا من حوض أسماك الزينة المتهشّم بإحرامات من قماش أبيض ندور على هشيم الحوض.. يركض عزران خلفنا من شارع الى شارع ومن حوض

أسماك زينة الى آخر، الى سلّة غلّة خضار حتى تصيّدنا واحدا واحدا ووضعنا في محيط نظره وفي كادر شاشة "موبايله الكلاكسي"..

❖

سبابته الأخرى تشير بإتجاه شورجة بغداد:

كلنا في هذا الصباح في بطن سلّة شورجة بغدادية (الطبق البغدادي المتبّل برائحة التوابل) كانت الشورجة تموج بالبشر كأنهم في قيامة التسوّق الأخير.. الفضاء ملبّد بغيوم من غبار بهارات حارة، فعلى طول الطرق المؤدية الى الشورجة سواء من الرصافة أو الكرخ.. "إن كنت عزيزي المستمع في سيارة كيا أو في باص أحمر أو ماشيا على الأقدام، التفت التفاتة سريعة ستجد قميصا ورديا وربطة عنق دموية ونظارة سوداء، ترى مَنْ يحدّق فيك ويترقّب خطواتك؟.. تعكس الصورة المشوهة لك في هاتفه قامتك المتقزمة.. كنْ حذرا .. عزيزي الناظر"..

في تلك اللحظة انشغل هو كعادته بملاحقة سامر ونورا بطلي الرواية، هما مثل وردتين يانعتين نبتا في مستنقع رجس دائم منذ سنين.. مثلما تينع زهرة لوتس رقيقة يتيمة فوق فوهة بركان ساخن ومضطرب، او روضة خضراء في جهنم الحمراء.. قلت لهم مازحا: "أووووف بركان! يقولون ولا يكذبون أنه يذكّرنا بالنار الحامية التي نصلى فيها بعد حين خارج الحياة المُذابة في مساحة الحوض..قلت: مصائب قوم عند قوم مصائب"..

عندما ذاع صيتهما وانتشرت حكايتهما على الألسن، حيث أسهبتْ سطور المجلة المذكورة للحديث عن قصتهما..

أحسّا منذ البدء بوجوده الخفي خلفهما، أنه يراقبهما كمراقبة ربة المنزل لخيط الإبرة وهو يدخل برشاقة من خرمها ويخرج من

طرفها الآخر.. فكلما ألتفتَ سامر فجأة خلفه، يرى شبحا زئبقيا بنظارة شمسية سوداء وربطة عنق رمّانية بخط أصفر.. يحدّق فيه ويتابعه في مسيره.. يحاول سامر التحديق به لردعه.. يضع عينه بعين عزران، فيدير وجهه الى الخلف غير مبالٍ، في الحال يخرج هاتفه من جيبه ليرسل رسالة (SMS)، وفي أضعف الإيمان يتوارى لك(طنطل القصب) في لجّة هذا الزحام اليوقيامي.. إذ يصفه محمد رياض الوادي ب"الشبح الميثولوجي" في مجلته نوارس..

((هو غير مرسوم عندي أنا شخصيا على مساحة ورق الحكاية ولا في أطلس خريطتها الأساسية، لكنه يظهر على سطح الحكاية وسرعان ما يغطس في لجّة الزحام متخفّيا كنجمة بعيدة في بطن سماء داكنة الغموض، ثم يذوب كفص ملح في ماء الحوض، لا يمكن الإمساك به مطلقا كسمكة لابطة في الماء، أو كالناظر الى ضوء شحيح وبعيد بامتداد سكة قطار نازل، فهو يشتغل بحيوية طوال النهار بمراقبة شخوص الحكاية، يسجّل ملاحظاته ويتابع تحرّكات سامر ونورا، كذلك يضايق الشخصيات الأخرى الداعمة لحكايتهما كثيرا في مسارات الحكاية وأحزانها بقتاماتها وإشعاعاتها..

عندما أكتب فصلا من هذه الرواية أحسُ بوجوده قربي وأسمع صدى أنفاسه المتناوبة تضرب على وجهي، أشم رائحة فمه الكريهة تذكّرني برائحة المرحاض.. ودقات قلبه في قلبي مطارق عملاقة، هسيس شعر يديه الأسود الخشن عندما يغضب، ينتصب كالزغب البري، أحدّق في الفراغ فيتجّسد لي فراغا محسوسا بظل قاتم، لكن من دون أن أراه.

ذات مرة كتب رسالة قصيرة ظهرت على شاشة هاتفه وعلى النحو التالي:"كل شيء تحت السيطرة تماما - استلم أغاتي-" من الذي سيستلم

رسالته في الطرف الآخر؟ لا أحد يعرف حتى هذه الساعة لمن ستصل الرسالة؟؟ على هذا النمط الجاف كان يكتب وبتلك الطريقة العجفاء.

هذه الصورة المتخيلة الثالثة مأخوذة من مكالمة له في الهاتف الكلاكسي

في روايات القيل والقال هنا إنه هو نفسه الذي اخترع طريقة جديدة في فن "الرعب المغلّف" وتلك طريقة مبتكرة يمكن اختصارها كالآتي: "مظروف مغلّف خاكي اللون يدعى ب"الرسمي" أو بالصحراوي يحمل في بطنه رصاصة صفراء يوضع في آخر الليل تحت عتبة باب الدار".. حتى أنه جاء في مجلة نوارس ما نصّه:

"إنه ابتكار عراقي من عزران الرواية – شبح الحياة البغدادية – فيها استطاع طرد/ تهجير/ قتل آلاف المساكين المرعوبين من المظروفات الرسمية المغلّفة بإحكام والتي وصلت الى الذوات المرعوبة.. فهبّت الأرواح المُراقَبة مغتربة الى الأصقاع البعيدة. إنه يختصر الحياة على النحو التالي هي أشبه بآيات أرضية مرسلة، وعلى وفق الوصايا الخمس الموصى بها لعراقيي الحكاية)).

.."❖عندما تُشير.. شرٌ بسبّابة مستقيمة ليس فيها اعوجاج.. ستدلّ على المُشار له من دون مؤاربة تُذكر❖ المسافة بين الأصبع وهو يشير والكف حاملة الأصبع هي ذات المسافة بين العين والجفن❖ الكف حاملة الأصبع تتحرك كما هي العين أو الأنف في بوصلة بدوي يحدق

في صفحة السماء ليكمل مسيره في ليل الصحراء❖ العينان تحدقّان بخزر ماضٍ وتركيز نحو شخصين يتحركان في سوق الشورجة❖ أصبع الكف طويل والعين أوسع تُراقب بتركيز عال"..

نفخنا بصورته هذه حتى حولناه من دون علم مسبق من شخص عادي مثلنا الى شبح من زئبق مموّه، هو طنطل صالح في الليل وفي النهار يكون طالحا خبيثا وقاتلا فنانا.. يحرّض على فعل القتل الذكي والمبتكر، المصيبة إنه يعلم علم اليقين بما يحدث في الطرقات والشوارع البغدادية قبل حدوثها.. قيل عنه في مقهى الزهاوي المُعتّقة عندما ذاع صيته وانتشرت حكايته:

" سابقا قبل أن يتحول من حال الى حال، هذا نفسه الذي كان يصطحب معه دراجة هوائية ماركة "بغداد".. تنتصب على هيكلها مضّخة هواء أسطوانية.. يرصد الخطوات بدقة ويتتبع الأثر كبدوي أبلق في مراقبة النجم.. يربط دراجة بغداد بسلسلة حديدية وقفل على دعامة كونكريت في السوق ليمارس هوايته في مراقبة الأهداف المنتخبة.. يطوي جريدته تحت إبطه ويخرج من مقهى الأمين لشيوعي المرحلة الذهبية.. يكشخ ببدلة سفاري صحراوية.. يدخل صالة السينما مع الهدف حتى وإن كان الفلم معادا لأكثر من مرة. يدخل من زجاج المقهى.. يجلس على تخت متداع في مقهى حسن عجمي يراقب من تأخر من أدباء المرحلة المأزومة بالوجود.. يشرب شايا باردا ولا يدفع ثمنه.. غالبا ما يتبول واقفا في الدهاليز المغلقة والدرابين.. ذاب بين الناس واندمج في تفاصيل البشر العاديين.. لا يصلّي ولا يصوم ولا يشرب الخمر ولا يتلّبس الموبقات سرا.. من مقهى الى مقهى تتداول حكاياته كل صباح.. كتبت عنه الصحف.. وخفّف التلفزيون من خطره..

وقناة الحكومة اعتبرته واحدا من أساليب الدعاية المضادة لأعداء بغداد .. حتى ظهرت أقنعة يرتديها الأطفال مكتوبا عليها عزران بعلامة(X)..

يراقب فقط لينتهز فرصة الظهور والتخفّي.. نزع كالأفعى جلده القديم وارتدى حداثة العصر عندما دخل الى الشورجة في مهمة فوق العادة.. كان حقا هو الخطر الأعظم.. فلا من قبعة فوق رأسه ولا من نظارة سوداء تغطّي شرر عينه وتدل عليه، لا من جريدة مطوية تحت إبطه، قلم جاف نوع "سام" يسيل دمع حبره ويبقّع بدلته، كخريطة يتيمة لبلد لقيط على حافة جيب قميصه.. يؤدي عمله بشطارة وحرص ويحدد مكان الهدف ببرنامج ال (GPS) لتحديد الموقع الذي استغله عزران أيما استغلال، برنامج الاحتراف الدلالي.. هو لغز الكون العراقي الجديد ومصيبته.. باختصار هو معنا الى نهاية مطاف الحكاية.. يتحكم بمصائرنا جميعا وبمصيركم.. في الصباح يترنّم بآياته الأرضية:

"اجعل آيتك أن تراقب الجميع كل يوم. فمن راقب الناس عاش مرتاحا". لكل واحد منّا شبح يراقبه عندما ولدنا ولد توأم روحنا معنا. نتنفس الهواء فيدخل فينا مع ذرات الغبار. شبح الولادة مُكلّف بالمراقبة وتدوين المسيرة"

في هذا الوقت بالذات، انغمسا سامر ونورا في لبة عشق متبرعمة ما بين الجمر والحطام، كاستشهاديين نذرا نفسيهما لرعاية نسغ هذا العشق ونبتته الوليدة فوق قمة بركان عراقي مضطرم.. لا يهمهما عزران والآعيبه الخفية، مثلما لا يهمهما الفضاء المُكهرب حولهما.. بودي أن أقول له:"خذ شخوص الرواية كلهم، واترك لي سامر ونورا، أحدد لهما مصيرهما وأضع نهاية معقولة لعراقية قصتهما المأساوية..

لم يتفوّه بكلمة.. اكتفى بابتسامة غامضة.. وكأنه يقول.. حتى أنفاسك بصمٌ كفي.. طيرٌ" ..

❖

قبل يوم 11/5 المشؤوم لم تكن الحياة وردية اللون، فقد اختفى "حديث الطلّة" لأيام معدودات مثل أيام الاستراحة.. لا يرتاد المقهى ولا يقلّب فيها جريدة بأخبار بائتة.. لكنه عاد بكل النشاط في ذلك اليوم يتتبّع حركات الناس من المنبع الى المصب، يترك مسافة ثابتة معلومة الخطى للمراقبة والمشاهدة المريحة.. ترنّم بآية أرضية أخرى: "إن توقفا.. توقف، إن مشيا تحرك خلفهما بخطوات محسوبة.. سجّلْ ما ينم عنهما بدفترك الصغير". الى حد بعيد بدا كموظف مثالي يتفانى كثيرا في عمله، رغم فزع الناس منه.. أدرك البعض وجوده المحسوس ولم يدرك البعض الآخر حقيقته.. فجعل من الناس فرقتين نافرتين.. الأولى تؤمن بوجوده والأخرى ترفض وجوده كليا.. في تعبير الشعر"لم تركب له الأطفال خيلا "..

وضع خلف كل واحد منا عينا لكاميرا سرية تراقب من الصباح حتى الليل وفي المنام كذلك.. عاد من جديد يتهدّج بآياته:

" للرأس يدان طويلتان لليدين أصابع تشير خلفه، للجسم ساقان نشيطان للمسير الثابت خلف كل هدف".

قال سامر:

- أمراقبون نحن دون أن ندري؟

- نعم الدنيا ليس فالتة..

الكاميرا أخذت تدور دورة كاملة في ربوع الشورجة البغدادية.. تتحدث وتراقب الناس فأعطت انطباعا سلبيا كأنهم "صمٌ بكمٌ لا يفقهون"، كانوا مسطولين بروائح معفّرة من زعفران وتوابل وورد لسان الثور وحرمل وقرنفل وبابنّق وورد ماوي وورق غار وكمون ودراسين.. قال لسان الكاميرا:

- " شورجة بغداد.. هذا أطلس لخريطة دهاليزها ومفازاتها الضيقة.. لا تتلفّتْ لتستدل عزيزي المشاهد.. أما تكفيك تلك الروائح - توابل وبهارات وماء الورد؟ أغمض عينيك وسرْ.. بعض الحواس لا تخطئ عزيزي.. فأغمض عينيك وسرْ.. خلفك شخص يراقب بالسر.. هذا الطبق المتبّل من روائح وزعفران وفلفل وكركم وتوابل وبهارات هندية معفّرة برائحة بارود عتيق وبخور وروائح أشجار متيبّسة.. سجّل في تقريرك:

- هنا شورجة سرّة وجود البغداديين وأطلس حكاياتهم بدت باهتة الطعم، روائحها العبقة مبلله بالبارود والسي فور..

عزران بألف عين لكنه بلسان وقلم واحد عام وواف.. إنه (يربص ركبة ونص) هنا ما بين الكتف الأيمن والأيسر.. ملفات كل بغدادي محفوظة لديه.. يسجّل ما أفكر به أنا ويحفظ ما يتفوّه به الراكضون الى حتوفهم دون استشعار واضح أو رنّة خطر من المحق المحيط بنا.. قالت نورا لسامر يوم اشتد العشق ووصل حدّ العظم بينهما بصوت مرتعش ومتلعثم:

- سامر خائفة. أنا خائفة جدا..

- ممَ؟؟ وأنا معك تخافين؟؟

– من سعادة زائلة.. من هذه اللحظة التي لا تدوم.. من الناس، من مستقبل حكايتنا المفخخ، من الشوارع من الأرصفة.. شلون سامر ماذا نفعل؟

– العراقيون تدّبغوا على الضيم نور عيني. أخذنا مصلا ضد الخوف ضد المستقبل ضد المصائب.. "يمعودة" لنعش هذه اللحظة والباقي على رب العالمين وعزران.. هل سمعتِ آخر نكتة.. الحمار والقرد في يوم حار تموزي.. قال الحمار للقرد:

– " اليوم والله حارة" رد عليه القرد: "يمعود أسكت ترى الله يمسخنا" رد عليه الحمار:

– " شيمسخنا هاي حيوان.. أنت قرد وأنا حمار قابل يمسخنا بشر مثلا!؟.. هههههه اضحكي يمعودة.. دنيا تعبانة وما تسوه كآبة..

دعْ عزران يرسم خريطة لحياتنا .. ترى عزران كريم..

أما أنا فسأحذف اسم الطنطل من كل الوقائع الآتية.. وأضع بديلا عنه عزران.. نزولا عند رغبة نورا فهي تخاف من "طاري" اسمه طنطل عراقي فذلك يشبه كل واحد منا ..

-3-

(أنف المُحرّر)

سُرّح الوادي بالقنافذ كأقرانه العاملين الحكوميين عندما حُلّت وزارة الإعلام ما بعد عام 2003 من قبل الحاكم المدني بوول بريمر.. وتُرك عاطلا عن ممارسة المهنة الصحفية، يبيع الصحف التراثية في ساحة الميدان.. كان يوصف في نقابة الصحفيين أنه من بقايا الحقبة المظلمة، كونه كان يعمل في مجلة ألف باء.محرر مُخضرم وعابر من صفحة الى أخرى من تاريخ البلد المتغيّر دائما.. كتب في العدد الأول لمجلة نوارس حلقاته المتسلسلة عن البنت نورا وزميلها الشاب سامر، أبطال قصة الحب البغدادية.. وهما في أول مشاوير عملهما "لمنظمة إخوان الإنسانية".. سأتتبع ما قيل عنهما.. حيث جاء في هذا الحلقة الأولى:

في لبّة هذا الصباح الخريفي تبدأ الحكاية، عندما أوصت المعلمة المتقاعدة ابنها سامر الذي وصل الى سوق الشورجة سالما رغم ما شاب شعره اللمّاع من غبار الطرقات الترابية.. ليباشر عمله الميداني في المنظمة قالت له:

- إنتبه جيدا ياوليدي.الموت يتنزّه في الشوارع المحيطة بالشورجة، عزران يلتقط بملقطه "الزينين" والحلوين فقط.. حياتنا كسيحة مقعدة في البيت مثلي والموت لسانه باشط مثل قحبة عوراء"..

أقعد روماتيزيم العظام المزمن الأم وجعلها حبيسة جدران المنزل، قلّص المرض حركتها كثيرا، مما أسهم في تكوير وانتفاخ بدنها، جعلها تتمايل قبل الشروع في التمّشي داخل المنزل لقضاء أشغالها..

نهار يوم الأحد في بغداد كان يوما عاديا موحشا كعادة الأيام الأخرى، مرّ باسترخاء وكسل مثل بقية نهارات بغدادية تعقب لياليها الدموية، الوحشة هي انفلونزا جديدة تغزو الشوارع وتخيم على فضاءاتها .. في الصباح الموتى المحترقون معروضون كما الدجاج المشوي في الشوارع وقرب المطاعم، لاحقا تمّ نقلهم الى مقابر فندقية، ثمة جرحى منسيون في مستشفيات قذرة وجوههم أسودّت لتزاحم سحابات من الذباب عليها، لا أحد يهتم بأحد، لم يعتذر أحد من أحد، ولا تهديد حقيقي لأي موقع او منصب رفيع في مواقع السلطة، لا من نيّة حقيقية لتغيير ما نحن فيه.. يصرخ البعض في بطونهم.. إننا جميعا هنا سادرون في كسلنا .. لا من استقالة لأحد لما جرى، المسؤولون مطمئنون وسعداء ببدلاتهم الثمينة اللمّاعة، أما الناس فمنشغلون بالازدحام وأزمة الكهرباء غير الوطنية والترتيب المُسبق لجنازتهم وطرق تنزّهها قبل الدخول النهائي للمقابر الفندقية.. إنهم يشترون قطع الأراضي الصغيرة والمسيجة كساديب لضيافتهم عندما تحين الدقائق أو الساعات أو الأيام المقبلة..

وصل سامر سالما محصّنا بدعاء الأم.. مدعّما بتقنيات برنامج استشعار خطر الموت الجديد والمطروح في الهواتف النقالة، تبعته نورا بالوصول بعد نصف ساعة تقريبا .. وصلا الى مكان مزدحم جدا في بغداد .. في سوق الشورجة حيث تختلف الحياة وحركتها تماما عن باقي المناطق المسيّجة بالكونكريت.. الازدحام على أشدّه هذا اليوم.. الباعة بقدر الناس، أما رجال الشرطة فهم بقدر الجميع أو أكثر.

باعة جوالون.. باعة أرصفة يرتدون تراكسوتات رياضية ملونة فضفاضة.. باعة هواء الأرصفة.. تركوا لحاهم على طبيعتها دون

تشذيب، أفراد يدفعون عربات حديد بعجلتين محمّلة بالكراتين في طريقها الى كراجات النقل الخارجي أو منها، يبعدون الناس عن طريقهم "بالك.. بالك".. بعضهم يدفعها أمامه، وإن ثقلت وزادت حمولتها يسحبونها خلف ظهورهم، ينادون على المارة الدائخين بتورية مقيتة"هدومك النفط" تفز المارة وتفسح الطريق للعربات كانوا متذمرين صامتين.. أما اليأس فقد اختطّ خرائطه المتعرجة على وجوههم ووسط أعينهم.. منهم بائع الساعات الجدارية، إذ كان يشكو كساد البيع، لا أحد يهمه المواقيت الزمنية في الشهور والسنوات سوى الصائمين في تتبع حركة الشمس في الشروق والغروب، ولا شيء يتغير في زمن التغيير.. الكل كما يبدو بانتظار إشارة عزران وانقضاء الأجل.. ثمة ملامح من لامبالاة وعدمية رُسمت بيد فنان مجنون على الوجوه الكالحة وهي مصابة بداء اليأس، جعلت الواحد منهم لا يلتفت الى صورة عزران عندما يدوّن ملاحظاته..

في الشورجة ثمة لصوص صغار"تحت التدريب" يتجوّلون بين المارة ويلتقطون أرزاقهم بخفة وتخفٍ ساحر، وإن تعذّر وشح الرزق وغاب الناس عن الشورجة لأمر جلل، يذهب اللصوص الصغار ليسرقوا من جيوب المتسولين المساكين أو حتى من أكفهم الممدودة.. يسرقون ما تيسّر منها بسرقة خفيفة وناشفة.. مثلما تلتقط العصافير قمح الحصاد المتساقط في دروب جمع المحاصيل..

في هذا الصباح المزدحم ثمة متبضعون من مناطق بغداد البعيدة ومحافظات أخرى، تبعدهم الأسلاك الشائكة التي وضعها رجال الأمن وحمايات البنك المركزي المطلّ على شارع الرشيد والمحصّن بمسارات ومتاهات كتل الكونكريت، سيؤدي المشوار حتما الى ساحة الرصافي القريبة التي تعج بأنواع مختلفة من صنوف البشر الدائخين..

في هذه الأثناء كان عزران صاحب السبابة الممدودة باستقامة، يسير بخفّة خلفهما، مركّزا بعين لا تُحيد على لون حجاب نورا الماروني ونظارتها السوداء على قمة حجابها وبنطلونها الضيّق بلون بيج لمّاع، مركزا كذلك على لون قميص سامر الكابوي الأزرق "البدي" الطاعن بالزرقة.. يحدّقان بشغف بوجوه المارة، ثمة هالات مرسومة من رعب أبدي على وجوه الناس الفقراء.. الرسوم المرعبة كأنها منقولة من لوحة تدعى " جحيم عراقي خالص" فالجحيم من غزوة انغماسية محتملة وقائمة في الأفق.. يسمّر عزران عينيه في قفاهما كيلا يزوغا عن ناظريه.. عيناه ليزريّتان بضياء مموّه لا يترك أثرا مطلقا في مكانه..

المسافة ليست ببعيدة عليهما من سوق الشورجة الى ساحة الرصافي، ولسوق الشورجه المركز التجاري القديم نكهته المميزة بالتوابل والبهارات والبخور.. روائح مثيرة تضوع بعطر حياة لمدينة بغداد المتداعية، عندما تحولت فعليا الى مدينة من صور سوداء قديمة تباع على أرصفة شارع الرشيد والمتنبي.. الشورجة هو الأقدم من أسواق بغداد التراثية العباسية، وهو الأهم لعصب اقتصاد البلد المتأرجح، ولدفع قلب الحياة هنا للاستمرار بدفق نبض منتظم قبل أن تتوقف عجوز بغداد عن البوح..

❖

حصل الشابان سامر ونورا بعد جهد مكثّف على قصاصة ورقية تحمل عنوان الرجل "الهدف" من وكيل أملاك "الجماعة" المدعو "ناجي قطانو".. رجل سبعيني العمر طويل القامة نحيف البنية، أناقته كلاسيكية باذخة، بنظارة طبية وعدستين بيضاوين بإطار أسود بلاستيكي، يرتدي بدلة سموكن شعرية سوداء مكوية، تتدلّى سلسلة

فضيّة من ياقة سترته، لتنتهي الى جيب البدلة الظاهر الصغير بساعة جيب قديمة ماركة "SUR" لها غطاء فضّي مزخرف ومنمنم بدقة متناهية.. تلك الملاحظات سجلّها عزران في تقريره بدقة وتفان عندما أبحر ب"سوناره" في تفاصيل قطانو العميقة، لم يسجلها راوٍ لغرائب حكايات مجلة نوارس، الذي سرق من عزران ما يمكن سرقته لفضاء حكايته..

ناجي قطانو رجل أرمني هو آخر ما تبقى من قافلة غاربة لبقايا أرمن بغداد، يسكن منعزلا ووحيدا في هيكل متداع لمنزل قديم في حي الأرمن في منطقة كمب سارة خاتون.. كان متزوجا من امرأة مسيحية هاجرت قسريا مع ابنتها الوحيدة "جمان" الى أمريكا عام 2005، أيام هجرة الأقليات المرعوبة من شوارع بغداد، فيما يسمى عالميا بالحملة الكبرى الثالثة للتهجير، وهي أخت الطيار المسيحي "منير روفه"، الذي طار بطائرته الميغ الى إسرائيل في نهاية الستينات واختلفت الروايات في مقصده..

يشتغل قطانو حاليا وكيلا رسميا لأملاك المليارديرالليهودي العراقي "نعيم دنكور" الذي يعيش حاليا في لندن، ويدير الأملاك على مدى أربعين عاما بكل تفانٍ وإخلاص، يقوم بجمع بدلات إيجارات المحال والخانات في محال الشورجة وشارع النهر في بداية كل شهر.. تحديدا في الثاني من كل بداية شهر جديد يمر على المحال ويلقي تحية بإشارة من يده فاركا إبهامه مع سبابته ليقدم له المستأجر نقد إيجاره متأففا، يسجل بقلم "قوبيا" يسحبه من فوق أذنه في سجله المتهرئ إشارة "صح" في حقل مربع صغير من جداول الأشهر لكل خمس سنين.. مستقطعا ما يعادل 10 في المئة من مجموع مبالغ الإيجارات، وهكذا كل

شهر حتى امتلأت الجداول والحقول التي تؤشر سيرة قطانو في الشورجة وشارع النهر ومنطقة التوراة قرب مرقد الولي التقي"سيد إسحاق" يصل الى شارع الراقصة "ليلى اليهودية" البغدادية الملقبة ب"ليلو" خلف عمارة الضمان الشهيرة وهي الأخيرة في قائمة راقصات بغداد المحترفات من أصول يهودية.. يدلّعها صاحب خان العساف بـ"ليلوه" في آخر الليل، فيما يدلعها حمالو الشورجة أيام تألقها في الخمسينات بـ(أم الليل) وهي تمر في دهاليز الشورجة الضيقة لتشتري حاجياتها من الصابون الرقي والديرم والعطور تتبعها خادمتها ألارمنية سيناو ويتبعهما ظل عطر "ماوردي" يضوع في درابين الشورجة ..

اختفت "أم الليل" مثل فص ملح وذابت مع فيلق المتسولات في دروب الشورجة الملتوية كأمعاء كبش، وقيل هربت الى خارج البلد.. لا أحد يعرف لها مكانا واضحا، جميلة بغداد ظهرت آخر مرة قبل بدء الحرب الأهلية في ال2006 .. تتسول على باب الله قرب سوق التبوغ المستوردة.. لم يبق منها سوى بيتها الآيل شاخصا في شارع التوراة تطمره النفايات حتى غرفه الشناشلية في الطابق الثاني..

يتنقل سيد قطانو لجمع بدلات الإيجار من الجانب الأيمن للشورجة وحتى جانبها الأيسر في "سوق الكرزات المؤدي لسوق الشاي المخلوط" ثم الى شارع التوراة قرب كنيست مسعودة الذي فُجّر هو الآخر في أثناء حملة التهجير الأولى في شارع التوراة 1952 مثلما جاء في تقرير محمد رياض الوادي محرر باب الحكايات في المجلة وسكرتير تحريرها لاحقا..

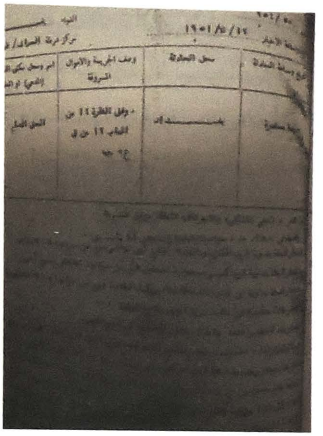

نموذج لتقرير قديم كتبه عزران

أما سامر ونورا فقد مكثا على مدى أكثر من ساعة ينتظران ناجي قطانو أفندي على نارٍ في باحة "خان كبّة" المقابل لخان المخزومي في صدر الشورجة قرب البنك المركزي، كانت عيون الباعة والمارة والحمالين تأكل قطعا بطعم الكيك من فتنة نورا وجسدها المبروم.. عيون تحمل أكثر من سؤال لهما، نورا التي احتفظت بجمال بغدادي خاص يدحض نظرية اندحار فتنة وجمال نسوة بغداد في هذا الساعة الغاربة من تأريخ أمة من شمع سرعان ما ذابت تحت سياط شمس ظهيرة قائضة..

ثم حضرَ أخيرا ناجي قطانو الى "خان العسافي" قادما من رأس درب ملتوٍ تحت الأرض ومن سراديب ظلام الشورجة عابرا بسرعة "خان الكتّان وخان زرور وخان دلّة" جامعا ما تبقى من بدل الإيجارات.. حضر لخان كبّة أخيرا ليزودهما بعنوان الرجل الهدف..

عندما اتصل هاتفيا السيد "نعيم دنكور" صاحب أكبر مؤسسة خيرية – ثقافية في لندن بالسيد ناجي قطانو، أخبره بمساعدة السيد أركان الموسوي المدير التنفيذي لمنظمة إخوان لإنقاذ البقية الباقية من يهود بغداد العالقين بين موت محّتم وحياة شحيحة محتملة بعدما نشرت الخبر وكالة ويكيلكس عن حراجة الموقف الدولي اتجاه الأفراد العالقين.. أوعز السيد دنكور بتوفير المعلومات المتاحة للشابين عن السيد المتخفي "أليس رغيد".. عنوان مسكنه وكيفية الوصول اليه وإنقاذه.. بعد هذه المكالمة الهاتفية أصبح لزاما على ناجي قطانو تنفيذ ما أمره به السيد نعيم دنكور.. وهو العارف أن قطانو على دراية واسعة بخريطة تواجد الثلة القليلة من يهود العراق ما بعد عام 2003..الذين كانوا مثل نباتات غريبة في أرض متصحرة وموحشة..

لم يبخل قطانو بعد تلك المكالمة الهاتفية بالمعلومات الشحيحة غير المحدّثة عن الهدف.. فهو عصبي المزاج مثل أبي يعقوب صاحب كشك الشاي في شارع المتنبي.. أدرجها كاملة بقصاصة ورقية وبكلمات مبتسرة لا تتطابق مع تقارير السيد عزران :

" أليس رغيد يعيش في منطقة النزيزة في صوب الكرخ. كان يعمل مصحّحا لغويا في مجلة عراقية تدعى نوارس قرب - معبد مئير طويق - شارع المدرسة الأوسية القريب من بارك السعدون. منذ سنين تخفّى وضاعت أخباره".

- 4 -

الشورجة مَعِدة جائع

الشورجة في ساعة ذروتها

يختنق سوق الشورجة يوميا ببضائع متنوّعة في أغلبها مستوردة من أصقاع بعيدة منها الصيني والإيراني والتركي.. بعض المحال كانت مغلقة خُط على أبوابها بالصبغ المرشوش عبارة "مطلوب عشائريا"، وثمة محال أخرى أغلقت لقتل أصحابها أو تهجيرهم خارج العاصمة أو تهجيرهم قسريا من منطقة لأخرى، وفق خريطة سرية لحرب الطائفتين.. أكشاك وعربات وزبائن جعلت من السوق يضجّ بحركة غير طبيعية خاصة في هذا الصباح الرمادي اللون.. غير أن عزران كان معلما حاذقا في المراقبة عن بعد رغم كل هذه الزحمة القيامية.. يضع الهدف في أثناء عمل المراقبة الواجبة بين فصيّ عينيه موجها له أشعة ليزرية خارقة تجعله في محيط الهدف ونصب شبكة المراقبة..

كان الزحام على أشده حيث أحدث اختناقا حادا يحتاج المرء فيه لتصغير حجمه متبّعا طريقة التنحّي، ثم المسير الجانبي المتعرج تلافيا للاصطدام بالعربات والكراتين المحمولة.. ثمة عشوائية عالية في عرض البضائع خارج المحال الصندوقية الضيّقة، حيث أعاقَ كثيرا من حركة المارة وحركة نقل البضائع على طيلة نهارات الشورجة الصاخبة، لكن

حركة المراقبة مسيطر عليها بشكل جيد وفق نص التقرير.. إذ تنتهي الحركة ويخفّ الزعيق والصخب بعد الساعة الرابعة تقريبا عصر كل يوم لتعّم صورة بغداد الموحشة في شوارع الشورجة، وفي أيام الجمع والعطل الطويلة الكثيرة تغلق المحال أبوابها .. تبدو مدينة شبحية لا من حركة فيها مطلقا .. سوى القطط والكلاب تتغوّط فوق الكارتونات المتروكة في الممرات الضيقة ومخلفات ما بعد البيع في دروبها المهجورة.. مفازاتها تبدو كأمعاء ملتوية مما سبّبت ضيقا ثقيلا في مسالكها المعقّدة خاصة في صفحتها عند جانب شارع الرشيد الى جسر الشهداء بمشبّكات سياجه الأخضر على نهر دجلة..

رغم كل المخاوف المحتملة التي راودت نورا ساعتها، فاليوم ومنذ ساعات الصباح الأولى، حفلَت بغداد بطرق جديدة لميتات عراقية مبتكرة ومطوّرة من نسخه المعروفة، عبوات كاتمة وخرساء "موت سوبر" لم يستطع برنامج الاستشعار بالخطر التي انطلقت في أجهزة SAMSUNG من ردهّا .. سقط على إثرها المزيد من شهداء القوائم المؤجلة.. قالت له:

- سامر.. يا شهداء مقصود بهم لهذا الجسر؟

- .....

لم يرد عليها سامر في المرة الأولى، اكتفى بابتسامة غامضة المعنى.. كان منغمّسا في التفكير ببقايا هشيم شارع الرشيد الذي لم يبق منه سوى أعمدة دائرية رثّة ومشوّهة بملصقات ممزّقة لصور مرشحين خاسرين.. يحدّث نفسه "هل يأتي يوما وتنتهي هذه التمثيلية العراقية المستمرة؟ هل يحلّ عصر آخر أخف وطأة من هذا؟ طيّب! لنلمّ أرواحنا .....:"لا أعتقد" .. رد عليه صوت خفي داخله.. "رخُص الموت وشحّت

رديفته الحياة .. فالموت مسكين فقدَ هيبته خالعا طاقيته بعد أن ذابت هالته المقدّسة.. حيث ترجّل الموت متخفّيا بين أقدام المارة، حتى غدا لعبة طفل متعطّلة مرمية بقمامة متعفّنة، موتٌ كنسته ماسحات عمال تنظيف الزجاج المتشظّي وسُوّي الأمر تماما لتعود الحياة الى سابق عهدها قبل لحظة التفجير.. قال أحد حمالي الشورجة المُسنيّن العدميين:

- أغاتي.. حتى لو انتهت هذه الحرب، ثاني يوم من الصبح تبدأ حرب جديدة.. قدرنا نموت مثل الدجاج المشوي في أفران الشوارع.. شنسوي أبويه انتو - قسمة ومكتوبة..

حثّا سامر ونورا خطواتهما ليتجاوزا عُقد الازدحام التي يتصادم بها المارة بالعربات، حتى وصلا الى ساحة الرصافي، الشاعر المصلوب وسط الساحة.. هناك من يتربص بهما ويحسب عليهما خطواتهما بحذر تاركا مسافة لرصدهما، رغم أن فرصتهما في عمل المنظمة وفي الاختبار الميداني قد حانت فرصتها اليوم..

لم يكن الرصافي الشاعر في وقفته الصنمية هذه محتجّا كما هو في سابق عهد تاريخه المديد.. فلا من حياة في جوف النصب المثقوب أو خارجه..

يقف الرصافي الصنم منتصبا صامتا طوال الوقت بين أكوام الأنقاض والنفايات الأزلية التي تحيط به، الشاعر المصلوب وسط الساحة يضع يديه على أذنيه كأنه يؤذّن بخربة من خرائب بغداد القديمة.. متفاديا زعيقا بشريا هائلا كان مخلخلا للنظام الكوني هنا.. بدا عليه التملّل والضجر.. يفكر في هذه اللحظة جديّا للترجّل من نصبه بل حتى في فكرة الهجرة الى الأبد.. كانت تدور في دماغه فكرة مفادها:

"الأفضل هو الغوص وسط نهر دجلة الحزين وغسل أدران الحياة، مما لحق بي في دورة الموت والحياة"..

يعتقد واهما أن خلاصه الأخير في دجلة النهر.. النوارس ستحيط به وتلهمه حياة أخرى وشعرا مختلفا عمّا ساقه في سالف الأيام.. لم يأكل الطير من رأسه حتى هذه الساعة.. هذا ما أجمله مذيع في قناة حديث العهد في العمل في برنامج عن حياة الشاعر الرصافي المحاصر بالأزبال، حيث كرر حديثه لأكثر من مرة: علمٌ ودستور ومجلس أمة - كل عن المعنى الصحيح محرّف.

بعد تجاوزهما لعربات الدفع الصغيرة والعربات الخشبية الطويلة "الربلات" المتراصة من باب الأغا صاحب المثل البغدادي الشهير (مثل خبز باب الأغا)، ومرورا بشارع الصفافير حتى ساحة الرصافي المكتظة بالناس.. العربات مرقمة وملونة بألوان شتى تنتهي آخر النهار في خان الحيّاني لمبيت العربات.. أغرب ما سجّله عزران في تقريره، إن أحدهم كتب على عربته الخشبية" إذا كان الموت حقا، على الحياة أن تكون عادلة".. وآخر كتب عليها "محبوبة التلميذة.. ألف عدو ولا صديق كاذب" وقد سجلها الشبح الرقيب في إشارة سلبية على العربنجي.. وأدخل القائل ضمن قائمة الانتظار المؤجل..

رسالة فضائية ثانية

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير :

فعلا كما ذُكر سابقا في الكتب الأدبية القديمة " الأيام الجميلة تمر مر السحاب.. وسرعان ما تبقى الأيام الثقيلة المرة، ذكراها راسخة في البال لا تبارحني مطلقا".. حزينة أنا الآن، لكنه أسوأ أنواع الحزن ذلك الذي ليس فيه دموع.. الحزن الذي يبقى راكدا في قاع القلب.. حزينة مثل سحابة يتيمة تدفعها ريح مجنونة الى العدم..

في رسالتي الأولى أوضحت لك كيف تعرّفت على سامر وكيف نَمت بذرة الحب وكيف حافظنا على رعايتها من عاديات الزمن.. إلا أن الأمور سارت بعكس اتجاه السير، أو عامت في النهر الجارف بعكس التيار كما تسمّونها سيدي الكريم..

في أحد أيام العمل في المنظمة، كنتُ حينها مشغولة بمتابعة مصير أحد اليهود العراقيين العالقين في جانب الكرخ، أخبرني سامر فجأة بأنه أخبر أمه بأمر علاقة الحب وينوي التقدم لخطبتي.. فرحت أمه كثيرا وسرعان ما أخبرت أباه بنيّة سامر في الزواج من البنت التي تعمل معه في المنظمة..

عندما أخبرني سامر في الأمر كادت الأرض تتزلزل تحت قدمي.. كان علي أن أتقدم خطوة على أرض الواقع، أترك الأحلام قليلا رغم طعم حلاوتها التي تنسيني ما يحفّ بي من مخاطر محتملة.. طبعا أفرحني الأمر جدا في داخلي، رغم تمنّعي الظاهر ومخاوفي من مستقبل

العلاقة، فعلا ففي اليوم نفسه أخبرت أمي عندما كنت جالسة معها في المطبخ.. فرحتْ رغم توجّسها وخوفها من هذه الخطوة..

قامت أمي في الليلة نفسها بعد تردد بإخبار أبي في الأمر في استراحته المعتادة وهو يتابع أخبار العراق، عن نيّة أحد الأشخاص بالتقدم لخطبتي، بغداد في ذلك الوقت بالذات تمر بلحظة هدوء نسبي.. ولطالما خفت من لحظات الهدوء النسبي هذه.. خلفها دائما ما يشبه البركان المنفجر.. لم تعتد بغداد طوال عمرها على ذلك الهدوء:

- جماعة راح يجونا للتقدم لخطبة نورا.. تردد كثيرا أبي في الإفصاح عن مشاعره الواضحة التي كانت تنتظرها أمي، ظهرت علامات من الغموض راحت تتشكّل على وجهه.. مخلوطة بفرح دفين مع بقايا حزن حاول كتمانه، لكنه قال بعد تردد:

- طبيعي جدا.. فقط أعطوني فرصة.. سأسال عن الولد.. عن أصله وفصله.. أريد عنوان بيته ومنطقته واسمه الثلاثي واسم عشيرته..

كان يقصد بالسؤال عن الفصل والأصل مؤكدا، السؤال عن طائفته.. تلك الطريقة التي سادت هذه الأيام، وهذا الشيء الذي أخفيناه عن أبي. سوف يترك أبي السؤال عن أخلاقه وتربيته وتاريخ عائلته وضمان المستقبل، فقط الطائفة والعشيرة تلك الهوية المستحدثة.. سؤال أبي طال كثيرا، تجاوز سقف الثلاثة أشهر للتعرّف على تاريخ سامر وعائلته.. ومع كل يوم يمر كان القلق يكبر في داخلي مثل جنين ينمو ويعذبني بثقله.. حدثت الصدمة الكبيرة عندما أفصح أبي رفضه القاطع للاقتران بعائلة شيعية، خوفا من أن تختلط الدماء بالدماء مرة أخرى. اعتبرَ أبي الأمر بحكم النهائي، فلا يمكن الحديث به

مطلقا، واذا تطور الأمر سيقوم أبي بمنعي من مزاولة العمل في المنظمة التي كانت السبب في تعرفي على سامر.. بكت أمي على حالي كثيرا.. لكنها بالمقابل حاولت ترويضي لتقبّل إرادة الأب والعائلة.. قالت:"سامر ليس نهاية الدنيا".هل تعلم سيدي الكريم ماذا قال أبي؟:

- " لا أريد لأحفادي من نورا أن يبغضوا فيه أحفادي من أبني وربما يتقاتلون من بعدي".. مَنْ يعلم الى أين تنتهي هذه الحرب..

إنها المشكلة النائمة التي إستيقظت في رأسه فجأة.. طبعا هناك دفع مبيّت من ابن العم بكر، الذي يعتبر كمستشاره الشخصي وحارسه الأمين..

ماذا أفعل؟؟ جاء الخبر مثل الصاعقة عليّ وعلى أمي.. مع إلحاح سامر اليومي بانتظار موافقة أبي المزعومة.. ماذا أقول له؟؟ مما دفعه وفي لحظة طيش غير مدروسة من مفاجأة عائلتي بحضوره وأمه الى بيتنا في عصر يوم مغبر..

اووووووف.. كلما تذكرت تلك اللحظات العصيبة التي مرّت بي تنهار أعصابي وأفقد السيطرة على نفسي. انهارَ كل شيء دفعة واحدة مثلما تنهار عمارة سكنية قيد الإنشاء تحت تأثير العبوات الناسفة في الأسس والجدران.. لم يستقبلهم أبي مطلقا، بل قام أبي بتهديدهم إذا ما كرر سامر المحاولة..

عذرا لا استطيع الاستمرار بالكتابة الآن سيدي..

تحياتي لك..

نورا

-5-

في مطبخ عزران

B -- A

((تُرى أيهما الظل في الصورة أعلاه وأيهما عزران في صورة متخيلة رابعة؟))

لا من رائحة لحم غزال مطبوخ بطعم الهال في قدر مطبخه، سوى خميرة لعصير الطماطم المصبوغ بلون ربطة عنقه الرمانية.. لا أثر هناك تماما لروائح توابل الشورجة.. لا من رائحة للكزبرة والثوم والدارسين على أرفف المطبخ المعلّقة على جدران مطبخه مطلقا. مطبخ عزران لا يختلف بطبيعته عن أي مطبخ بغدادي آخر.. حيث كذبت كل الأقاويل التي تحدّثت عن أسرار كبيرة تحتويها أرفف جدران مطبخه وقدور طبخه.. تبيّن أنها محض أكاذيب ليس الا..

في المقهى كان عباس مخلوف يتحدث عن عزران مثل كل يوم، تاركا كل حديث آخر لا يمت للموضوع بصلة.. عباس هذا لم يكن ثرثارا بل هو حامل للوثة بقايا قراءات الكتب وتشبّعه بأفكار شتى.. طويل القامة حليق الشارب بعينين صغيرتين حادتي النظر.. قذفته الأقدار ليصبح صاحب مقهى باسمه في النزيزة.. ترك موضوع تأخر الحصة التموينية،

وموضوع الزيادة المرتقبة في رواتب المتقاعدين جراء التصاعد الجنوني لأسعار النفط العالمي.. ورغم تأخر إقرار الميزانية في البرلمان.. رغم طيران الطيور في يوم التفجير من دون ريش.. كرّس حديثه عن عزران فقط، خاصة في هذه الأيام الدامية للتفجيرات المتكررة.. كان يعد مادة حديثه لليوم التالي في الليل، فبعد إغلاق المقهى يذهب لبيته ليقلّب كتب التاريخ التي تتحدث عن ظهور الأشباح على الأرض.. قال:

- يا إخوان في اليوم الذي أطلق احد العشّاق قديما مفردة "شبح" لأول مرة.. كان قد أطلقه على ظل أبيض تجّسد في الطرقات المظلمة، فكرة خيالية خرافية أخاف بها حبيبته من وحشة الطرقات المظلمة، المؤدية الى بيتها، وما يتربص بها من ظل يرتدي ألوانا من رماد كان "يَرى كل شيء ولا يُرى".. ظهر هنا عندنا بشكل جلي بما يشبه الشبح.. أجدادنا أطلقوا عليه تسمية "طنطل" طويل القامة وجه يشبه وجوه كثيرة، ويقف على قدمين كقدمي العنزة.. البنت في الرواية العالمية تخيلته يظهر من الظلمة عندما تذهب إلى بيت أهلها ليظهر لها من أعماق الظلام.. قررتْ مجبرة من هول الصدمة والخوف أن تبقى في حضنه طوال الليلة والليالي اللاحقة، من دون أن تغادره ومن دون الذهاب إلى بيتها..قال أحد جلاّس المقهى له:

- إخوان فكرة"الطنطل" العراقي موجودة من أيام "العصملي".. وتطورت الى عزران يظهر في النهار وليس في الليل، هذا هو الفرق ببساطة.. منْ يعلم ربما هو جالس بيننا الآن.

سأله أحد الزبائن سؤالا محددا ووحيدا عندما شاهده يقلّب قطع الدومينو ويبحث عن "الدوشيش" ليخنقه.. سأله بالعراقية الشائعة:

- عباس شنو الفلم؟؟؟قال له:

- عزيزي. والله ما أدري.. يقولون فلم هندي ما ينفهم.. البطل فيه طنطل عراقي، لم يرتدِ دشداشة بيضاء هو هكذا مثلنا .. يقولون لا يمكن تمييزه بسهولة، أنه يشبهنا ..

- متى ينتهي الفلم؟

- حتى لو طلع القبيص يقولون.. ما يخلص الفلم.. تذكّرْ نهايات الروايات.. فتعرف حتما ما سيحلّ بنا .. نهاية هذا الفلم العراقي في علم الغيب والله أعلم.. أنت مال أكل ونوم اشجابك على الثقافة ..

- وأنت؟

- أنا مفكر اشتغل قهوجي من موقع أدنى..

❖

جلس عباس مخلوف واضعا ساقا على ساق في مكانه المفضل في مقهاه يشرب ناركيلته المفضلة بطعم تفاحتين.. قال:

- التقيت أحد المرات بمخبر سرّي مُكلّف لاختراقه من خلال المراقبة الدقيقة لعزران. المخبر شمّ أثره في أثناء عمله بمراقبته نورا وسامر في سوق الشورجة.. قال لي: " أخي عباس إنه لمن غرابة الحياة البغدادية أن تراقب بحذر شديد وتخفٍ - شبحا - من زئبق وهواء وخيال".. كانت المسافة بيني وبينه تتيح لي التلصص عليه بشكل مريح سواء كان في الشورجة أو على جسر الشهداء وهو يراقب شاب وشابة .. يمشي دون أن يتلفت ويهز بمسبحته.. تنقطع المراقبة عنه في ساعة دخوله الى بيته ودخوله مطبخه أو في غرفة نومه، كان يؤدي عمله بتفانٍ، لكن النتيجة كانت سلبية للأسف.. إذ لم احصل على شيء مطلقاً في أثناء دورة المراقبة لمدة يوم كامل.. "زيبق" كلما حاولت وضعه في حدقة العين ينسل منها ويتحول الى دخان مجرد .. بالمقابل استطاع

عزران أن يحصل على تقارير مكتملة عن حركتي وقد أخبرني بعدد المكالمات الواردة في هاتفي وعدد الرسائل المرسلة أو المستلمة.. عن المرات التي دخلت فيها الى المراحيض العامة في الشورجة في أثناء المراقبة الفاشلة..

عاد عباس مخلوف الى تدخين متواصل من ناركيلته، ثم أخبرجلاسه بما كانوا ينتظرون من نهاية لحكاية عزران:

- ما كو فايدة.. عزران طلع لا أمريكي ولا إسرائيلي ولا هم يحزنون.. طلع عراقي قرص مثلنا.

❖

كان الحديث صاخبا على تخوت المقهى بعد تفجير يوم 11/5 عما حدث في عرض البلاد وطولها.. زبائن المقهى انقسموا الى فريقين، كل فريق يدافع بحماس عن فكرة آمن بها.. الفريق الأيسر يؤمن إيمانا قاطعا بوجوده المتجسّد الكلي.. أما الفريق الأيمن فريق التديّن، كان يدافع عن فكرة القدر المُنزّل.. كل ما في الأمر إنه مجرد رجل من زئبق، متخفٍ بربطة عنق رمانيّة بخطها الأصفر ومعطفه الأخضر المستنسخ من معطف الرئيس "حامد كرزاي".. لكن التضخيم والإشاعات هي نتاج ما يحدث يوميا في الشوارع.. عباس مخلوف صاحب مقهى النزيزة هو أول من قال إن عزران ربما يكون أي واحد منا في لحظة معينة.. ومخلوف هذا لم يكن صاحب مقهى فقط إنما رجل تاريخ وثقافة شعبية بقدرته العالية في إدراج الحجج وقدرة الاقناع لديه عالية جدا، في أثناء النقاشات الصاخبة على تخوت مقهاه.. يتدخل في كل نقاش يحدث بين اثنين من الزبائن.. ثقافته نتاج وعي مبكر وليس نتاج الكتب المعرفية.. وهو أيضا لغز بغدادي محيّر ينظر له بريبة في الأيام التي يغلق فيها المقهى قبل حدوث حملة تفجيرات المقاهي في رمضان الفائت..

يتجسد في الظل والظلام وفي عتمة غبار أيام نيسان تظهر صورته في دخان المفخخات المنفلقة، بل يتجسد حتما في أيام الغيب والظهور.. في الصوت والصدى.. في الطريق والأثر.. يرتاد عزران مقهى عباس مخلوف ويجلس بين فريق الدومينو ليتلاعب بقطعها، ينشب قتالا داميا بين المتباريين على طريقة الغش المُبيّت.. ثم ينسحب خلسة دون الشعور به بعد فوات الأوان..

لا يريد البعض الخوض في مسألة الوجود والعدم، فتلك اشكالية دثّرها الزمن بدثار مخلفات واقع مفخخ بين الرصيف القلق والشارع الدامي..

فيما ذهب بعضهم الآخر من متفلسفي مقهى عباس مخلوف يدحض الفكرة نهائيا ويعتبرها محض خرافة ليس الا.. الكل في المقهى يناقش في كل شيء بعيدا عن التخصص، حتى تحولت المقهى الى كتل متضاربة من محللين ستراتيجيين بكل الأمور العالقة.. بين الفريقين.. الفريق المؤمن بوجوده قالوا إنه مؤامرة كبرى تحيكها أمريكا واسرائيل على هذا البلد، خصوصا بعد خروج امريكا من الباب، يعتقدون بعودتها من الشباك، أما الفريق الآخر فكان ينكر وجوده المحسوس، ويتبنى الفكرة الغيبية السماوية ويختصرها بـ" سوء عاقبتنا .. سوء أعمالنا" ..

ثمّة صراع خفي يظهر تارة متجسدا على سطح حوض الأسماك، أيام اشتداد المحن المتوالية، وتارة أخرى تختفي ملامح هذا الصراع.. يكتفي الفريقان بما ترسله الفضائيات من تحليلات ساذجة عما يفعله عزران بهم.. قال عباس مخلوف بعد أن توجّب عليه الحديث بلغة ثقافية عالية المستوى :

- أنا مثلا بطبيعتي كصاحب مقهى، محلل ستراتيجي في أنواع الشاي المخلوط من شاي أحمد الى محمود والوزة.. مؤمن بوجوده

المحسوس غير الملموس، فأنا علماني حد القشر لا يمكن أن اتبّنى الفكرة القدرية الغيبية.. مادامت أفعاله على الأرض محسوسة وملموسة فلابد أن يكون متجسّدا، لكن المصيبة إننا عميان، انضممتُ بمحض إرادتي منتميا لفريق الوجود هذا.. نحن وجوديون نتبارى بتجسّده الواقعي بعيدا عن التفلسف.. تمثّل لنا في شوارع بغداد كقضاء متعجّل لامناص منه.. فريق العميان عندما يتلمسوا جسم الفيل الضخم يعطون تصورات مضحكة لنتائج التلمّس..

في المقهى هناك فريق منزوٍ مناهض لفكرة وجوده، تحولوا الى قدريين كليي النزعة "لا أدريين" بتفاصيل الواقع العراقي الحامضي..

- ألم أقل لكم أني محلل ستراتيجي، أرفض التعامل الفج مع الفضائيات الباكية الباحثة عن سر عزران، قال أحد القدريين:

- عمي لا شبحي ولا هم يحزنون.. كل ما في الأمر إن عزران واحد منا.. قدر مكتوب على الجبين.. مكتوب علينا، فالشقاء في الحياة وما بعدها إنما هو أختبار للإيمان.. هكذا قالت الكتب القديمة.. ليست لعزران أية علاقة بقدرنا المحتوم. هو مكلّف برسالة وكفى.. قال رجل جلس بين الفريقين، يرضع سم الأيام البيض من ناركيلة بطعم التفاحتين:

- غلط.. كل ما في الأمر.. أن حياتنا لعبة قرقوزية خيوطها المتخفّية يحركها عزران بغدادي لا أمريكي ولا روسي.. يشبهنا في الصورة والصوت، لكن أصابعه طويلة جدا، تدخل في أي ثقب من ثقوبنا فقط.. انتبهوا على مؤخراتكم وتحسسوا ثقوبكم.. فهو يختلط بين الناس سواء في الشورجة كما في باب المعظم أو في بغداد الجديدة قرب السينما، ليس بيده كل الأنفس كما يعتقد الناس.. لكنه يتوسط ليمنح

ما يشاء من الحياة ويقضي على أرواحنا الفائضة عن الحاجة وقت ما يشاء.. ثم قال قدري آخر:

- يابه إخوان ترى هذا الكلام حرام ثم حرام.. عمي أنت أتق الله.. ستحل الساعة وتتضّح الأمور لا تتعجّلوا المصير.. إنكم تتزندقون وتكفرون والعياذ بالله منكم ومن أفكاركم. بالنسبة لي حَرَمت عليّ مقهى عباس مخلوف الى يوم الدين، مثلما تحرم زوجتي عليّ..

❖

تعمّد السيد سكرتير التحريرمحمد رياض الوادي من شطب موضوعة طيور معبد "مئير طويق" التي كانت "منزوعة الريش" في اليوم الذي نصبت أعشاشها فوق قمة بنايته، ثم طارت الى جهة مجهولة في لحظة الانفجار.. حتى التحقيق الذي بثته قناة الحرة – عراق، عن خرافة عزران التي أنتشرت بين الناس البسطاء لم تفلح في ثني توجهات الناس في تصديق وتلقف أخباره.. شيئا فشيئا تحول الوادي في سرّه من نافٍ لفكرة عزران الى مصدق لها خصوصا عندما يكون وحده في غرفته بالمجلة..

- أنها نفس الزرارير"منزوعة الريش" التي يشويها باعة العربات في البتاوين أيام ليالي الأنس في البتاوين، وهي نفس الطيور التي حامت في منطقة عباس أفندي وعمارة الضمان وقنبر علي ومحال الشورجة الواطئة، ثم طارت ولم تعد.. ربما كان عزران مغرما بتناولها ليلا.. آه لو يتكلم معي ولو مرة واحدة لأراه وأصدق حكايته وأرتاح..

❖ ❖ ❖

-6-

رصيف باب الأغا

أما سامر ونورا فقد واصلا مسيرهما مزدانين بعلامات العشق الأولى، التي تلبّستهما تماما كثوب أبيض. يسيران بين جموع الناس المتبضّعين من الشورجة، وخلفهما عربات الدفع اليدوية محمّلة بالكراتين طوال شارع الرشيد .. وما أن تجاوزا عقد الصفافير ووصولهما بالكاد قرب سيطرة باب الأغا، حتى فزّت نورا ولاذت خلفه مذعورة، لمنظر الرؤوس المقطوعة الحليقة وهي معروضة بنسق طولي فوق منضدة على رصيف باب الأغا ولا من خبز حار مثلما يذكر المثل البغدادي.. المنظر البشع لعشرة رؤوس لخرفان مذبوحة على الطريقة الجديدة في الحلال المخيف، مغمضة الأعين بأسنان مكشّرة بيض وجلود مسلوخة..

- سامر عفيه أخاف من هذا المنظر لنخرج بسرعة أرجوك..

بعد التخلص من هذا المنظر الذي أفزعها، تزايد عليهما ضجيج الباعة في لحظة عابرة، كانت المناداة بمكبّرات صوت وبتسجيل إلكتروني مُكرّر وممل، حتى اصطدما بصياح سوّاق الكيّات العابرة الى صوب الكرخ عند رقبة الجسر في ساحة الرصافي..

- عدن عدن عدن.. عامرية عامرية عامرية.. بيّاع بيّاع..

يترتّب عليهما الآن التوجّه بسرعة نحو جسر الشهداء وتجاوز بناية متحف التراثي البغدادي المُغلق كعادته، وغالبا ما يقف على بابه تمثالان شمعيان من أفراد الشرطة بملابس رسمية وبنادق من شمع،

تحجب الشرطيين الشمعيين ماكنة توليد كهربائية عملاقة بعضا من هذا المشهد ..

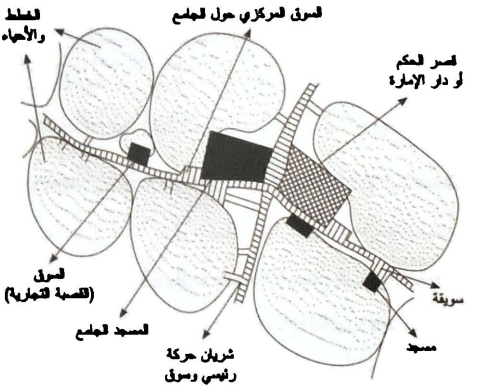

(عزران يرسم بأنفه شورجته التاريخية)

كانت الخطّة شديدة التناهي بالتفاصيل الصغيرة، ومرسومة لهما رسما دقيقا من قبل المنظمة، يقتضي أطلس الخريطة بالتوّجه نحو جسر الشهداء وتخطّي سيطرة الجسر العسكرية للتخلّص من زحمة الناس والعربات والزعيق بظرف دقائق معدودات.. الشوارع مغلقة والمشهد يتكرر في معظم مناطق بغداد هذا الصباح.. لم يوضع في حسابهما كل هذا الضجيج المختلط بزخم مروري عظيم.. توقفا قليلا في أعلى الجسر لإطعام نوارس دجلة بحبّات الذرة البيضاء، لتخفّ وطأة الفزع والغثيان الذي شاهدته نورا على رصيف باب الأغا وكادت تتقيّأ..

راحا يتأملان مجرى نهر دجلة الخجول بمويجاته الثملة.. وثمة حمامات حزينات يطرزن هذا المشهد، كل حمامة تقف على قدم واحدة تتشمّس، تداعب ريش أجنحتها المبلل بمناقيرها فوق حافة قبّة جامع

الوزير.. يفصلها عن سرب آخر قبالتها حيث تقف مجموعة أخرى على حافة افريز قبّة جامع الآصفي بمنارته اللازوردية وزخارفه السلجوقية المتناظرة..قال في نفسه: " ياسبحان الله.. جامعان متقابلان كل جامع لجماعة باقيان على أمد الدهر"..

قالت له نورا البنت المرحة:

- لماذا يسمّونه بجسر الشهداء؟ لم يجد سامر من جواب جاهز، لكنه قال:

- أعتقد أنه أكثر شهداء هذه الأرض هم في بغداد وعلى مر العصور.. ما أعرف بالضبط أية كوكبة من الشهداء مقصودة سُمّيَ على أثرها هذا الجسر..ف "الشهداء أكثر منّا" هم هكذا يقولون..

لم تقتنع نورا بالإجابة.. أدارت وجهها البيضوي كخبزة التنور نحو جهة وسط النهر تتبع مويجات أحدثها، ثمة "زورق بمحرك ميكانيكي" يعبر بسرعة خاطفة الى ضفة الكرخ.. بدا عليها منتشية رغم كل هذا الخراب المحيط.. رغم الاحساس العالي بالفجيعة والفضاء المخيف المخيّم على أرواحهما، تريد إطعام نوارسها السابحة في الهواء العذب فوق الجسر واللعب قليلا معها قبل استئناف المشي نحو الهدف.. كل يوم عمل تقريبا ستمارس هذه اللعبة حتى تعتاد النوارس في موسمها على طعم كفيها.. بدت النوارس مستكينة الى قدرها تداعب كفّي نورا بشغف، وهي تعيش في الحد الفاصل بين قطبين متنافرين بين الكرخ والرصافة في هذا الوقت المحتدم من رواية التأريخ التي تتقاذفها الناس هنا ككرة نار ملتهبة، لا يعكر لعبها إلاّ صوت الانفجارات المرعبة وزعيق سيارات الشرطة أو سيارات الإسعاف وهي تمرق بسرعة البرق فوق جسر الشهداء.. قالت:

- يمته ياربي الفرج؟؟ مو والله تعبنه ومليّنه!!!....

تذكّرتْ في تلك اللحظة الجسر الرابط بين قارتين على مضيق البسفور في تركيا، حاولت أن تتذكر اسمه فلم تفلح، لكنه ليس بجسر الشهداء هذا كل ما تتذكره.. الأتراك يحبون الحياة أكثر منا.. بعكس الناس هنا فهم يحبون الموت ويشغفون به أكثر من الحياة ليمقتونها..

في أثناء سفرتها الوحيدة لها مع العائلة صيف العام المنصرم وبعد انقضاء مراسم عزاء أخيها الشاب "رائد" الذي مات مغدورا بأحد شوارع الغزالية.. لكن الحسرات تكسّرت في قلوب العائلة رغم سفرة الترويح.. تحسّرت على حياتها القلقة هنا.. حدّثت نفسها قائلة: " الموت يحيط بنا من كل مكان وزاوية.. ينصب شباكه لاصطيادنا، علينا أن نستغل فرصة الحياة الشحيحة بالقوة"..

يضرب النسيم البارد الهاب بغزل على وجهها الحنطي الريان، ويلاعب خصلات شعرها المنفلتة من تحت حجابها الماروني.. يلتقط لها سامر صورا بلقطات مختلفة بهاتفها السامسونج / كلاكسي لقطات أخرى مع اقتراب النوارس من أصابع يدها الرخامية، دون أن يجرؤ على مفاتحتها بشأن رقم هاتفها الخاص.. هي تلهو فوق أعلى مكان من الجسر.. تنظر بشغف طفولي الى ضفة النهر.. ومويجات الزوارق المارقة تعكر قليلا من وقوف نوارسه الرشيقة المرحة فوق صفحة ماء دجلة الحزين..

مثل تيار كهرباء سرت جرعات العشق في بدن سامر وارتعش بلحظة عابرة لها وتمنى أن يحتضنها ويطير بها مع جوقة النوارس السابحة.. تظهرهي في خلفية صورة الهاتف في الأفق البعيد وثمة غمامة دخانية رمادية تتجّه بسرعة نحو السماء، يلحقها صوت انفجار

بعيد جعل المارة فوق الجسر يتلفتون ليحثوا الخطى في السير والنزول من الجسر تاركين جوقة النوارس تداعب الشطآن لوحدها مذعورة خائفة.. قال:

- دائما يومنا أفضل من الغد.. الأمس هو أفضل من اليوم والغد.. نورا الوضع غير طبيعي، أما ترين الناس خائفة وهي تنزل مسرعة وحركة الشارع بدت تتقلّص.. لننزل من الجسر بسرعة أرجوك، فقد بدأت موجة تفجيرات جديدة نورا..

لهذه النوارس قصتها الحزينة اللافتة للنظر، فهي تختفي عند سماعها صوت الانفجارات وأصواتها المجلجلة في جانب الكرخ.. تدفن نفسها في أجمات القصب في جانب الرصافة خلف جسر السنك.. عندما يحدث انفجار ما في منطقة الصدرية مثلا، تهرب نوارس الرصافة مفزوعة خائفة لاجئة لضيافة مؤقتة عند نوارس الكرخ وأعشاشها العشوائية في ضفة الشوّاكة بجانب الكرخ وعموم ساحة الشهداء المزدانة بالمفخخات وهياكلها المحروقة..

ثمة صدى في الأفق يتردد بعد صوت التفجيرات.. إنه صوت قهقهات عزران يزخرف المشهد في فيديو هاتفه الكلاكسي..

كان عليهما في اللحظات القادمة الانعطاف بعد الجسر مباشرة وبسرعة، ثم التوغل يمينا حيث الهدف المحتمل في منطقة النزيزة القديمة. في الجانب الآخر قرب مقبرة الكرخ المسوّرة في بداية منطقة الرحمانية المقابلة للعطيفية.. خريطة المنظمة الملونة تشير بعلامة مستطيل مائل وبداخله مستطيلات بنّية اللون وصغيرة نسبيا داخل الخريطة، تلك التي زوّدهما بها المدير التنفيذي.. غير أن قصاصة ناجي قطامو لم تحدد لهما موقع الهدف قرب المقبرة.. المقبرة التي يتغيّر شكلها

مع دوران الزمن.. تتّسع وتتجدد كل يوم فتبتلع الأجساد الطرية الهامدة تحت ترابها من دون أية حركة..

أخفى سامر باج المنظمة بشريطه الأزرق في جيب بنطلونه.. الباج الذي يُدرج به اسمه كاملا ويشير الى تولده 1988 وصورته الملونة بوجه حيادي ولحية خفيفة.. يشير الباج أيضا في صفحته الثانية الى موقع سكنه في منطقة شارع فلسطين، قرب مطعم الصخرة.. المنطقة التي تمّ صبغها بلون واحد.. كان الأب يعمل مشرفا اختصاصيا في تربية الرصافة الأولى، أما الأم فهي معلمة متقاعدة أقعدتها الأحزان كمدا على أبنها "احسان" الذي ابتلعته آفة حرب الاحتلال الأخيرة.. سامر أنهى دراسته الجامعية في هندسة الحواسيب دون أن يحصل على فرصة عمل حكومية، مما أضطره للعمل في "منظمة إخوان" الإنسانية التي يرأسها السيد "أركان الموسوي" مع كادر دُرّب على الإدارة العليا المتطورّة لعمل المنظمات غير الحكومية والتي ترتبط بواحدة من روافد هيئات الأمم المتحدة.. استأجر السيد أركان لإدارة عمل المنظمة بيتا فخما في منطقة الحارثية خلف شارع الكندي الشهير بعد مجمع الأطباء.. جاء في تعريف المنظمة في قطعة الدلالة خلف باب الدخول الرئيس ما نصّه:

"منظمة إخوان الإنسانية تعمل على مساعدة الديانات المقموعة التي تعاني من اضطهاد الأكثرية وقمعها المتواصل ونشوتها بتعداد أفرادها".. استطاع السيد أركان برشاقة أن يسجل منظمته في شعبة المنظمات الإنسانية العاملة في العراق والمسجلة في مكاتب مستقلة تابعة لمجلس الوزراء.. بعد أن أنهى كافة إجراءات إجازة المنظمة الإنسانية من المجلس المذكور حيث سُجّلت تحت الرقم (1345).. مُنحت رخصة

العمل والتنقل الميداني لكوادره وإدارة متطلبات البحث عن المتخفّين من الأقليات في جميع محافظات البلد..

أما نورا الشابة الجميلة ذات الجسم الممتلئ قليلا والفخذين الملفوفين والمتلاصقين من أعلى الورك، ثمة فسحة مرسومة بدقة ما بين الساقين تزيدهما جمالا، فبانت فتنتهما الساحرة تحت بنطلونها الكابوي الغامق الضيّق، أنهت الدراسة الإعدادية وكرهت التواصل بدراستها الجامعية بعدما أحبطها المعدّل المنخفض الذي قذفها نحو المعهد الفني ضمن نطاق مدينة العمارة الجنوبية.. رفض والدها الدراسة في المعهد المذكور.. خاف عليها كثيرا للذهاب الى ذلك المكان البعيد عن بغداد، حيث لا يعرف درجة الأمن المتوافرة في أيام شحّت فيها درجات الأمن الفردي.. نورا من مواليد 1990 من منطقة الغزالية السنيّة البغدادية لم ترَ في حياتها مدن الجنوب الشيعية مسبقا..

في ذلك اليوم المخصص لهذا الواجب الصباحي، حيث تطلّب "أوردر العمل" التوجّه الى منطقة النزيزة في جانب الكرخ والبدء بالبحث عن الهدف الأول "أليس رغيد" وتسجيل كل المعلومات المتاحة في جولة استطلاعية أولى، ثم تلحقها جولات أُخر لتدوين البيانات الساندة في خريطة البيانات.. عن الهدف المحتمل وهو مواطن بسيط يعتقد أنه متخفٍ في منطقة النزيزة وفقا للبيانات.. وهو أول اليهود الثلاثة الذين كُلّفوا من قبل المنظمة للبحث عن تتبّع أثرهم وانتشاله من مستنقع النزيزة.. رغم أن الأعلام العالمي يؤكد على العدد "سبعة أو تسعة".. فتحديد العدد الإجمالي للمتبقين وفقا للوثائق العالمية المتضاربة سيحتاج منهما حتما الى جولات ميدانية متواصلة لتحديد حقيقة الأعداد ثم إنقاذ ما تبقى منهم..

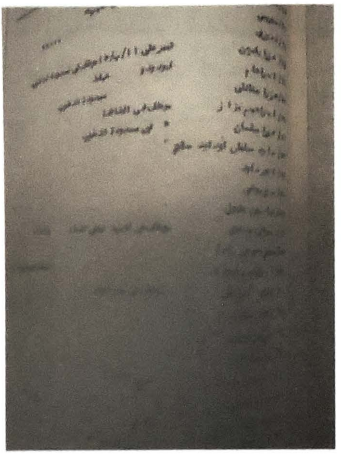

قائمة باسماء مَنْ تبقى كما يعتقد

غير أن سكرتير مجلة نوارس الأستاذ الوادي يؤكد بيقين ثابت أن عددهم تقلّص الى ثلاثة أو أثنين فقط، فبعد موت (أنور مراد بطاط) في حادث السيارة المفخخة كما يعتقد التي ضربت مجلة نوارس يوم 12/5 ليصبح عددهم النهائي اثنين فقط، نافيا بذلك رواية وثيقة ويكيلكس في احصائية الوجود والبقاء.. يذكر الوادي بهذا الصدد:

"في عام 2008 ذهبت لمقبرة اليهود الجديدة التي انتقلت من منطقة النهضة الى صدر الحبيبية قرب عماراتها السكنية وحاورت الأخ أبا عمر البياتي حارسها ودفآن مقبرة اليهود، اطلعت بنفسي منه على عدد الأموات منهم والأحياء في فترة ما بعد ال2003، قال رجل المقبرة":

- في عام 2008 جاءتني آخر جنازة ليهودي بغدادي وهذا كما ترى هو قبره.. رجل مُسن يدعى إبراهيم ناحييم جاءت جنازته سرا من الناصرية، يقال إنه كان يعمل فحاما في المدينة وله ولد وحيد يدعى

داود ما زال يعيش في المدينة متخفيا، تقاعد ابراهيم عن العمل في آخر أيامه وأصبح حبيس منزله حتى وافته المنية وخلّف ابنه محاصرا داخل أسوار المدينة الجنوبية ذات المسحة الحماسية لكل ما هو جديد..

- وأنت؟

- أنا حارس المقبرة منذ عشرين سنة تقريبا.. هذه الأيام لا يوجد عمل لي مثلما ترى سوى حراسة الوحشة واللعب مع طيور الغاق التي تحوم على فناء المقبرة الخربة والتي تتعرض لتهديدات الحواسم ليبنوا بيوتا فيها.. لا أحد يأتي ولا أحد يغادر، سوى بعض النسوة العاقرات يأتينَ للتبرّك ببركات اليهودي المرحوم "سيد بليبل"..

- منْ سيد بليبل هذا.. سألته.

- رجل أثبت بالملموس للعاقرات بركاته التي فاضت عليهنّ، أن تقفز العاقر على سبعة قبور لموتى يهود من هذه المقبرة، ليتحقق نذرها وقت غروب شمس عدا غروب شمس ليلة سبت من ليالي الاسبوع.. بصراحة سيد بليبل هذا رجل مبارك في حياته ومماته.. شاهد هذه لطخات الحناء على قبره وتلك الهدايا التي تأتيه أتبرّك فيها وأخذها لعائلتي.

رسالة فضائية ثالثة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير سيدي الكريم:

سأحكي لك اليوم عن ابن عمي "بكر" لما له من أثر فاعل في مجرى حكايتي.. طوال حياته كانت عينه عليّ، ولم يتقدم يوما لخطبتي أو يفاتحني بما يجول في نفسه.. كان مدركا تماما الفارق في المستوى العلمي بيني وبينه.. هو اكتفى بشهادته الإبتدائية.. كان شغوفا في عالم السيارات وقيادتها منذ مراهقته.. بكر من مواليد 1975.. لكنه يحاول أن يقفز على سنيّ عمره.. دخل السجن مذ كان مراهقا نزقا في زمن صدام لأكثر من مرة بقضايا شتّى، أما هروب من الخدمة العسكرية أو قضايا مشاجرات عنيفة متعدّدة وقضايا أخرى غامضة لها طابع إجرامي. لكنه خرج من عقوبة السجن الشديد في عام 2002.. عندما شُمل بالعفو العام لحظة تبيض السجون قبل بدء حرب الاحتلال الأخيرة.. جمع ثروة كبيرة في الأيام الأولى للاحتلال.. استطاع من اقتحام أحد المصارف بمعية عصابة "حواسمية" مسلحة، مما أهلّته لجمع ثروة سرعان ما بددّها على ملذاته.. كذلك استطاع من اقتحام المتحف العراقي والسفر إلى الأردن لمرات عدة لبيع مجموعة الآثار المهربة، فهو يتاجر بكل ما هو محضور وممنوع.

في عام 2006 أدخل سجن بوكا الامريكي لبيعه صاروخا مطوّرا من حقبة النظام السابق، باعه على جماعات مسلحة.. خرج من السجن في نهاية العام وهو يميل الى التدين الظاهري الجديد ومناهضة

الامريكان والحكومة التي يصفها بالطائفية.. حكومة تساعد قوى الطاغوت المتكبّر كما يصفها، سلبت الحكم من طائفته بقوة السلاح الامريكي.. أصبح بكر نزيلا دائما في كافة السجون العراقية، سجن الشرطة الاتحادية وسجن بادوش والحوت والعدالة وأسماء أخرى لم أستطع حفظها.. وفي كل مرة يخرج يكون فيها أكثر تطرفا وميلا الى العنف المسلح. السجون غيّرت من طبيعة شخصيته وجعلته أكثر ميلا للعنف المسلح والجرأة العنيفة وأستخدام السلاح في المنازعات.. أعتقد أن السجون كانت سببا في تطرفه الديني، وهو الذي لم يكن في يوم متدينا قط.. حكى لي يوما ما بعد خروجه من السجن أن الجماعات المسلحة تدخل بعض أفرادها للسجن لمفاتحة المساجين في العمل المسلح.. السجن هو المكان العملي للتنظيم المسلح.. كان قريبا كل القرب من أبي، وعندما يزورنا في بيتنا، أجده يتحدث مع أبي في مواضيع المقاومة والتحرير والسلطة.. أرى نظراته الشبقة نحوي عندما أقدم له الشاي في غرفة الضيوف أو تناول العصير في حديقة المنزل.. يأخذ شهيقا عميقا ليتنفس عطر جسدي دون أن يأخذ أبي باله من تصرفاته.. تطور الأمر كثيرا وقد أخذ يراقبني حتى أثناء عملي في المنظمة..

في أحدى المرات وكنت في الطريق مع سامر لممارسة عملي الميداني في جانب الكرخ، ترجّل من سيارته وأصرَّ على توصيلنا الى منطقة النزيزة، في أثناء الطريق استطاع من توصيل رسالته الى سامر وتحذيره من التقرّب مني.. قام بشتم الحكومة والأمريكان وحديثه الحماسي عن المقاومة في محاولته للتعرف على ردود فعل سامر، ومنها سيحدد موقفه الرسمي وتحديد خلفيته التي على أثرها سيتحدد الموقف منه.. سامر كان ذكيا في تغليف نفسه بطبقة من الصمت المُحيّر

لبكر .. منذ تلك الحادثة وبكر يحاول معي للتعرّف على كل شيء عن خلفيات سامر ووضعه الاجتماعي، مع تعاظم شكوكه في علاقة الحب بيننا . يحاول التذكير دائما بمقتل أخي الكبير على يد الميلشيات.. التذكير ايضا بأن دمه لم يجف بعد .. وعملية الثأر من قاتليه ما هي الا مسألة وقت ليس إلا .. بكر كان يرتبط بجماعات وشبكات من العلاقات المختلفة والمريبة..

أما أبي فكان الشخصية العسكرية وصاحب البطولات التاريخية في حرب القادسية، بدا لي متعاطفا مع بكر الى حد كبير.. أبي تحوّل الى رجل ضعيف تأخذه الأفكار يمينا وشمالا .. أجده بحضور بكر يمتدح المقاومة بشدة، وعندما يغيب ويجلس أمام التلفاز يذم أفعالهم التي يذهب ضحيتها الناس الأبرياء وأطفال المدارس.. يلعن اليوم الذي ظهر فيه عزران ومرات يمتدح عزران ويعتبره منقذا وبطلا للكثيرين.. كان أبي متذبذبا ضعيفا، غير مقتنع بكل ما يحدث في هذا البلد .. كثيرا ما كان يميل الى التشدّق بشخصيته العسكرية القديمة.. يعلّق بدلته بكامل رتبه العسكرية والنياشين وسيف القادسية وأنواط الشجاعة ووسام البطولة في غرفة المعيشة.. ثم يستلقي ممددا على فراشه لساعات لتأمل منظر البدلة العسكرية وهي تتدلى على الجدار ويشم رائحة النياشين ويقلب ألبوم الصور ليبكي ثم ينام..

أصبحت سيدي الكريم أخاف من تدخّل بكر في حياتي الخاصة، وما يحيّرني هو الصمت المطبق من أبي، رغم قلق أمي من ذلك الأمر.. خفت كثيرا على سامر من غدر بكر له.. وحذّرته أكثر من مرة منه..

أووووووف بماذا أتحدث لك سيدي؟ هل تعلم أنه يدخل حتى إلى غرفة نومي ويعبث بمحتوياتها في أثناء غيابي بالعمل بحجة السؤال عني

يدخل غرفتي ويعبث بها .. حياتي الخاصة أصبحت متاحة لبكر وتدخلاتها بكل عنجهية وصلف ونزاقة، يفتح كنتوري الخاص ويقلب حتى اشيائي السرية.. تلميحاته بالتدخل الذي سينهي كل ما لا يرغب فيه.. متذرعا أن هذه المنظمة هي موقع جاسوسي على خريطة العراق.. يجب القضاء عليها عاجلا أم آجلا..

سألته في احدى المرات عن ما يحدث في بغداد ولمصلحة مَنْ هذا الذي يحدث.. قال لي جملة واحدة فقط..

- هل شاهدت عزران أو سمعت به؟

- نعم سمعت به ولم أشاهده..

لا أعرف ما هو مقصده من اختصاره الشديد هذا..

في الغد سأكمل لك ما حدث..

تحياتي سيدي..

نورا

-7-

نورس يتيم فوق جسر الشهداء

يد متخيلة لعزران

(لوّحا بأكفهما للنوارس الفضية مودعين لها على أمل اللقاء في غد أفضل.. غد خالٍ من الرماد، والأيادي الطويلة التي تطمح في القبض على حياء النوارس فوق الجسر..)

في صباح اليوم التالي واصلا رحلتهما نحو الهدف المرسوم لهما.. وفق قصاصة ناجي قطانو. تجمّع حولهما بعض من متسوّلين وكحوليين نهاريين وشمامين أبديين.. استطاعا من تجاوز عقدة أصوات الانفجارات الضارية هذا الصباح وقهقهة عزران المدوية في الأفق.. نزل سامر ونورا من جسر الشهداء مهرولين نحو ساحة الشهداء العابقة برائحة السمك اللابط بعربات البيع المباشر في الشارع الضيق المحاذي لدائرة التقاعد العامة في صوب الكرخ قرب سوق الشواكة.. ثم ما انفكا الانعطاف ليتجاوزا حشود المتقاعدين المراجعين لدائرة التقاعد العامة.. انعطفا نحو اليمين بسرعة، وفضّلا قطع المسافة المتبقية مشيا على

الأقدام رغم بعد مسافتهما المتبقية للتخلّص من التوقفات المملة في تقاطعات كثيرة لحركة السير والسيطرات الروتينية القاتلة.. وحتى يكملا تلك المهمة الاستطلاعية الأولى لهما كان عليهما التذاكر في الطرق الواجبة لأسئلة الناس في منطقة النزيزة دون إثارة فضولهم أو زرع الشكوك في نفوسهم.. حفظ سامر التوصيات الضرورية، خصوصا أن نورا قد بدا عليها الارتباك والخوف وزادت من كثرة تذكير سامر بالتوصيات الواجبة في التمويه بطريقة طرح الأسئلة على العابرين أو المقابلات الخاطفة، فقضية يهود العراق ما زالت مثيرة للشك لدى الكثيرين ومكمن المؤامرة على مر التأريخ، غدا مقت المواطن العراقي اليهودي جزءً من ثقافة سائدة.. من دون التفكير بمواطنتهم وأحقيتهم في العيش حالهم حال الأقليات الأخرى.. أخبرهما المدير السيد أركان عن نبذة مختصرة ومحايدة لتاريخ يهود بغداد .قائلا : "إن الفعل السياسي التعصّبي والفكر القومي الشوفيني في عقود مضت، قلبا كل المفاهيم في المنطقة وفي هذا البلد خاصة في حرق وتهجير بهلكوست بغدادي قلّ ما يتحدّث عنه التاريخ المدوّن لبغداد .. حيث يُعد هذا الأمر من ملفات سرية للسلطات لا يستطيع الأفراد الحديث فيه.. أنها توجهات الحقب السياسية الغابرة في التأثير على الجماهير المستسلمة لأفكار ساستهم وتصديق ما يذهبون اليه من أفكار غريبة" ..

في هذه الأثناء خفّت وطأة الخوف لدى نورا، بعد أن استطاع سامر من بث روح الطمأنينة والهدوء في نفسيهما .. أخيرا أحسّت بارتياح مزدوج، أولاً كونها مع زميلها سامر وبمعيّته، ثانيا لأنها في صوبها المفضّل لديها والفاصل عن صوب الرصافة الصاخب بالموت والغدر لمثيلاتها، لكن سامر في داخله أحسّ برعشة فزع من صوب الكرخ الواسع بساحاته، بعيدا عن وصايا أمه وخوفا من ظهور مزعج لبكر في

طريقهما .. غير أن برنامج الاستشعار لم يرنّ هذه المرة كمؤشر لخطر ما .. فقرر السير مع نورا نحو هدفهما معا الى النهاية..

ثمة أشعة سحرية حاول عزران إرسالها بكل قوته، لكنه تفاجأ بقوة الشعاع الخفي لتواشج خطوط الأشعة التي تعانقت بين سامر ونورا وهما يقطعان المسافات المتبقية للهدف في صوب الكرخ..

- سامر وين بيتكم؟
- بشارع فلسطين.
- خريج مو؟
- نعم علوم حاسبات.. وغير متزوج .. وغير مرتبط و....
- هههههه.. أشو ما صدّكت راح تقدم لي سيرة حياتك..

كان الوصول الى منطقة النزيزة عبرَ اجتياز شارع حيفا الطويل بكل عماراته الشاهقة حتى الوصول الى ساحة الطلائع الفارهة، ثم ينعطفان بعدها نحو الرحمانية والوصول الى النزيزة.. للبحث عن الشخص المقصود وتسجيل بيانات أستطلاعية أولى عنه..

❖

خضعت نورا في المنظمة لأكثر من اختبار قبل العمل في المنظمة، كانت الاختبارات تتضمن إجادة اللغة الإنكليزية، واختبارات أخرى تتعلق بنظام الإكسيل في الحواسيب ودربة على نظام إعداد البيانات وقواعدها مع الاطلاع على السيرة الذاتية لها..

في أحد الأيام جاءت لها مكالمة هاتفية مختصرة تقول لها بحصر الحضور في اليوم الفلاني والساعة الفلانية.. حتى حانت الساعة التي

قابلها فيها المدير التنفيذي للمنظمة السيد أركان الموسوي، قال لها مبتسما:

- مبارك.. حصلت على الوظيفة.. ستخضعين مؤقتا لتجربة اختبار لمدة شهرين فقط وتحت المعاينة الميدانية لكشف روحية الاستقبال والتسليم سواء على مستوى الميدان والمسح والاستطلاع، أو على مستوى التفاعل بتفريغ البيانات الصوتية والصورية تحت برنامج الحاسوب الإحصائي للمنظمة.. فشعارنا دائما إعادة روح الأخوة الإنسانية المفقودة على هذه الأرض..

"أليس رغيد حزام - هذا الرجل سيكون ترتيبه الأول في برنامج البحث بعد تحديد مكان تواجده.. ستكون المهمة هي الاختبار الأول لكما في المسح الميداني وثاني مهمة إنسانية في البحث الاستقصائي عن مجمل اليهود العراقيين العالقين بين الحياة والموت هنا..فقد قُتل الأول في حادث تفجير بشارع السعدون ولم تستطع المنظمة من إنقاذه قبل حلول الكارثة".

هذا ما أخبرها به المدير التنفيذي للمنظمة.. كان يتوجّب عليها إثبات الجدارة العملياتية لبرنامج التقصّي الميداني، ثم تدوين البيانات المستخلصة عنه ورفعها للمقر الأقليمي للمنظمة ليتسنى دفعها للمقر الرئيس للمنظمة العالمية في لندن التي يعتقد ان نعيم دنكور كان يديرها ويدعمها ماديا..

لكن اليهود المتبقين اختفوا على شكل دفعات عن طريق الهجرة غير المنظمة حتى فُقد أثر المتبقّي منهم بعد ارتداء ثوب التخّفي.. ضاعت أخبارهم بعد موجة العنف التي ضربت بغداد في عرضها وطولها.. رغم أن السيد أركان يؤكد تراسله مع اثنين منهم عبر البريد الالكتروني

فقط.. لكن مهمة من هذا النوع بدت تتكشّف صعوبتها شيئا فشيئا في أثناء نقاشهما وهما يقطعان شارع حيفا .. قال لها سامر:

- مَنْ سيدلنا على هدف غامض في هذه الظروف التعبانة نورا؟"

قهقهت نورا بضحكة جنونية قصيرة وردّت:

- عزران يدلنا هههههه.. أنت الرجل وأنت المسؤول الأول في رحلة البحث، أنا مجرد موظفة تحت التدريب بين يديك.. أنت ستتكفل بالسؤال، وأنا عليّ تسجيل الملاحظات في المفكّرة وتسجيل الصوت والصورة إن وجدا مكان الرجل.. أما يكفي أني معك؟ أطرد الوحشة عن طريقك..

ضحك سامر ولاذ بصمت عميق، منتشيا بعبارة نورا التي ظنّها استلطافا منها نحوه.. وبعد أكثر من سؤال مغلّف ومتوارٍ، توجّب عليهما الذهاب الى أفران البركة للصمون الحجري، خلف مديرية تربية الكرخ، ومنها سينعطفان نحو مقهى عباس مخلوف هناك، على وفق المخطط المرفق مع أطلس الحركة مدعّمة بقصاصة ناجي قطامو.. بدا سامر مشغولا بتصوير الشارع والمارة والبيوت والمحال بموبايله بطريقة موارية، حيث كان يضع موبايله بطريقة يبدو فيها أنه مشغول بالرد على مكالمة ما .. متخلصا من فضول الناس المستفزين أصلا لكثرة ما يمرّ بهم يوميا ..

-8-

اختطاف الوادي

في أحد أيام صيف 2011، السنة التي سبقت تفجير مجلة نوارس، حيث تعرّض فيها السيد محرر باب "غرائب قصص الحب العراقية" سابقا وسكرتير تحرير مجلة نوارس الحالي.. السيد محمد رياض الوادي الى حادثة اختطاف غريبة بعض الشيء.

ففي يوم 19/ حزيران في الساعة الرابعة عصرا بالضبط.. وحسب إفادة بواب العمارة السكنية المقابلة لبناية المجلة في شارع الأوسية، توقفت سيارة هونداي حديثة بيضاء اللون تترقب خروجه، وفي لحظة الخروج بعد نهاية عمله، تحركت السيارة ببطء وحذر شديدين ثم توقفت بالقرب منه.. ترجّل منها ثلاثة أشخاص يحملون مسدسات وبعد طلب هويته الشخصية، أجبروا الوادي المرعوب بالصعود معهم بعد وضع المسدس على رأسه ووضع خرقة على عينيه.. تمت عملية الخطف بوقت قياسي.. بدت السرعة في انجاز عملية الاختطاف أسرع من عملية مضاجعة عزران لزوجته في ذلك الصباح المشؤوم في يوم 11/5 من السنة التالية..

أُحتجز الرجل في مكان سري داخل أحد البيوت في مكان ما من بغداد، وضاعت أخباره حاله حال المخطوفين يوميا .. لم تحاول الجهة المختطفة مقايضته بالمال أو الاتصال بذويه وفك أسره مقابل مال مدفوع كما كان يتوقع.. لم يضرب أو يعامل بقساوة، كانت وجبات طعامه تصل بموعدها .. حيث كانت الخدمات الفندقية في مكان الإختطاف من الدرجة الممتازة.. بل تعامل خاطفوه معه بكل احترام..

عكس ما يحصل مع بعض المختطفين العاملين في الحقل الإعلامي، رغم أنهم في نهاية المطاف أجبروه وبكل الطرق للتفاوض على ترك العمل بالمجلة المشبوهة حسب رأيهم مقابل اطلاق سراحه..

ووفق وشاية ما، كانت الجهة الخاطفة تعتقد أن مجلة نوارس بكل بذخ التموين وأناقة الطباعة والاخراج المترف والمواضيع المثيرة لها ذات تموين خارجي.. عندما قال عزران قولته الشهيرة" الناس هنا تشبه بعضها" لديهم القدرة الفائقة في تزويق الوشاية بالغير.. لا حاجة الى مخبرين سريين.. المتطوعون كثر في مجال النفاق الاجتماعي المتبادل.. هذا ما انعكس على الوادي المسكين. اناقة المجلة وأسرار تموينها كان سببا مقنعا لجهة الاختطاف.. كان الاعتقاد السائد أن الرجل الثري والعراقي اليهودي الطيب نعيم دنكور صاحب المؤسسة الخيرية في لندن يقف خلف قضية تموين تلك المجلة، وفق تقرير لمثقف سري يعمل لجهة حزبية..

كذلك كان الرجل كبير الخاطفين والمخول بالتحقيق معه محتّجا على فرادة المواضيع التي تتعاطف مع الأقلية اليهودية العراقية.. كان يقلب صفحات المجلة ويؤشر بقلمه بعض الفقرات.. وعدّها تعاطفا مقصودا ومدفوع الثمن مع موضوعة اليهود بشكل عام واليهود العراقيين خاصة.. تحدث معه محقق جماعة الخطف قائلا:

- استاذ محمد رياض الوادي.. نعرف عنك أنك بعثي...

- والله مو بعثي، لكني كصحفي كنت أعمل في مجلة الف باء.. هي هذه القضية باختصار، ثم أن كل صحفي موجود سابقا في بغداد يعتبرونه بعثي وأن لم ينتمِ..

- طيب .. نحن لم نستظيفك هنا لبعثيتك أنما لأمر آخر.. الجميع يعلم أن الغموض صفة عامة ليهود العالم، والتخفّي هي صفة

يهود العراق في هذه الأيام، إضافة للغموض فصفة الهدوء هي ما تميز يهود بغداد بالذات.. أريد أن أتعامل معك بذلك الهدوء.. أخبرني فقط عن جهة التموين الخارجية التي تقف خلف مجلة نوارس أولا وهل هي امتداد لمجلة الف باء مثلا؟ ثانيا تعطينا قائمة بأسماء من تبقى من يهود بغداد لا أكثر ولا أقل ثم تذهب الى بيتك بعد اجابتك الصادقة معززا مكرما.. اذا ما أصدقتني القول ستخرج فورا ومع الإعتذارطبعا لمقامك الكريم عن التقصير في عملية الضيافة هذه.. قال له الاستاذ الوادي وهو مطأطئ الرأس من تحت عصابة عينيه حيث حزمة الظلام تحيط بعينيه:

- يهود العراق هم بالذات أناس مسالمون، صحيح هم يعملون في السر وهذه المعلومة يعرفها القاصي والداني.. لكنهم يمثلون خميرة المجتمع المدني البغدادي سابقا وهذا دافع المجلة في البحث عن سبل اشاعة السلم الأهلي.. المجلة تُعنى بجميع الأقليات ومنهم طبعا بقايا يهود العراق.. لا أعرف بالضبط جهة التموين صدّقني، ذلك من اختصاص مجلس ادارة المجلة.. يقال والله أعلم أن أحد الأكراد الأثرياء هو الذي يقوم بتموين المجلة.. ليس عندي قائمة مطلقا بعدد من تبقى منهم.. اما اليهود من البقية الباقية الذي تحدثنا عن حياتهم في بغداد ضمن أعداد المجلة، فكنت أتعامل معهم على الايميل الخاص بالعمل.. فهم كما تعرف خائفون ومذعورون ولا يظهرون الى العلن مطلقا وسط هذه الظروف.. المسلم الوسطي هو خائف ومذعور فكيف باليهودي يا سيدي!

- من يثبت صحة كلامك؟

- في الصفحة الأولى مثبّت أسم صاحب الامتياز في أعداد المجلة.. أما قصص هؤلاء المساكين فهي موجودة في ايميل المجلة.. إذا توافرت لديكم شبكة انترنيت أستطيع اثبات صحة كلامي..

- حسب ما جاء في المجلة "أن يهود العراق يمثلون الاعتدال"، وهذا يتناقض مع توجهاتنا الدينية والشرعية.. هنالك خلافات في الرأي حولهم، فلديهم ما يكفي من فرق التطرف التوراتي.. وبالعكس مما يقال عن أنهم قد غادروا العراق بعد ال2003 ولم يبق منهم أحد، لكن الحقيقة تبين أن لهم الوجود المؤثر في بعض الأحداث الدامية التي جرت.. أنا مكلف لمعرفة حقيقة من تبقى منهم وأريد مساعدتك يا أخي.. لم يحاربوا كما حُوربوا ولم يلحق بهم الضرر كما هجّرتهم الدول في بقية أصقاع العالم.. ما يهمني هو الموضوع المنشور في العدد التاسع.. نعدّه موضوعا خطيرا.. أن ما يحدث هنا من تفجيرات وحسب معلوماتنا له علاقة غير مباشرة بهؤلاء البقية الباقية.. وعند الاستفسار من داخل المجلة تبيّن أن المسؤول الأول عن نشر المواضيع المترجمة التي تهتم بالطائفة اليهودية هو أنت.. سأقرأ لك ما جاء في العدد التاسع مذكرا ما ورد في صفحات المجلة.. أولا العنوان المثير.. (يهود بغداد.. خميرة لمجتمع مدني).. ثم تقول: "عن مأساة يهود العراق كما أورد الباحث الاميركي جون نيكول.. حيث نُشر الموضوع في النيويورك تايمز قبل أربع سنين عن قصص التخفّي العراقي". هنا ردّ عليه الوادي مقاطعا..

- لو تسمح لي شيخنا.. بعيدا عن سرد تأريخهم في العراق، هناك قصص غريبة عن اليهود المتخفين الذين لا يزال بعضهم يعيش في بغداد ولا أحد ينكر ذلك، لكن أين هم؟.. بعض الوثائق تتحدث أن عددهم لا يتجاوز الـ 500 فرد كعوائل وأفراد، وقد تعايشوا ثم أخفوا هوياتهم على الأغلب عندما ازداد عنف الشوارع.. فيما لا يزال آخرون منهم يعرّفون بهويتهم اليهودية في كردستان.. ورغم ذلك فهم يحظون بدعم وتأييد وتعايش سلمي مع العراقيين فيما مضى.. الأكراد يقومون بإيوائهم وتوفير جميع مستلزمات الحياة لهم.. ثمة علاقة روحية تربط فيما بينهم..

كان المحقق جيد الاصغاء لحديث السيد الوادي.. حتى إنه أوصى باحترام وتكريم الرجل في غيابه.. بعد أن سأله مجددا قائلا:

- أُستاذ محمد ورد في العدد التاسع حديثا مختصرا عن متخفي يدعى (أليس رغيد) أريد أن أعرف بالضبط بعض المعلومات عن قصة هذا المتخفي البغدادي "أليس رغيد حزام" وهل هي متخيلة أم تحقيق صحفي؟.. أجابه الوادي:

- في الحقيقة أن قصة "أليس اليهودي البغدادي" تعبنا نحن ملاك التحقيق الصحفي في التقصّي عن حقيقته في كل المناطق المحتملة التي يحتمل وجوده فيها.. والله صدّقني لم نصل مطلقا له أو لغيره.. لكن اقدم لك معلومة أخرى، هي أن بعض هؤلاء اليهود وأولهم كان يدعى دواد بن أبي ابراهيم اليهودي كما يُعرف في محلة النزيزة القريبة من مقبرة الكرخ، هاجر قبل إجراء التحقيق بأيام قليلة.. كان داود يعمل في تجارة حديد البناء المُستعمل، وهي مهنة والده الذي توفي عام 1998، لا يبوح بأسراره أبدا، لكن الرجل "عباس مخلوف" صاحب مقهى المحلة وصديقه الشخصي.. هو مثقف متقاعد من سوق الثقافة قال عنه: " عزيزي ما بعد سنة 2006 بالضبط انقطع "داود" عن الحضور في المقهى والمحلة عموما، رغم أنه لم يتعرض الى أذى من أبناء محلته.. تعايش مع أبناء المحلة بلا فوارق أو تمايز أو عزلة وما شابه.. تزوج من سيدة كردية من الموصل ولديه منها ثلاثة أطفال، لا يقبل ذكر ديانتها لي، لكنها كانت زميلة له في الكلية، هي على دينها أما هو فلا دين محدد يتبعه ويفضل أن يطلق على نفسه صفة العلماني هنا في المقهى، فهي الأسلم له كما يرى هو.. تعرض الأخ داود لضغوط كبيرة لترك العراق من قبل القوات الأميركية التي ضايقته بما يكفي، حتى إنها ألحّت عليه

بشدة لترك العراق بحجة حمايته، أذكر أنه في عام 2007 بدأ الأمريكان يستخدمون الجانب الروحاني للضغط عليه وعلى من تبقى من جماعته،، كان الأمريكان يجربون معه نظام جلسات مع رجال دين يهود في السفارة الأميركية يتلون عليهم من خلالها أحاديث دينية توراتية مؤثرة.. الغاية منها إقناعهم بالعدول عن البقاء في العراق وباب الهجرة مفتوح إلى أماكن أخرى غير العراق. داود يقول هنا في المقهى في آخر ايامه فقد الإحساس بالأمن منذ أن فقد الحماية التي كانت تؤمن لهم الطمأنينة في زمن النظام السابق، فبعد السقوط مباشرة أختفت الجهات التي كانت تزورهم من الأمن والمخابرات والتي كانت توفر لهم تغطية أمنية وحماية مضادة من عملاء اسرائيل الذين لا مانع لديهم من قتل العناصر اليهودية العراقية الباقية في العراق والراغبة بالعيش في بلدها على حد وصفه.. كان يلمّح أن العدد قد تزايد منذ سنتين وحتى الآن فقد عادت بعض العناصر من كبار السن ومتوسطيه من الذين غادروا العراق بعد عام 1948 وما تلا ذلك. كانت تجري سابقا لقاءات دورية في معبد (مئير طويق).. المسكين كان يبدي حزنه لحال بعض اخوته الذين أُجبروا على ترك منطقتهم بعد محاولتهم فتح المعبد المذكور مرة أخرى في بغداد، لكن القوات الاميركية ألقت عليهم القبض وسفرتهم عنوة، حتى الآن لا يعرف مصيرهم ولا يعرف لهم مكان عدا ادعاء المسؤولين في القاعدة العسكرية الأميركية في التاجي وقتها بأنهم قد سفّروا الى تركيا ومنها الى دول أخرى اختاروها برغبتهم. أذكر أنه في أحدى المرات ذكر لي داود أفندي أن بعض عوائل اليهود اختفت في ظروف غامضة تماما، هو يعرف أن ثلاث عوائل موجودة في البصرة وواحدة في الناصرية تعيش بأمن وسلام بشكل متخفٍ.. هناك أكثر من عائلة في بابل و(6) في بغداد والبقية الأكثر في اربيل ودهوك

والسليمانية، كلهم يعيشون بأمان طالما أنهم يتقنون التخفي وعدم إشاعة الأمر، هنالك جماعات دينية متعصبة قد تثير لهم مشكلات هم في غنى عنها أصلا. أرجو أن لا تكونوا منهم سيدي هههه.." . ثم عاد الوادي ليحدث المحقق الذي كان يصغي ويسجل الكلام عبر جهاز تسجيل صغير أمامه.. "يقولون أن يهوديا قد اشترى مجموعة فنادق في بغداد أيام الاحتلال الأولى لكن القوات الأميركية قتلته بدم بارد.. أما معبد (جوبير تود) الذي سعى الحاخام شليمو الى إعادة فتحه في بابل فقد قامت القوات الاميركية بهدمه إلى الأرض ورحلت الحاخام شليمو من العراق فورا بعد ورود الخبر إليها، أما المدعو (داود) أفندي يقولون قد حزم أمره للذهاب إلى بابل بطلب من أقارب له من طائفته، لكنه للأسف عاد بعد أن اتصلوا به يبلغونه بالعودة خوفا من أن يحصل معه أمر غير محمود من قبل القوات الأميركية التي هدّت المعبد واعتقلت الحاخام. أعتقد أن حال بقية العوائل اليهودية الأخرى في العراق لا تفكر بالطريقة التي يفكر بها داود، رغم أنها تتفق معه وبودها العيش في العراق لأنها تجد فيه انسجاما وراحة أكبر من التي تجدها في اسرائيل أو أي مكان آخر.. فأقاربهم الذين هاجروا إلى فلسطين يبلغونهم بأن التمييز العنصري يطول اليهودي العربي وعلى الأخص العراقي منهم في المجتمع اليهودي والكثير من أقاربهم يفضلون بل يتمنون العودة، لكنها تبدو مستحيلة مع السياسة الإسرائيلية في فلسطين، فالموت مصير طالب العودة كما يقولون. عائلة يهودية أخرى تسكن في العمارة لا تحبذ فكرة نشر أسماء ابنائها لكنهم لا يمانعون من اللقاء الافتراضي عبر الايميل والفيس بوك وعوالم الدردشة بالاسماء المرمّزة، يقول أحد أفراد هذه العائلة أنه قد مر على سكنهم في ميسان أكثر من (100) عام، لا يعرف أحد أنهم من اليهود وقد شاع أنهم من الطائفة المندائية، يخفون

حقيقة يهوديتهم في حقيقة الأمر وهم من أتباع جمعية (شومري متسفا) أي الحفاظ على الشريعة.. إن أتباع الشومر- متسفا هم بحقيقة الأمر أقلية يهودية تنتشر في أماكن مثل تركيا وفرنسا، هم فقط من بقي في العراق من أتباع هذه الجمعية التي مركز نشأتها الأولى تأريخيا في العراق، هم كما يقول هذا الشخص لهم طقوس خاصة ومساعيهم هي الحفاظ على الشريعة الأصلية لليهود والتي يملكون وثائق مهمة جدا عنها قديمة وقيّمة، وكان الكثير من تلك المصادر القديمة في مكاتب المخابرات العراقية السرية، وقد تم سرقتها من قبل القوات الاميركية بعد دخول العراق وأتلف أغلبها أو أخفي عن عمد بفعل وتأثير اليهود في إسرائيل الذين حرّفوا الديانة ومزقوا السفر البابلي الاول والأقدم على الاطلاق الذي ضم كل اصول الشريعة اليهودية وفقهها وموروثهم التاريخي، هكذا تقول الصحف الأجنبية طبعا وليس أنا. الحقيقة إنه هنا كل من يتكلم عن انصافهم يتهم باليهودية والعمالة والجاسوسية.. أذكر أن لقاء "داود" مع صحيفة أجنبية قال فيها في معرض حديثه: إن عدد اليهود في العراق قد يكون أكبر من الذي ذُكره سابقا، لكنهم متخفون بشكل كلي ليس خوفا من العراقيين بل على العكس خوفا من يهود أسرائيل واميركا وبريطانيا، فهم غالبا ما يسعون الى معرفة كل ما يخص الباقين في العراق من الطائفة الموسوية من اليهود.. كان الغرض هو اخفاء الأصالة الدينية اليهودية التي يتمتع بها اليهودي العراقي الذي هو الأكثر عراقة في الديانة اليهودية في ربوع عالم يرمي نفسه بحضن الديانات. في إسرائيل وكتب التوراة القديمة مثلا أوردت "إذاعة الجيش الإسرائيلي" أن عناصر إسرائيلية استولت على كتب مقدسة تنتمي للطائفة اليهودية في العراق وأحضرتها إلى إسرائيل. واعترفت إذاعة الجيش أنه قبل نحو خمس سنوات تم تهريب 300 نسخة من الكتاب

المقدس سرا من العراق إلى إسرائيل حيث كانت في حوزة الطائفة اليهودية التي يعرضونها للجمهور في متحف "مركز يهود بابل" في مدينة أور يهودا . كذلك أشارت الإذاعة الإسرائيلية إلى أنه من بين الكتب التي تم تهريبها موجود منها حوالي عشرين كتابا من المكتبة الخاصة للحاخام يوسف حاييم، وهو من مواليد القرن التاسع عشر والذي يعد واحدا من كبار الواعظين في مركز يهود بابل. أوضحت الإذاعة أن الولايات المتحدة تحتفظ بآلاف الكتب المقدسة للطائفة اليهودية في العراق والتي تم نقلها للصيانة في واشنطن بوساطة جيش الاحتلال الأمريكي عام 2003، على خلفية سقوط نظام صدام حسين. كذلك كشف موقع إذاعة الجيش الإسرائيلي "كيكر هاشابت" الديني عن إجراء جيمس كانينجاهم سفير الولايات المتحدة لدى إسرائيل زيارة سرية لمكتب الحاخام الأكبرلإسرائيل "شلومو عمار" للتشاور معه بشأن الطائفة اليهودية الموجودة في العراق. ويشير الموقع الديني إلى أن المناقشات بين كانينجاهم والحاخام عمار دارت بشأن أمور دينية مقدسة تتعلق بكتب التوراة القديمة المودعة لدى السلطات في العراق. أن موقع " كيكر هاشابت"، نقلا عن موقع "القناة السابعة" الإخباري الإسرائيلي أنه قد وصل مؤخرا إلى مركز تراث يهود بابل بمدينة "أور يهودا" نسخة نادرة جدا من التوراة القديمة تم كتابتها فى القرن الثامن عشر ولها غطاء مصنوع من الفضة الخالصة المرصعة بأنواع من الخرز والزجاج.. موجود عليه أيضا قطع من الألواح التوراتية وكذلك شمعدان له سبعة فوهات ونقش عليه صورة للهيكل، مضيفة بأن النسخة النادرة موجودة حاليا فى معرض مركز تراث يهود بابل وتم تهريبها من العراق بمساعدات شخصيات عراقية تم رشوتهم ليوافقوا على نقل النسخة إلى إسرائيل. يقول أهرون عفروني مدير المعهد اليهودي العربي بكلية

"بيت برل"، البالغ من العمر 72 سنة القول: "إن ما نبذله من جهود مكثفة ترمي لإعادة إحياء تراث الطائفة اليهودية في العراق، واكتشاف أماكن المزارات اليهودية في سائر أنحاء الأراضي العراقية، إعداد خرائط مفصلة عنها بدافع التجهيز لبرامج سياحية للإسرائيليين لزيارة العراق، من أجل الإطلاع على حضارة اليهود هناك. إنه زار العراق بصفته ممثلاً عن جمعية يهود العراق في نيويورك بهدف إحصاء عدد قبور الأنبياء اليهود هناك، حيث نجح في رصد سبعة منها، ووضع خطة لترميمها. كذلك قام فريق بحثي برئاسة أوهيد بيرك، مدير معهد الجينات بالمركز الطبي سوروكا، المعهد القومي للتكنولوجيا الحيوية في النقب بجامعة بن جوريون، ليحدد الخلل الجيني الذي تسبب في حالات التخلف العقلي المصاحبة للتشنجات بين أوساط اليهود من أصل عراقي وأفريقي . في إطار البحث لوحظ طفرتان مختلفتان في الجين الأول نفسه، بين أوساط اليهود العراقيين والثاني بين أوساط يهود المغرب حيث بينت أن واحدا من كل 40 شخصا في أوساط هؤلاء السكان يحمل طفرة الجين المسبب للتخلف العقلي . ذكر موقع " لوكل " الإسرائيلي المهتم بأخبار الطوائف اليهودية العربية في إسرائيل أن بلدة رمت هشارون ستفتتح نادي المتقاعدين" بيت بابل يوم(2010/10/24) وهو ناد ثقافي لمهاجري العراق. تم افتتاح النادي، بمبادرة مدير عام بلدة هرتسل ناحوم ومباركة رئيس مدينة ايتسيك روكبرجر وبتشجيع من ناحوم أقيمت إدارة قسم ثقافة فريق العمل والتي بلورت مبادئ تعاون ومخطط عمل يهدف إلى تحويل النادي لمركز ثقافي اجتماعي يتناول الثقافة وموروثات مهاجري العراق وسماع الطرب العراقي الأصيل والمقام والجالغي البغدادي وفتح المقاهي وبيع الكباب والفشافيش في

الشارع البغدادي المصنوع من ذاكرة بغدادي القدس الجديدة.. هذه سيدي كل المعلومات المتوافرة لدي بالتمام والكمال.. قال له المحقق:

- شكرا على هذه المعلومات وستكون بخير في ضيافتنا. إن صُدّقت أقوالك استاذ محمد الوادي.. سنمدّد الاقامة يومين فقط، دمت بخير رفيق محمد.

رسالة فضائية رابعة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

تحياتي سيدي الكريم:

على جسر النوارس وأقصد به هنا جسر الشهداء، ولد جنين العشق ولادة طبيعية. لم تكن لنا فيها ارادة، وفي شوارع الكرخ الواسعة ترعرع هذا الجنين وشبّ بسرعة، لم يكن بمقدوري الفكاك منه مطلقا..

كنت دائما أسمع الناس في الشوارع والأماكن العامة يتحدثون عن الأيام الغابرة في "أيام الطائفية"، التي يقول الناس إنها انتهت وولت.. لكنها بالحقيقة لم تمر، هكذا يختصرون ما حدث من بؤس مدمّر بتلك المفردتين .. بعدما توارت عن الأعين الجثث المغدورة ولو مؤقتا.. حيث خرج الناس من أسوار مناطقهم المسيجة بالكونكريت، رغم بقايا الحذر الموجود داخل أنفسهم من عودة الروح الطائفية مجددا.. حتى إن البعض من الناس البسطاء اختصر الحياة براتب مدفوع من الحكومة نهاية كل شهر دون دوام في دوائرهم خصوصا المهددين منهم بقصاصات الأوراق أو عبر رسائل الهاتف النقال او عبر فاعل الخير.. هناك فضائيات عراقية تبث للجميع مناظرات ومناكفات البرلمانيين المتناطحين وعراكهم، وفي المقاهي حضور فاعل لتداول النكات المرّة عن أيام الطائفية في 2006 و2007.. الغريب أن الكل يمقت زمنها وأيامها ويمارسها عمليا في الصباح.. حتى تفاجأت يوما ما، أن هذه الكلمة المرة موجودة على مقربة مني بل في بيتي وبيوت الأقرباء.. اذن ماذا أفعل وسامر تحول الى قطعة مني؟؟

هو الهواء الذي اتنفسه.. الماء البارد في لب الصيف الذي أشربه.. هو الحلم الذي طلّ على طيف وحشتي بعدما طال انتظاره.. المهم سيدي لم أعد أفكر بالمستقبل كثيرا.. عشت زمن اللحظة فقط.. حالي حال الناس هنا، نحن دون غد.. نبكي على الماضي رغم خرائب أطلاله وكأنه جنة فردوس..

ندخل معا المطاعم الصغيرة على طريق رحلة البحث عن الهدف او ندور في المحلات على الطريق أو نشتري "الشبس" ونشرب "الكوكا كولا" الباردة أو الآيس كريم.. نأكل ونضحك ونمرح ونتبادل الأحلام في شوارع يحيط بها الموت القريب.. سامر أقرب من الموت إليّ قال لي مرة :

- نورا كيف .....؟؟؟

- مابك سامر؟

- كيف أتصور حياتي من دونك؟ لا أستطيع مطلقا.. سأقذف نفسي من جسر الشهداء ولتشهد عليّ يوما نوارسك.. سأكون شهيدك أفضل من الموت بمفخخة غبية..

- لا.. لا تقل هذا الكلام.. اسم الله عليك.. أخاف عليك أكثر من روحي سامر..

في أثناء العمل الميداني أو عند الذهاب الى مقر المنظمة أو في سيارة التاكسي أو في مطعم الفلافل الصغير في محلة الذهب أو في العلاوي.. أقضي معظم نهاري بمعيته.. لا أتصور حياتي من دونه.. ربما سيدي سيكون كلام العشق والعواطف الجارفة ضربا من الخبل في فضاء بغداد الداكن بغيوم سود.. لكنها الحقيقة المرة.. وعليك أن تتصورها بكل معنى الأحاسيس والمشاعر الجياشة بداخلي.. فبعض تلك المشاعر لا يمكن أن تترجم الى عبارات.. غالبا ما تفسد الكتابة

مشاعر العشق لا يمكن ترجمتها فهي احاسيس غير قابلة للترجمة. كيف أكتب لك عما يجول بي من اضطراب وفوضى ومشاعر عارمة؟ ذلك من اختصاصكم أنتم الكتّاب..

الناس في الشوارع وبعض أحاديث رجال الحكومة وفضائيات السلطة هم الذين أوهموني بأن أيام الطائفية غادرتنا من دون رجعة.

لكن وللأسف أقولها لقد كنت واهمة كل الوهم.. فلم يكن جرحا ويندمل.. أنما هو سرطان قد انتشر في جسد مجتمع أو قلْ "شبه مجتمع" ولا يمكن استئصاله الا بعملية جراحية كبرى باستبدال الناس بمعظمهم.. أقول هذا الكلام عن تجربة حقيقية عشت تفاصيلها كاملة.. كنت أكثر من سامر أخاف على مستقبل علاقتنا وخصوصا من أهلي.. بعد مقتل أخي في ظروف طائفية غامضة.. كنت أعتقد أن أبي سينسى ذكرى أخي بمرور الزمن، خاصة عندما يرى مصائب الناس المحيطين بنا، ستهون عليه مصيبة فقدان الآباء للأبناء. كنت واهمة فعلا..

غدا سأخبرك كيف..

تحياتي أستاذي الفاضل.

نورا الحزينة

-9-

تفاحة العشق الشهية

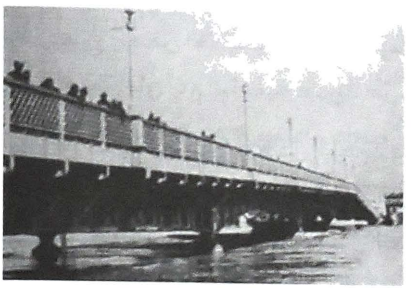

رنّ هاتف العشق على جسر الشهداء

مثلما أينعت تفاحة آدم الشهية وهي تتأرجح معلّقة في شجرتها حتى ساعة الغواية الموعودة.. بدت بوادر العشق تينع بين سامر ونورا وتورق أزهارها .. ففي كل مرة تقبل عليه يحّس بما يشبه سريان رعشة منعشة تسري ببدنه وتقلب كيانه لترتجف أصابعه وتضطرب أنفاسه المتصاعدة.. قلبه يخفق بقوة وشفته تتهدل..

في أثناء الليل جاءت مكالمة كلاكسية من صديقه مرتضى وهو المعروف بحكيم الحب وأخبار العشق البغدادي: "إنها بوادر الحب صديقي سامر.. هذا التشخيص الأول لحالتك. استمرّ، اغرق في بحر الحب يا اخي ولا يهمك ما سيأتي لاحقا .. واغرف ما استطعت من نهر الحب" .. لذلك كان سامر ينشغل في أول الليل بالتفكير بها كل ليلة.. كان عليه أن يصارحها بما يعتمل بداخله، ومهما كانت الظروف.. مثلما جاء في وصية صديقه الحكيم.

ينام وهي تحيطه مثل فراشة ملونة تحوم حوله وتغني له "نم ياحبيبي" .. يغفو لتبادره "أم النور" بالقدوم اليه مثل حورية الأحلام

الرحيمة لا تغادره إلا عندما تأتي أمه وتوقظه من غفوة بواكير الصبح، عندما يملّ هاتفه من رنين مستمر قرب رأسه.. ترددت عليه كثيرا في أحلامه.. أحلام مغمّسة بعسل خالص وسط كل الحرائق المشتعلة والمحيطة به..

أما نورا فكانت تحاول إزاحة ما تشعر به اتجاه سامر بمحاولة إبعاد شبحه عنها، لكنها أيضا تفشل في النهاية.. يسيطر عليها شبحه بقامته المشوقة وطلّته الباسمة عليها ..: "إنه العشق يانورا" وهكذا أيضا ما أكدته صديقتها المقرّبة لها وكاتمة أسرارها "رند أسعد" التي تعتبرها خبيرة في الحب والعلاقات.. قالت لها : " في حالتك هذه يا حبيبتي ووفق ما رصدته معاجم الحب وقواميس العشق المقدس.. أنت غارقة لهامتك في بئر من عسل .. عليكِ بالعافية"..

حتى جاءت اللحظة المناسبة التي تشجّع فيها سامر.. كانا في يوم عمل ما جالسين داخل غرفة الحواسيب في بناية المنظمة بانتظار السيد المدير وتعليماته بخصوص الجولة الميدانية المقبلة.. تردد كثيرا في لحظة إخبارها بما يعتمل بقلبه، لكنه تشجّع بعد تردد قاتل والخوف من ضياع الفرصة الذهبية للمصارحة.. كانت قلقة عليه من خوفه وترددِه القاتل هذا.. ولو كانت مكانه لباحت بما يختلج به القلب.. أتمّ شرب شايه ثم أعاد الكلام الذي سيقوله لها أكثر من مرة قبل أن يضغط على زر التفجير وليحدث الطوفان بعده، ليحدث ما يحدث فهو أقل من انفجار مفخخة عابرة بوجهي:

- نورا أنا ..... !

- سامر اشبيك ..أشو مو طبيعي اليوم نهائيا .. أكو شيء؟

- نعم نورا.. أنا وبصراحة ..... أريد أن..... أريد أن أشرب شايا إضافيا الآن فقط..

- هههههه.. لا لا أبدا مو طبيعي.. مو سامر الّي أعرفه أبدا..

مرّت اللحظات عسيرة لا يستطيع ترتيب مشاعره المتدفقة ويحولها الى كلام تفهمه نورا. في المنام كان أكثر شجاعة من النهار.. لحظة العشق تترجم إلى لغة في كل القواميس، بل إنها المزيج من تدفق المشاعر والأحاسيس الى السطح ثم تنكفأ لتعود إلى دهاليز القلب.. سيطر عليه الارتباك مرة أخرى وجعله يتلعثم بالكلام حتى طغت بعض الحركات اللاإرادية عليه، حيث راحت أصابع يديه تعبث بشعره وأحيانا أخرى يحك لحيته الخفيفة.. كان يشجّعه للتواصل بتلك اللحظات المرتبكة..

برنامج استشعار الخطر لم يعط رنة أو هزة خطر محدق مما دفعه في الإصرار على المفاتحة في تلك اللحظة المصيرية.. فعزران كان مشغولا بإفراغ غرائزه خارج غرفة الحواسيب.. قال محدثا نفسه: " إنها فرصة تاريخية يا سامر".

لكنه تردد أراد تأجيل ما يجول برأسه الى لحظة أخرى.. عندما تذكر أن الفرص الحقيقية تنتزع نزعا.. في كل ليلة يقرر مفاتحتها في الصباح لكن برنامج استشعار الخطر يرن رنته السخيفة منذرا بالخطر.. كذلك يتدخل عزران أحيانا ليحول دون ذلك.. عندما تحين الفرصة يؤجل موضوع المفاتحة الى إشعار آخر.. حتى بادرته هي قائلة بشيء من الغرابة:

- سامر بصراحة أنا أعرف ما تريد قوله.. احساس لا يخيب أبدا..

- نورا أخاف من رد فعلك مما سأقوله.. أفضل لي العيش في الأحلام من قساوة ردّ غير متوقع..

هذا الكلام هو الذي شجّعه لتفجير عبوته المؤقتة أمامها.. هذه اللحظات الحلوة المرة جعلته خفيف الوزن منتشيا بسعادة استثنائية.. عندما خفضت رأسها وثمة ابتسامة خفيفة على شفتيها الورديتين..

- اي وبعدين؟

- علاقة شريفة نورا، أنا ..... وأريد الزواج على سنة اللّه..

ابتسمت ابتسامة خجولة مرة أخرى وأحنت رأسها بعدما أحمر وجهها الحنطي.. كانت بين نارين.. قلبها وعقلها..

- سامر أنا من منطقة تختلف عن منطقتكم.. تعرف قصدي مو؟ طأطأ رأسه وراح يفكر في أمر لم يخطر في باله.. قال:

- نورا أية منطقة؟؟ يعني هيجي وصلت الأمور بينا؟

- هذا واقع مفروض.. لا تزعل مني أرجوك..

- نورا أنا أحبك، لاتهمني المناطق والبحار والمحيطات والقارات..

استغرب كثيرا من إطراقتها، وقد حاولت أن تمسح عينيها وأن تبقي على خط الكحل الذي يسوّر عينيها في مكانه وقد ترقرق الدمع فيهما.. ثم رفعت رأسها وقد انخفض صوتها كثيرا وقد بدت مسحة الحزن العميق تتدفق أثناء كلامها:

- سامر أنا من عائلة سنيّة هل تعرف هذا؟

- نعم.. أعرف بل تجاوزت هذا الشيء المخيف من أول لحظة.. أنا وعائلتي لا تهمنا الطائفة مطلقا.. لا لا أطيق الحديث بهذا الموضوع نورا.. الحب ينأى بنفسه عن مستنقع الطوائف.. أختي مثلا متزوجة من رجل من أبناء السنة ولا مشكلة في ذلك مطلقا.. هل تعلمين أن العراقيين عندما يتجاوزون الحدود تتلاشى لديهم حدود الطوائف؟

- سامر القضية مرتبطة بالمستقبل وبعائلتي أنا .. لا تنسى نحن نعيش في بغداد .. خصوصا أبي وأخي الكبير.. هما مجروحان جرح عميق.. هل تعلم أنني فقدت أخي الصغير قبل ست سنوات في أيام اشتداد الطائفية في بغداد؟ أنا أعرف أن فرصتنا بالزواج مقيّدة بقبول كل الأطراف.. فكل شباب طائفتي هاجروا أو ماتوا أو في السجون.. ومعظم البنات من طائفتي يعانين الآن من شبح العنوسة والاكتئاب.. أقول هذا الكلام حتى أضعك في الصورة فقط..

- لا يهمني مما يحدث هنا .. المهم موافقتك الشخصية في الزواج والباقي عليّ نورا .. سأجند نفسي للموضوع مهما كلّف الأمر..

- سامر العاطفة لا تكفي لإزاحة حواجز الروح الكونكريتية المجروحة.. ليس لدي اعتراض عليك شخصيا .. أتمنى أن نكون في محيط الواقع فقط..

لم يفكر أبدا بالحواجز الكونكريتية الروحية التي وضعتها الحرب الأهلية وما يمر به الناس من شد طائفي مخيف.. لم يفكر بنهاية تلك العلاقة المشوبة بالمخاطر والعوائق.. انساق خلف قلبه فقط. أما هي فقرّرت مفاتحة أمها بالسر عن علاقتها بسامر وليحدث البركان بعدها..

-10-

(القلب يرسم والأنفاس تتراقص)

ذهب سامر ونورا في رحلة البحث صباح اليوم التالي للإيغال في رحلة بحث ميدانية عن الرجل الهدف"عامر" .. الى منطقة النزيزة في عمق الرحمانية وهو نفس مكان اليوم الأول لرحلتهما، بعدما أوصلا المعلومات كاملة للمدير المفوض السيد أركان الموسوي، كشفا له عن مهمتها العسيرة في يومها التجريبي، حيث أعطى ملاحظاته وهو جالس على كرسيه الدوار محاطا بمكتبه الإيطالي الفخم يحدق تارة بالدرع الذهبي لرمز المنظمة على حافة المكتب، وتارة أخرى ينظر في شاشة الحاسوب.. كان يأخذ رشفات متقطّعة من قهوته في أثناء كلامه الذي يبتدئ الكلام بكل عبارة بجملة(بطبيعة الحال)، ممسّدا شاربه كل دقيقة.. قال لهما :

- جيد جدا.. بطبيعة الحال هناك بعض الملاحظات من الواجب التسلّح بها للعمل الميداني، وهي من صلب الاستطلاعات الميدانية للعاملين في حقل البحث الاستطلاعي، تتلخّص في نوعية الأسئلة المطروحة على الناس وطبيعة استخلاص الأجوبة الضرورية بغية الوصول إلى الهدف.. بطبيعة الحال ليس كل ما يُقال لكما فيه فائدة مرجوّة.. وبطبيعة الحال عليكما بمقاطعة سيل المعلومات المتدفقة مع بعضها، لاستنتاج الخلاصات المؤدية لمركز الهدف.. مثلا مقاطعة معلومات قصاصة ناجي قطامو مع معلومات وكيل الحصة التموينية أجدها جدا ضرورية في معرفة موقع الرجل.. كذلك بطبيعة الحال معلومات صاحب فرن صمون البركة مع صديقه في المقهى "طه ترتيب"

الذي يدّعي أنه يعرفه معرفة دقيقة.. بطبيعة الحال أنا شخصيا أجزم بعدم تسجيله رسميا في سجلات الحصة التموينية، فالرجل كذب عليكما أو توهّم بالاسم.. عليكما اعتماد خطة أخرى بمعاينة اسم الزقاق على رأس الشارع بادعائكما أنكما من وزارة التخطيط، أنتم في رحلة ميدانية لإحصاء سكاني مثلا.. بطبيعة الحال تلك الأساليب المجرّبة ستوصلكم للرجل الهدف وإنقاذه، هذا هو عمل المنظمة باختصار إخوان.. غدا بودي سماع أخبار مفرحة عن حقيقة الرجل ومكانه، ولدي أخيرا ملاحظة هامة، عليكما توزيع مهمة البحث وتنسيق المهام فيما بينكما.. تفضلا الآن مع السلامة وأرجو سماع أخبار طيبة في الغد في تقريركما المشترك..

لا ينحصر عمل "منظمة إخوان الإنسانية" في اكتشاف ودعم الأقليات والأثنيات قبل انقراض السكان الأصليين لهذه الأرض، بل يتعدى عملها لمساعدة أفراد تلك الأقليات المتبخرة.. في عاصمة منكوبة مطعونة بخناجر أهلها قبل خناجر الغرباء، وعندما تكون الحراب حدا فاصلا بين الأفراد..

سرى مفعول السمّ بأبدان المدن كسريان الماء في أرض صحراوية قاحلة، حيث تجرّعت بغداد وحدها معظم كؤوس السم بأريحية عالية الهمّة.. فكانت تحتدم بها حالات متعددة من الاضطرابات والنزاعات المسلحة والاحتكاك الطائفي المسلح.. فعندما لا تتفق أطراف الرواية العراقية على رواية تاريخها بشكل متّفق عليه يجرعون سم التاريخ الزعاف بوصفات جاهزة من بطون كتب التاريخ الصفراء المتعددة.. حتى غدت قراءتهم للتاريخ السحيق متباينة أشد تباينا.. أدرك سامر تلك المشكلة التي تعبّر عنها منطوقات أدبيات عمل المنظمة..

يعمل سامر ومعه نورا ضمن كروب عمل مشترك، مهمتهما الإنسانية هذه على وفق مخططات إستراتيجية وتوجهات "منظمة إخوان" التي غالبا ما يصفها الأستاذ أركان بأنها ذات أبعاد إنسانية لإنقاذ المتبقين من الأقليات المتبخّرة..

وقفنا على الشارع الرئيس ليس بعيدا عن معرض بغداد الدولي في جهة الحارثية.. أوقف سامر سيارة أجرة لنورا.. غادرت الى بيتها ملوّحة له بكفها "المربرب".. حدّث نفسه قائلا: "نورا حلوة جدا وخلوقة وروحها مرحة".. البراءة أضفت عليها مسحة من الجمال الذي لا يمكن وصفها لأمي.. "لا تفوّتها من يديك يا ولد" سرح بفكره يكلّم نفسه في عالم من أحلام، نسي نفسه أنه واقف في الشارع العام والتكسيات الصفر الفاقعة تومض له بمصابيحها وتلح عليه دون أن يدري أين هو بالضبط..

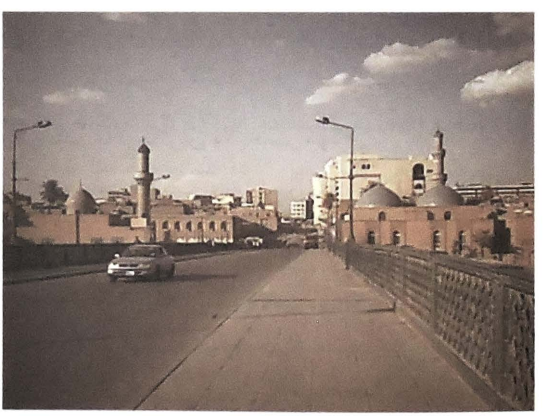

جسر شهداء النوارس

أخيرا أعطته رقم هاتفها -آسيا سيل- تركت له الرقم الأخير مجهولا ليحزره .. هل هو سبعة أم ستة أم واحد أم صفر.. في الليل صعد مبكرا الى غرفته ليزوّل الأرقام التسعة المحتملة، لا يعرف لماذا قفز الرقم 4 له في المحاولة الثانية من البحث عن رقمها المُخصص لها .. حتى جاء صوتها كموسيقى فيروزية وتقافزت كركراتها كتقافز كرات بلورية على بلاط ناعم صقيل:

- ألو.. هلو أم النور..قلبي دليلي في ثاني محاولة تعرّفت على رقمك..

- هههههههه صدووك... منو آني؟

- نورا شلونك..

- زينة أنت شلونك سامر.. شلونها الوالدة؟

- تسلّم عليك.. اليوم تعبنا لكن كل تعب سيعطي نتيجته عاجلا أم آجلا.. المهم غدا الساعة التاسعة انتظرك في ساحة الطلائع قرب مظلة المرور..

- يعني غدا ماكو نوارس ولا جسر مو؟

- غدا يوم عمل حقيقي وفقا لخريطة ومخطط أستاذ أركان..

- طيب مع السلامة.. تصبح على خير زميلي العزيز..

- وأنتِ من أهل الخير .. باييي.

رسالة فضائية خامسة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير:

في المرة السابقة سبق وإن حدثّتك عن بدايات العلاقة المهنية وتطورها بيني وبين سامر زميل عملي في منظمة أخوان.. كان يتوّجب علينا العمل الميداني والاحتكاك المتواصل خارج إطار جدران العمل المكتبي في المنظمة، في الاقتران اليومي للبحث عن أهداف إنسانية رسمتها لنا المنظمة ورفع التقارير والبيانات الخاصة بالنماذج المتخفية من الأقليات في بغداد كما في المحافظات..

غير أن تلك العلاقة سرعان ما تطورت بسرعة مذهلة.. حين طرق الحبُ باب قلبي فتحت له الباب وهاجت روحي هائمة في الحلم، فتحت له نافذة صغيرة وسقى نهر العشق من جديد أرض روحي المحروقة، عسى أن تينع روحي بالعشب الأخضر.. ثم أذن لنا معا في الدخول الى جنانه المزدانة بالسعادة، آه لكم كانت كلمة السعادة غائبة عن بالي؟ رغم قلقي من هذا التيار الجارف وخوفي من المستقبل.. ليس سوى الاحلام هنا تجعلنا نتقبّل واقعا بأقدام ثقيلة ومخالب فولاذية تحاول كل حين تنهش روحينا .. ما زالت صورة أختي الكبرى وهي على حافة سن اليأس وسلم العزوبية المخيف.. ستة وثلاثون سنة والعمر يجري كما تقول "نحن خلف أبواب موصدة مسوّرة بالكراهية والعنف.. لا أحد يقدم علينا ولا أحد يجازف أمام سيل الإتهامات المتبادلة بين الطائفتين".. والشباب عزفوا عن الزواج بوصية من عزران مثلما يقولون.. حتى لا يخلفوا بعد أن يقبض عليهم عزران حسب قائمته السرية متلبسين بجرم الحياة.. لا يخلفوا ايتاما للمسكنة والتشرد..

كنت بصراحة خائفة من تلك اللحظات السعيدة" لم أعتد أنا شخصيا عليها من قبل.. أو قلْ إن حياتنا عموما في بغداد كلها لم تعتد السعادة مطلقا .. حياة الناس وأنت سيدي تدرك ذلك بعمق.. حياتنا عبارة عن تمشية بسيطة لعجلة الأيام والسنين ودفع مؤقت لقضاء عمر يهبه لنا اللئام والبخلاء، من دون الإحساس بالمشاعر المخبأة تحت سواتر الروح الخفية.

المهم اريد ان أحدّثك اليوم سيدي عن سر خطير قد حصلَ لي..

في صبيحة أحد الأيام اتصّل بي السيد المدير المفوض للمنظمة الأستاذ أركان الموسوي.. قال لي:

- أريدك الآن أن تأتي للمنظمة فورا ودون تأخير..
- خيرا أستاذ أركان؟!
- كل الخير إن شاء الله..عندما تأتين ستعرفين.. بالمناسبة هو خبر جيد لك يهم مستقبل عملك في المنظمة.. أنتظرك..

عندما وصلت أخبرني أن المنظمة ستبعثني إيفادا إلى الأردن لمدة خمسة أيام لدورة مكثفة يقيمها أجانب متخصصون من ال UN في اختصاص العمل الميداني وتدوين البيانات الخاصة في العمل المنظماتي ومع تغطية نفقات كاملة للسفرة من قبل المنظمة..

طبعا فرحت جدا وحاولت إقناع أهلي في الموضوع.. وتبين أن فريقا كبيرا من الشابات والشباب كان معي من جميع المحافظات، ومن منظمات إنسانية عاملة أخرى..

هل تعلم سيدي أنه لم يكن في الوفد معنا؟؟ وقد سألتني أمي عنه قبل موافقتها، واقتنعت بعدما قرأت الأمر الاداري بالإيفاد خاليا من اسم سامر.. لكن الأمر قد تغيّر وذهب سامر معنا .. كيف؟ أنا سأخبرك..

ففي اليومين الأخيرين أُدرج اسم سامر معنا.. عندما أعتذر أحد الموظفين من السفر خارج البلد لظروف عائلية.. أدرج اسم سامر في لحظات تسليم نسخ الجوازات لغرض تأشيرة عمان.. المهم في النهاية سافرنا معا من دون علم أهلي بمواكبة سامر لي بالسفر.. كنت فرحة بسامر وهو معي بمقعدين متراصين في الطائرة، كان هو فرحا كذلك بتلك السفرة..

حدث أمر هام في هذه السفرة، غيّر الكثير من مسارات العلاقة البريئة بيني وبينه ووقعنا في المحظور في لحظة طيش قاتل.. أرجوك سيدي أن تفهم ما تحت الكلمات من رماد.. انا لست رخيصة، لكنه الحب.. ففي لحظة غامضة لا أستطيع تفسيرها لغاية هذه الساعة وقعنا معا في المحظور.. كنا وسط سحابة بيضاء حملتنا في ليلة ما.. سبحنا داخلها فرحين كطفلين مغردين بنشيد العذارى.. وثمة بخار كثيف شمّنا بحنان أبوي داخل السحابة.. لزوجة محببة من سيل العشق المتناهي دثرتنا بدثارها.. رحنا نعوم بعيدا بعيدا عن شاطئ الأمان.. اووووووووف كلما أتذكر تلك اللحظات أصيب بالرعب وجسدي يصاب برعشة عنيفة لا أعرف بالضبط ما يصيبني منها..

لا أستطيع إكمال الحديث الآن سيدي.. فالأيام القادمة وما جرى بعد تلك الحادثة المشؤومة غيّر الكثير من وضعي بل غير مسار الأحداث كلها.. سأخبرك لاحقا.. أنا بصراحة حزينة.. حزينة جدا.

مع السلامة..

نورا

-11-

عينا المخصي

أنا أليس رغيد حزام أم عامرموسى يوسف ؟

لا أعرف... دخت ولا أتذكر الآن ما هو حقيقي وما هو المزيّف.. لكني أتذكر تماما أدق التفاصيل لما حدث لي بالضبط هنا في بغداد، خصوصا في شتاء عام 2011 حادثة لم تكن عرضية، بل كان مخططا لها مثلما خُطِّطَ لتدمير برج التجارة في 11 أيلول..

رغم أنه كان شتاءً استثنائيا قاسيا عليّ، لكني أتذكر كل ما مرّ بي في أيام وشهور كالحة، حيث ارتفع لديّ مؤشر درجة الجوع والملل والخوف معا في ذلك الشتاء مضافا لها وحشة سرطانية تسري بدمي.. ضاقت بي بغداد حتى غدت أصغر من ثقب إبرة في عيني، لا تسع حركتي اليومية المعتادة لكثرة الطرق المغلقة بالكونكريت والحواجز الخاصة الأخرى والدروب الساخنة التي يتربص لي فيها الموت ككلب مكلوب.. ضاقت حتى كادت تخنقني وتكتم أنفاسي وتشنق رغباتي.. غدت بغداد اصغر من حبة عدس، وأضيق من رقعة زنزانة مظلمة.. أشبه بحركة جماعة سجن مؤبد بمتر مربع يتيم.. عشرة سجناء محشورين بها كانحشار قطع السمك بعلبة سردين بحجم الكف.. لا أعرف أين أذهب بالضبط، فكلاب الموت تحوم حولي في كل مكان تحاول أن تنهش من لحمي في الطرقات أو في كوابيس الليل..

عندما أتذكّر الآن ما مرّ بي، أشعر بقشعريرة كسريان تيار الكهرباء في جسدي.. انظر للشعيرات على يدي وهي تنتصب ثم ترتعش، وتدبُ في جسدي رعشة محبّبة وتنتابني قشعريرة.. فعلا أنها

أيام لا تنسى، شابَ لها الطفل الرضيع، وباضت حمامة تائهة على وتد خيمة وحيدة، وبال حمارها منزعجا لوجوده على أسد كسول..

لم أتنفس الصعداء كما يقولون، أيام خروج الأمريكان من بغداد ما تُطلق عليه صحيفة الايندبيندت بيوم الجلاء وأيام الاحتلال بأيام الاجتياح، لم يكن بطبيعة الحال يوما واحدا، إنما أيام الجلاء التي لا تنتهي إلا بجلائي أنا ومن بقي معي.. أنا غادرتهم ولا أعرف مصيرهم من بعدي.. الشبحي أخبرني برسالة sms بأني غادرت الحياة، ذلك هو استحقاقي.. وجودي غير مرغوب فيه على تلك البقعة الطاردة لأهلها..

في يوم 18/ 12/ 2011 خرج آخر جندي أمريكي من العراق.. لم أرمِ وردة لا بيضاء ولا حمراء خلف الجحافل المنسحبة.. لم أرفع قبعتي لتحيتهم في يوم الاجتياح.. لم أهتم لكثرة اللافتات التي تمجّد المفاوض العراقي في قضية الانسحاب.. بعثوا لنا الأمريكان نحن جماعة "عدّ الأصابع" أكثر من طلب بالحضور الى المنطقة الخضراء ورغم كل الإغراءات التي قُدمت لنا، كان الرفض قطعيا.. والإغراء تحوّل الى تهديدات ووعود بمستقبل مظلم في هذه البقعة الساخنة من العالم في حالة الرفض.. ليس ثمة أمل للحصول على فرصة عمل لي في وجود الأمريكان أو في غيابهم.. فبعد معاناة قاسية من صنوف الجوع الشامل لي هنا في بغداد، تلاشى العمر بالوعود الكاذبة.. وتراجع الرئيس "جورج بوش"، عمّا وعد به العراقيين من العيش الرغيد "ولينعم العراقيون بالحرية".. كذب علينا كما كذب علينا الجميع قبله وبعده..

لم ألوّح بيدي للهمرات المنسحبة أو تلك الشاحنات العملاقة ذوات المصابيح الثلجية المُضاءة في وضح النهار.. كانت تنقل محتوياتهم بصناديق مُغلقة ومُغلفات أخرى مشبّكة.. كانت حركة دؤوبة لآليات

مزمجرة خاكية مرقّطة تقلّهم من الطرق الضيقة والمعسكرات والقصور، تسير بسرعة جنونية في الشوارع.. الخوف ورعب الموت قد بدا على وجوه سوّاق الشاحنات المذعورين.. تتّجه القوافل بمسير عسكري غير منتظم خارج المدن نحو الطريق الدولي.. سيارة إسعاف عسكري وشاحنة محروقات في آخر كل قافلة وسيارة أو سيارتين فورد زرقاء من الشرطة العراقية تصحبهم حيث الطريق الخارجي.

كنت مذهولا بما حدث وسيحدث بوجودهم أو بغيابهم.. لكن هذه الفرحة لم تدمْ وتحولت الى كابوس مخيف.. بحثوا عني في كل مكان من بغداد ثم في يوم أغبر وفي منتصف ليلة باردة ممطرة أمسكوني كجرذ مذعور.. أودعوني في سجن كروبر وأنا بملابس النوم:

- أنت عامر موسى يوسف.. قلت لهم: "نعم"..

لم أعرف السبب لغاية اليوم.. لم استطعْ إبراز اسمي الحقيقي في سجن كروبر، كانت قاعات النزل من البناء الجاهز بصفين طويلين تفصل بين نزلاء الطائفتين كيلا تحدث حالات قتل وصراع وطعن طائفي بالملاعق والسكاكين أو خنقا بالشراشف ليلا كما حدث في بداية تدشين المعتقل المختلط والمكهرب اليكترونيا.

للأسف وضعوني مع جماعة إسلامية متشدّدة.. إنه حظي العاثر قادني الى زاوية مخيفة في القاعة رقم 4.. تُعرف هذه الجماعة بجماعة الحفصي.. وعلى مضض وافقتهم على ما يريدون مغصوبا على هرائهم بالجهاد وقيام الدولة الإسلامية، طبعا خوفا على رقبتي ووصفي بالمرتد ثم يتم خنقي ليلا.. لا أستطيع تحمّل التعذيب.. تعبت من تلك الحياة التافهة.. وافقت بغية سلامتي الشخصية والحفاظ على سلامة رقبتي، الى أن يحين خروجي من السجن وسأنقلب عليهم.. كان شعارهم "أسلمْ

تسلمّ" كان يترتب عليّ في السجن أن أغيّر كل شيء من سلوكيات مغلوطة وطريقة حديث غير إسلامية.. تصوروا عليّ أن اسبق كل جملة "بمشيئة الله" أو "بإذنه تعالى" وأن أقصر من كفّة دشداشتي وأطلق لحيتي الكثة وأمسك المصحف أثناء تحقيق الضابط الأمريكي "ليفي": الأقرع المجنون.. أتحرك بين الخيم والقاعات مُهديا ناصحا ومحذرا للجماعات المرتدة أو ناصحا للتنفيذ في الجماعات الكافرة.. علما أني لست بمسلم..

يبدو أنه وبعد خروجي من كروبر وانقلابي السريع على الجماعة وارتداء طاقية الإخفاء، قد أتاح لهم وبعد خروج معظم الجماعة من نزهة المعتقلات الأمريكية، فهم يدخلون بأسماء غير أسمائهم في أغلب الحالات.. سألوا عني كثيرا.. نبشوا التراب وقلبّوا كل حجر للعثور عليّ..

❖

في ليلة ممطرة باردة وفي يوم من شهر كانون الأول، وجدت نفسي محاطا وأنا في سرير نومي بمجموعة من الرجال الأشداء الأفذاذ الذين اقتحموا غرفة نومي، حملوني معهم في صندوق سيارة أمريكية عريضة ومريحة في أثناء التقّرفص.. الصندوق كان مظلما باردا، ثمة فتحات وثقوب يأتي منها الهواء البارد.. أودعوني بعد الوصول وعلى الفور في مرحاض صغير يتسع لفأر مذعور مثلي.. ثلاثة أيام من دون تحقيق أو أسئلة.. فقط أعيش منفردا في هذا المرحاض المتروك.. لكن والشهادة لله كانوا يطعموني طعاما مميزا.. في اليوم الرابع حدثت الكارثة جاؤوا لي بطبيب جراح وأحضروني أمامه، قال أحدهم:

- هذا هو دكتور.. تفضلْ شوف شغلك..

قدّم لي الطبيب اعتذاره لأنه سيجري لي عملية بسيطة ولكن دون تخدير، قال: "عملية إخصاء بسيطة وينتهي الأمر" ..هكذا هي التعليمات التي أحضروه من أجلها .. ثم أردف قائلا بعدما شاهد رعبي وقلقي:

- عملية بسيطة دون ألم ثم تنهض وتذهب الى بيتك دون مضايقات..

- دكتور أنا لست حصان سباق أو ثور حراثة.. لم أدخل في سباقات أو رهانات في حياتي..

أتذكر الآن جيدا المخرز الرفيع المُحمر، وضعه لساعة كاملة على النار ليتحمّر ويتعقّم.. بدأ الطبيب عمله بالصلاة على محمد، رد عليه مجموعة مساعديه بالتثنية.. أدخل مخرزه بخصيتي بلطف أول الأمر وهو يحاول إشغالي بحوارات جانبية، حتى وصل الى لب البيضة ونغزها بسرعة، ثم أدار المخرز على الحبل وكواه بخفة، في أثناء الكيّ أحسست بخروج شرارة من عيني وآهة عميقة من صدري.. ثم حاول أن يعصر بيده البيضة ليخرج ماء زلالها .. أعتقد في ساعتها صرخت صراخا تاريخيا، حتى سمعني كل أهالي بغداد في ليلة بهيمية غائمة، لا من مغيث فقد انتهى الأمر:

"انقلبْ هكذا.. بحالة سجود من دون حركة.. باعدْ بين ساقيك.. اغمضْ عينيك.. حاولْ أن تحلم في المستقبل بعيدا عن هذا المكان عمّا أنت فيه الآن.. والباقي بسيط جدا.. مجرد عقب سيجارة موقدة تطفأ في لحم ميّت.. الرجال تتحمّل الألم" ..

- دكتور.. لو تشلع عيني، أو تبتر قطعة من لساني، مقابل ترك خصيتي.. هزّ رأسه غير موافق على طلبي..

- هكذا التعليمات حبيبي..

انتهى الأمر ولا يسعكم الآن أن تتصوروا لحظة دخول المخرز الأحمر على بيضتي الخصية حتى خرجت ريح دون مسيطر عليها مني ولم تكن صديقة، أصوات كان تخرج من بطني دون أن أسيطر عليها.. المخرز احدث صوتا يشبه صوت انطفاء النار في الماء. تششيييييييي..

- خلاص انتهى الأمر.. تستطيع أن تنهض.. تناول هذا العصير المُنعش.. سينسيك الألم..

المهم تحولت الى رجل مخصي.. تحوّلت خصيتي الى كيس زائد من دون فائدة .. كيس زائد اسود يتدلّى بين فخذيّ.. وقبلتُ الأمر الى هذا الحد .. لكن القادم كان أعظم.. بعد محاولات الأمريكان مع جماعتي المتخفين.. تركونا نهبا للتقتيل المجاني والخاص من كل الأطراف والقبائل..

❖

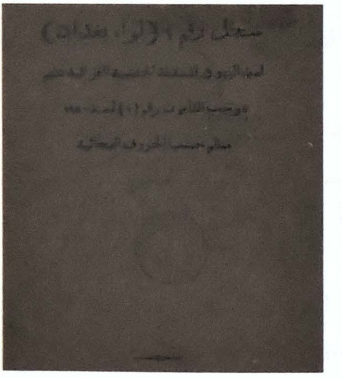

سجل أسماء اليهود المسقطة عنهم الجنسية العراقية بموجب القانون رقم (1) لسنة 1950

"أصدر المطبوع أعلاه في عام 1951، وقد طبع في مطبعة الحكومة، يقع في 525 صفحة ويحتوي أسماء المواطنين اليهود العراقيين الذين تم إسقاط الجنسية عنهم ورغبتهم في مغادرة العراق، وجاء هذا القانون لتسهيل عملية إخراجهم من البلد. يعد هذا المنشور نادرا جدا لأن عدد نسخه كانت قليلة منذ البداية والغرض من ذلك توزيعه على دوائر حكومية محددة. يضم حوالي 36 ألف اسم مع تواريخ الولادة وأرقام أضابيرهم، ويختص بالوجبة الأولى في لواء - محافظة بغداد- حيث كان التمركز الأكبر لدى الطائفة اليهودية العراقية. تم تصويره بالتعاون مع ملاك المكتبة الوطنية في بغداد".

نشر هذه الوثيقة السيد محمد رياض الوادي في مجلة نوارس في العدد الرابع وقد تسلمها من "طه ترتيب" ضمن صفقة تداول الوثائق المسرّبة من صندوق سري لنفايات السفارة الامريكية..

-12-

مصحّح لغوي

استلمت عملي الجديد وباشرت في واحدة من غرف مجلة نوارس.. حيث كُتبَ على بابها "المصحح اللغوي".. ضحكت بداخلي كثيرا، فأنا لم أصحح في حياتي أي شيء يمكن إصلاحه، بالنتيجة أنا بحاجة الى إصلاح شامل.. معطوب بشكل واسع.. ومتوّرط بورطة كبيرة!".. سأحدثكم عنها لاحقا..

على العموم استلمت عملي بمباركة رجل أشيب.. كثير التدخين يخفي وجهه كله بكومة من الورق الأبيض، خلف نظارة طبية سوداء واسعة ومقعرّة تستقر على انفه العريض.. قلت له:

- أنا من طرف صديقي "طه ترتيب" بعثني اليكم لإشغل وظيفة مصحح لغوي..

- تفضل.. اهلا وسهلا. ما هي مؤهلاتك اللغوية والأكاديمية استاذ؟!

- خريج آداب .. لدي اهتماما وشغفا بنحو اللغة..

- مبروك ابني.. من اليوم تستطيع أن تباشر بتصحيح لغة العدد "صفر" من المجلة.. أتمنّى لك الموفقية.. طه صديق الجميع وله فضل كبير على المجلة.. حاولْ أن تستخدم مسارات اللغة البيضاء في قضية التصحيح.. من الافتتاحية حتى كلمة الختام.. ابتعدْ عن استخدام التطرف اللغوي في التصحيح.. فهذه مجلة علمية وليست ثقافية أو أدبية.. تفضلْ على مكتبك..

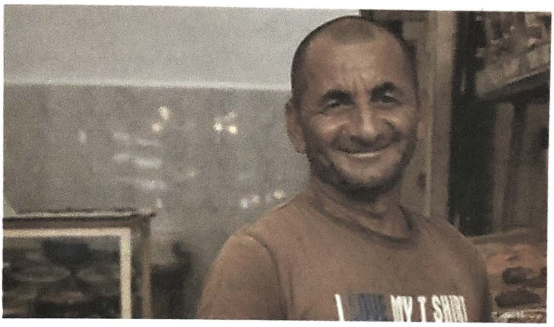

نسخة من: عامر موسى يوسف

يبدو أن هذه المجلة مجلة مجانين.. ما هذا الكلام عن التطرّف واللغة البيضاء؟ هل وصل التطرّف الى اللغة أيضا؟ ربما .. هل نستطيع أن نكره الربيع لأنه ليس متطرّفا فقد كان وسطا بين الشتاء القاسي والصيف الحارق مثلا؟ هل نكره الماء الفاتر لأنه ليس حارا أو باردا؟ هل نكره الشخص الذي لا ينتمي لليمين أو اليسار؟ التطرّف الفاعل.. فاعل مرفوع بالضمة وبيده راية سوداء أو بيضاء، المبتدأ كان مرفوعا وبيده خنجر الغدر بالخبر، والمجرور مجرور بكسرة تحولت الى عبوة لاصقة يضعها الى حرف الجر.. وكذلك المفعول به منصوب بعبوة مزروعة بين حافة الرصيف والشارع العام.. أما أنا فقد كنت مبنيا للمجهول.. كنت وسطا غائما بين كل هؤلاء.. الناس هنا ليسوا طبيعيين تماما .. تحولوا مع التغيير.. دخت، "ربي يستر" أما أو.....

جاءت عاملة المجلة البدينة تجّر أقدامها في الممر المؤدي إليّ وهي تحمل رزمة أوراق الى غرفة التصحيح الصغيرة ووضعتها على مكتبي، قالت:

- أستاذ أنت "المصلّح" الجديد .. تفضل هذه الأوراق لك..

بدأت اقلّب بشغف الموضوعات المنضّدة ومسحوبة على الورق، ملصقة على كل ورقة قصاصة ورقية صغيرة في أعلى كل ورقة للتصحيح. يكون التصحيح بالقلم الأحمر مشيرا الى الخطأ في الكلمة والمرادف المُصحح لها.. عكفتُ أتابع وأتصيّد الأخطاء في خضم هذه الأوراق..

يبدو أنها مجلة رصينة.. طبعا لا أعرف من الذي يموّلها ماديا، المهم أني بدأت أتصفّح صفحات النوارس كلمة كلمة وورقة ورقة وسطرا سطرا..

وصلت الى الأبواب الثابتة من المجلة.. في باب "نظريات جديدة".. الاستشعار" تشرح هذه النظرية التحولات الهامة في مستجدات الخيال العلمي وتحولها الى نظرية ذات جدوى.. كذلك يعرّج باب الاستشعار الى نظرية الشعور البايلوجي بإشارات الموت المفاجئ التي تحدث عنها عالم النفس الأمريكي جونز بيبرس، لكن الجسد من الناحية البايلوجية يبعث إشارات منبّهة، غير أن الأموات لا يستطيعون إخبارنا بذلك. يقول هذا العالم أن الموت المفاجئ الذي يصاحب الأصحاء هو ناجم عن غلطة مفاجئة في ميكانزم الجسد.. النظرية الجديدة ستترقب حركات الجسد الداخلية ومراقبة ما يطرأ من تطورات على العلاقة الخفية بين المشاعر والأعصاب الناقلة للاستشعار وتحويلها الى استشعارات مسبقة بطريقة الإنذار المبكّر..

هل دخل الاستشعار الى باب العلم؟؟ نعم يقولون ذلك هنا، من خلال ثورة الاتصالات، حيث استطاعت شركة " SAMSUNG - GALAXY- 1.2.3.4.5" اعتمادا على هذه النظرية، من إنتاج برنامج استشعاري يتيح لمستخدمه الابتعاد عن حالة الخطر المحدق..

القوى الحسيّة الخفية في الاستشعارات الداخلية، تتأثر طرديا مع حركات الجسم في الحركات والبوح قبل حدوث الكوارث المميتة.. الآن بإمكان العراقي تجاوز عقدة الشوارع المفخخة والانفجارات المحتملة.. أن يتخطاها نحو شوارع أخرى تقل فيها درجة الاستشعار بالخطر والموت المفاجئ.. فهناك إشارات على شكل هزات إيقاعية تحرك الهاتف النقّال حين الاقتراب من الخطر وتتلاشى حين يبتعد برنامج الاستشعار عن موطن الخطر المحتمل.. سيكون البرنامج جاهزا خلال الأشهر القادمة.. للأسف ربما لم يحالفني الحظ في ذلك..

كل شيء جائز! الموت الالكتروني المريح يشبه الى حد كبير رصاصة الرحمة التي يطلقها رجل الكابوي على حصانه المُصاب في صحراء نيفادا.. من السخف أن تكون الحياة أقل سعادة من لحظة الموت الرحيم..

أصحوا من صفنة أحلامي لأعود الى متابعة أبواب المجلة.. ففي باب آخر تابعت وبشغف موضوع "محرك الدمى الخفي" وهو أيضا من الموضوعات الشيّقة والغريبة، لم تكن الأخطاء اللغوية ذات شأن في هذا الموضوع، فالمترجم كان حصيفا في تجنّب موضوعه من إشكالات المصيدة اللغوية.. الموضوع يتحدث بصراحة عن القوة الخفية الأرضية التي تدير العالم.. طاقة خفية موجودة في كل مكان دون أن تظهر بشكل جلي، بعد أن جرّب نظرية الأقطاب.. فمن القطبين الباردين الأمريكي والسوفيتي في تقاسم وإدارة العالم أيام الحرب الباردة.. ثم التحول الى إدارة العالم بخيوط سرية في زمن القطب الواحد .. حتى برزت الحاجة الى بروز قطب الطاقة الخفية.. فخيوط دمى العالم تُدار إدارة سرية وبخيوط لا تُرى لتحريك الدمى.. فالعالم لعبة الكترونية بيد من يمتلك الطاقة الخفية السرية.. تُرى هل هي طاقة الجدار مثلا؟؟؟؟

من الموضوعات الأخرى التي أخذت مساحة أوسع وستظهر على شكل متسلسل وحلقات مبوّبة في أعداد المجلة المقبلة.. موضوع بعنوان "منظمة إخوان" وهذه هي منظمة إنسانية تعمل في بغداد منذ الخروج الأمريكي من العراق.. تهتم المنظمة كما هو مثبّت في بطاقة التعريف وشهادة التعريف لها في إنقاذ الأقليات التي تعاني من خطر الإبادة والزوال.. المنظمة وعبر كوادرها المدربة تدريبا جيدا على البحث والتقصي وانتشال المكونات الضعيفة التي تعرضت إلى خطر الإبادة.. تحاول المنظمة أن توفر لهم بيئة آمنة.. ينشط عمل المنظمة في بلدان الأزمات الطائفية والتي شهدت احتدامات مسلحة وعنيفة ونزاعات مسلحة محلية تفصل بينهما على الدين أو الطائفة أو العرق.. وبعد هذا التعريف ستبدأ مجلة نوارس وعبر حلقات قصة متسلسلة عن قضية هزّت العراقيين بين مؤيد وبين معارض لما حملته الحلقات المتسلسلة من "منظمة إخوان" وحكايتها الغريبة..

بين رافض لليهود العراقيين جملة وتفصيلا، ولا يسمح لمناقشة الأمر مطلقا.. بل ويعد حتى الحديث في هكذا مواضيع من مخلّفات المحتل وربيب الماسونية والصهيونية وموضوعات أخرى أكثر تطرفا.. وبين مؤيد متعاطف معهم في بقائهم على قلّتهم في البلد كزهريات لأرض جرداء بل والاعتناء بهم ومساعدتهم.. يعده البعض من العراقيين أنهم جزء من نسيج هذا البلد كما يصفونه في إعلامهم المشوّش.. "منظمة إخوان" وكما يبدو تدعو لتهجيرهم أو ربما إنقاذهم ثم تهجيرهم أو توفير الملاذات الآمنة لهم.. فهم لا يستطيعون الظهور العلني في بغداد أو المحافظات.. فالجو مكهرب واليهودي العراقي يعاني من خطر الإبادة..

"التعددية الثقافية - لازمة المجتمعات المتحضرة".. ظهر هذا البوستر الورقي ملصوقا في الرواق المؤدي الى غرفتي يتكون البوستر من

شجرة مخضرة يتدلى من أغصانها أكثر من نوع لفاكهة شهية.. يبدو أنه كلام مجرد .. مثل الشعار الذي يرفعونه "إخوان سنّة وشيعة" وهو شعار لا يتعدى التظاهرات الصاخبة.. وبعد أية تظاهرة مباشرة يتبدد الشعار إلى مخططات فناء مدروسة بدقة..

لم نستجب نحن المتبقين لمحاولات السفارة الامريكية ومغازلتها لنا في الهجرة الطوعية.. اعتبرنا الأمر قسريا وفيه محاولات خبيثة لطردنا من بلدنا .. وقد كرر الطلب كبير موظفي دائرة حمايات الأقليات في السفارة، ثم تحوّل الطلب الى هجرة قسرية، ثم تهديد في القتل الذي ينتظرنا هنا في هذه البقعة الساخنة من العالم..

- 13-

دومينو . آزنيف

انا عامر موسى يوسف. ليس أليس رغيد حزام. هكذا تقول الأوراق والوثائق الثبوتية، الإنسان بضعة وثائق ثبوتية هنا . هكذا يقول ضابط السيطرة.

حضرتُ لمقهى عباس مخلوف القهوجي المثقف عصرا كالعادة حسب موعد طقس لعبة الدومينو مغمّسا بشاي الهيل القيري، اخترنا ركنا بعيدا نجلس فيه كل يوم تقريبا بعيدا عن فضول وثرثرة عباس مخلوف، فاجأني صديقي "طه ترتيب" عندما أخرج من جيب بنطلونه الكابوي هوية الأحوال المدنية الجديدة لي.. قال: "تفضل أخ عامر مبارك لك الهوية الجديدة.. أنت الآن عراقي "قرص" بنسخةعربية، نعم اسمك عامر موسى يوسف.."اسم بالباكيت" عليك أن تعتاده منذ الآن.. اسم وسطي لا يثير حساسية الجماعة لا من اليمين ولا من اليسار.. إذا ما سمعت أحدهم يناديك باسم "عامر" عليك الالتفات لتقول نعم.. ومثلما طلبت بالضبط، فالهوية مستوفية لكامل المعلومات وضُبطت بكثير من أختام الدولة الفسفورية والحرارية.. سوق مريدي مضبوط لا يغش أبدا.. دولتك تغش ومريدي لا يعرف الغش" ..

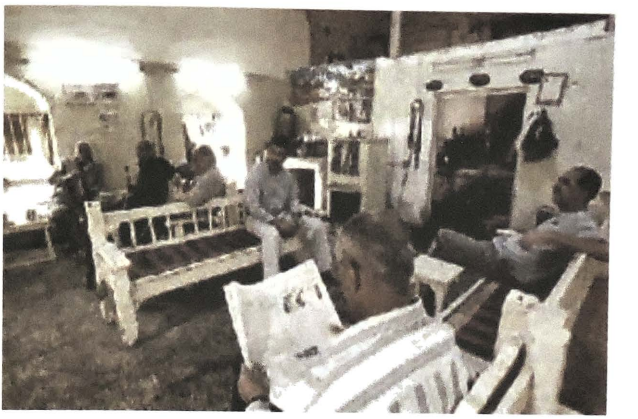

في المقهى حيث يظهر "طه ترتيب" يتابع الأخبار في صحيفة محلية

❖ ❖ ❖

اذن من الآن فصاعدا سيكون اسمي الرسمي البديل "عامر موسى يوسف"، شاطبا على اسمي القديم "أليس" المتجّذر داخل روحي التائهة.. لكن المصيبة تكمن في عزران، فغالبا ما يأتي ليشطب اسم عامر من الورق وبالخط الأحمر ليضع مكانه اسم "أليس رغيد حزام" أينما وجد .. من دون أن يخبر حتى محمد رياض الوادي سكرتير تحرير مجلة نوارس، والمفروض إخباره فقط من باب اللياقة والأدب.. لكنها مدرسة الخباثة ليس الا، للعبث وترسيخ الاسم القديم الذي يفزعني كثيرا بإعلان وجوده الرسمي.. لقد عانى الوادي لأكثر من مرة لمضايقة عزران له وخباثته التي لا تحتمل في العبث بتحرير مواد المجلة ..

تحدثتُ مع السيد محمد رياض الوادي داخل بناية المجلة في وقت "الأوف" استراحة ما بعد الغداء.. وفي معرض الحديث عن معاناتي كمواطن بغدادي مصاب بفوبيا رعب الشوارع، يقول الوادي: "إن عزران

وضع ذيل ربطة عنقه بفمه ولحق الجميع للقبض عليهم ووضعهم بالجملة في حوض أسماك الزينة".

- استاذ محمد يروح عزران ويطلع عزران جديد.

- لا أعرف ربما حقيقة أو مجرد تخاريف..

- حدثته عن المهن التي تقلّبت فيها وعن حياتي الخاصة.. بعدما توطّدت علاقتي الشخصية به، حتى اطمأن كل منا للآخر.. كشفتُ له عن شخصيتي الحقيقية ووجدته على علم بذلك، ثم شيئا فشيئا توطدت علاقتي بالرجل المهذب والمثقف الموسوعي وفق ما يُوصف داخل أروقة المجلة قلت له:

- سيكون موتي على يد عزران.. أستاذ محمد مأساتي كبيرة..

- ثم رحت أسرد بعضا من فجيعتي ما بعد التغيير، رغم رعب نظام صدام لكنه كان يوفر لنا البعض من الطمأنينة قلت له:

- - يا أخي قذفتني الأقدار وقسوة الجوع ومهانة البحث عن عمل، لأكون مصحّحا لغويا في مجلتكم هذه المهنة الوحيدة التي لم يطلب مني كشفا لسيرتي الذاتية المخيفة للجميع، خصوصا في هذه السنين، رغم أن مجلتكم مُستحدثة وتُعنى بعلم النفس الحديث، وفيها فصول وأبواب متعددة.. أحيانا أعاني من كثرة الأخطاء اللغوية في كثرة أبوابها.. فهي تحتوي أيضا على ترجمات لآخر الدوريات الأجنبية التي تتعاطى آخر نظريات علم النفس الحديث من خلال أكاديمياته الغربية والأمريكية لذلك، الغريب إنها تزدحم بالمصطلحات غير المعرّبة.. بعض المترجمين لا يعيرون اهتماما للتركيبات النحوية واللغوية.. خصوصا في ترجمات أخرى مقاربة في آخر معطيات علم الباراسيكولوجي وغرابة قصصه وتجاربه المادية في الحياة المعاصرة.. يترتب عليّ في عملية التصحيح

اللغوي لجميع أبواب وفصول المجلة مضاعفة الجهد .. يقابلها مرتّب شهري بسيط نسبيا .. على العموم فالراتب البسيط أستطيع فيه أن أدحر لعنة الجوع ولو مؤقتا ..

جاءت هذه الوظيفة محض صدفة مجرّدة.. إذ كنت أرتبط بعلاقة طيبة بشخص من أبناء منطقة الرحمانية يدعى "طه ترتيب" .. يشتغل "نبّاش – إليكترونيات" في قمامة السفارة الأمريكية داخل المنطقة الخضراء المسوّرة.. وبمناسبة القمامة سأحكي لك أستاذ محمد عما نقله لي الأخ "طه ترتيب" النبّاش عن آليات حديثة في النبش الفني كذلك عن تقنية جديدة في رصّ القمامة الأمريكية خارج أسوار السفارة.. قال ترتيب لي ذات مرة:

-عندما أذهب صباحا وأدخل متجاوزا كل نقاط التفتيش (الجيك بوينت) على منافذ المنطقة حيث كنت أمتلك "باجا" بلون أصفر.. هو باج دخول مسرّح به للمنطقة الخضراء ومسجّل الكترونيا في بطن الحواسيب كعامل نفايات في السفارة الأمريكية.. مُصرّح به للوصول الى سياج السفارة من دون الدخول لها .. عندما أصل الى مكعبات القمامة أقوم بفتح كل مكعب وأفرز محتوياته، بواسطة مفتاح خاص عليه رقم صندوق القمامة، لكل مكعب حجم يُفرز على أثره بمفتاح خاص وشفرة.. وأعتقد أن صديقي سُمي ب "ترتيب" لأنه يجيد ترتيب رص النفايات وكبسها بآلية تتيح رزمها وتضييق حيزها.

في إحدى المرات تسرّب عن طريق الخطأ أحد المكعبات المختومة بالختم الأحمر، أي التي يجب أن تسلّم بتوقيع وختم الى المحرقة السرية خلف السياج الخلفي للسفارة، المهم استطعت إزالة الختم الأحمر وإخراجه بشكل خردة نفاية ورقية مهملة.. يحمل هذا المكعب أكثر من

طن من الورق والأسرار الخاصة بمراسلات السفارة.. تبيّن فيما بعد أنها ليست ذات أهمية تُذكر إلاّ في القسم المطوي والملصق بالشمع الأحمر في كعب الصندوق.. كانت المطويات الورقية عبارة عن مراسلات سرية للوحدات العسكرية وبعضها رسائل ضباط الى زوجاتهم يشرحون في أغلبها الطرق البدائية للعيش والحياة الشرقية المتعسّرة هنا وقسوة الطبيعة الغاضبة على العراقيين، تشتمل أيضا على أحاديث ليست ذات أهمية عن قذارة المراحيض والحمامات هنا.. إنها بصراحة بضاعة كاسدة، فمعظم الأوراق المُسرّبة ليست ذات فائدة إلاّ القليل منها ..

استطعت بدهاء المهنة وخبثها من تسريب الأوراق المتبقية والسرية إلى وكالة خاصة تهتم بهذا النوع من الوثائق مقابل حفنة من دولارات قليلة.. ثم أعطيت الباقي من الأوراق الى مجلة نوارس.. فيها وثائق خاصة عن غرائب الحكايات الاجتماعية التي رافقت الحملة ..

يرتبط الأخ طه بعلاقة حسنة مع مدير مجلس إدارتها.. الأمر الذي أتاح له التوسط في توظيفي بصفة مصحح لغوي فيها.. غير أنه أخبرني أن بعض الأوراق تخص جماعتي المتبقين في العراق والذين رفضوا المغادرة، لقد قدمها هدية للسيد مدير مجلس إدارة المجلة والقسم الآخر سلّمه الى منظمة إنسانية تُعنى بشؤون الأقليات.. المنظمة التي دُعمت من قبل الأمانة العامة لهيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب في العراق ..

في واحدة من الأوراق السرية المطوية كانت توجز كتاب مرسل الى إدارة البنتاغون عن ظهور ملفت لشخصية شبحية يسمونه العراقيون ب "azran"..يتحدث الجميع هنا عن هذا الشخص الشبحي وعلاقته بعمليات القتل والقبض على أرواح الناس بالجملة بعد كل حادث قتل او

تفجير يظهر لإحصاء من تبقى.. كان يقوم بمراقبة الناس في الشوارع والبيوت.. يرتدي قميصا ورديا وربطة عنق رمانية بخط جريء أصفر ونظارة شمسية سوداء وكرش مكور.. يطلب كتاب الإشعار السري هذا من البنتاغون كيفية التعامل معه أو تحييده عن العمل.. بقيت هذه الوثيقة السرية رهينة خزانة طه ترتيب، لا يعرف كيفية التعامل معها.. حتى إن رئيس مجلس إدارة مجلة نوارس أخافته هذه الوثيقة من هيجان عزران وربما سيدمر مقر المجلة بما فيها.. لذلك احتفظَ ترتيب بتلك الوثيقة دون عرضها أو المتجارة بها مهما كلف الأمر..

"طه ترتيب" هذا شخصية غريبة بأفكاره، أعتبره أنا طاردا ممتازا لوحشة اللوثة البغدادية المخيمة في الأجواء الملبدة، فهو يتعاطف معي كثيرا ويسمعني جيدا بل كان يساعدني ماديا عندما أكون عاطلا عن العمل.. نجتمع في مقهى عباس مخلوف عصر كل يوم تقريبا، حيث يكون مكانه المفضّل بيني وبين صديقنا المشترك أخرس الدومينو.. هو لا يزعل من مناداته ب"ترتيب" بل يعتبرها وساما لدقة عمله في النفايات.. لم أدرك في حينها سر الرقم 19 الذي سجلته نقاط الدومينو والتي فاز بها في حينها بالضربة القاضية علينا أنا والأخرس.. تغيرت سحنته وأصابته رعشة مخيفة وأخفى رأسه بيديه ثم صرخ مرتعبا وقام بحركات غريبة.. بقيت هذه الحادثة في ذاكرتي دون تفسير واضح..

غالبا ما يكرر طه ترتيب: "أن اليهود العراقيين هم أصل هذه الأرض.. لهم تأريخ طويل على هذه الأرض، وهم ليسوا أسماك زينة أو نبات ظل، مثلما تتعامل معهم المنظمات الإنسانية، بل هم من أقدم الجماعات التاريخية على هذه الأرض.. لكن السياسات اللعينة حرّضت الجماهير المتحمّسة للسحل غالبا ضدهم لغاية اليوم.. حتى بات معظم

الناس يعتبر المواطنين اليهود ظلما صهاينة وموطنهم إسرائيل وتلك بحقيقتها تخدم أسرائيل ولا غيرها" .. يقول ترتيب أيضا بهذا الصدد" :

- لو كان بيدي لاعتنقت اليهودية دينا .. لكن ديانتكم منغلقة لا تسمح بالوافدين لها بعكس دين الأخرس الذي يسمح للدخول فيه أفواجا أفواجا .. فأغمز له بعيني لكي لا يسمعنا أحد رواد المقهى ويسبّب لي مشكلة فوق مشاكلي الكثيرة..

كنت غالبا ما أحسد صديقنا المشترك الأخرس الذي ينام مرتاحا كل ليلة، أنه لا يشعر بالوحشة المخيمة في الفضاء مثلنا .. كان في كل مرة يفوز علينا بنقاط الدومينو.. يخرج الى عمله بعربة حماره العجوز ويذهب الى مناطق الشعلة والغزالية والبياع والسيدية ليجمع طابوق البناء المتروك في الشوارع والحارات.. طابوقة طابوقة ينظفها من مخلفات الجص والأطيان، ليبيع كل ألف طابوقة بخمسين ألف دينار.. في يوم ممطر صادف إن شحّ الطابوق من الشوارع والحارات، فتناول أسيجة المدارس الآيلة وأسيجة خلفية لدوائر حكومية متروكة أو محوسمة واستطاع تقليم طابوق أسيجتها .. مهنة مريحة لا تسبب له أية متاعب، لذلك كان يعمل حركة ما تعبيرا عن القناعة والقبول بالرزق.. يضع كف يده على خده ويغمض عينيه ويميل رأسه تعبيرا عن النوم الهادئ والمريح، بعيدا عن قلقنا ووحشتنا ..

-أنت أستاذ محمد صحفي معروف ولك باع طويل في تاريخ يهود بغداد وياما طالعتنا موضوعاتك المنشورة في مجلة نوارس عن عذاب الأقليات ومنهم يهود بغداد .. نحن هنا أشبه بالسجناء المحكومين بالموت نعيش لحظات ما قبل التنفيذ .. الكثير من شرائح المجتمع العراقي تنظر لنا نظرة ريبة وتوجس وخوف.. كأننا جواسيس أو صهاينة أو عملاء، لا

ينظر لي انا شخصيا أبدا كمواطن عراقي .. مواطن عادي حالي حال أي عراقي معذّب هنا الا بعض المثقفين العراقيين طبعا ومنهم عباس مخلوف وأفراد بعض أعضاء المنظمات الانسانية الذين ينظرون لنا نظرة المساوات.. بعضهم يقول لي علانية" اذهب الى بلدك إسرائيل"، بالنسبة لي قُدمت لي مزيدا من الاغراءات للهجرة في فترات كثيرة، لكني مصر على البقاء في وطني.. أعيش هنا متخفيا خائفا ومذعورا راضيا بوضعي هذا لكن الناس لا تتركني أعيش بسلام.. وفوق كل هذا تظهر لنا الشائعات لتقول إن عزران يبحث عنّا .. حتى إني أخفيت نفسي وتغلفت في اسم آخر في الفيس بوك، خوفا من الناس وعزران موجزا همومي اليومية عبر شبكة التواصل لأصدقاء أخر متخفين لأسباب مختلفة.. يمكن أن يتصور بعضهم أنها مثالية زائدة.. غير أن الحقيقة هي في البقاء للحفاظ على بقايا الخميرة اليهودية.. ليست لي مطلقا علاقة بإسرائيل ولا بالفكرة الصهيونية.. كل ما أبتغيه هو العيش بسلام دون تهديد من أبناء وطني.. يبدو أن هذا الأمر عسير في الوقت الحاضر أستاذ محمد..

بالحقيقة أتعبتني البطالة في بغداد بشكل لا يصدّق ولا يُعقل.. لم أعمل مع الجيش الأمريكي في المناطق المسيّجة بالكونكريت مثل صديقي "ترتيب"، لأتحول الى جاسوس وينفّذ بي "حكم اللّه والشريعة" كما يقولون، لم أزرع عبوات ناسفة على طريق مرورهم، لم أكن من فلول النظام السابق أو إرهابيا بنظر الحكومة والأمريكان.. فاخترت طريقا وسطيا أسير به ب"جنب الحائط" بين هؤلاء وأولئك..

-ربما يسألني أحد الناس الفضوليين عن فكرة البقاء هنا في بغداد رغم كل هذا الرعب المحيط بي.. ويعتبرونه نوعا من البطر أو

اللامبالاة، طبعا ليس هو الانشداد للتاريخ كما أشيع في الإعلام العالمي.. ليست لي مثل كل العراقيين علاقة إيجابية مع التاريخ.. إنما هو الانشداد لاستعادة الذاكرة المتجذرة ومحاولة إحياء الطقس اليهودي البغدادي.. أنا بصراحة عبارة عن ذاكرة بسيطة غير مغرية تمشي على الأرض.. ذاكرة تسلبني كل جدوى غواية التاريخ المصطنع.. عندما يكون الماضي أقوى في الحضور من الحاضر نفسه.. فالحاضر باهت الطعم بل مخيف ومرعب، فترى معظم الناس يكلكلون بذاكرة الماضي على طريقة "كنّا وكنّا"..

كنت أوهمُ نفسي في كل صباح أن أكون موظفا معتبرا، فأستيقظ صباحا لأخرج في الشوارع مسرعا أقطع المسافات واهما نفسي اللحاق بدائرتي قبل رفع سجل التواقيع.. وفي آخر النهار كنت أضحك على نفسي بطريقة تمثيلية، أنا واقف كالمتسول على أبواب الوزارات والدوائر التابعة لها متأملا منظري السخيف هذا..

-لقد طرقت كل أبواب العمل الحكومي والأهلي والقطاعات المشتركة مستجيبا لكل إعلان وظيفة رسمية واستنسخت أوراقي الثبوتية عشرات المرات.. ولا شيء..... لا من استجابة فعلية..

في صباح كل يوم من أيام اسبوع العمل الخمسة أقف كذبابة مراحيض مزعجة وتافهة أمام موظف عراقي مسؤول عن التوظيف.. يرمقني بازدراء ويتجسّد الاحساس العالي بداخلي بأني فعلا مثل ذبابة المراحيض مكروهة.. أنظر له كجرذ يرتدي ربطة عنق وبدلة رمادية.. بمنظره هذا يذكرني بتوم وجيري في لعبة الاختفاء والظهور.. " لايوجد عمل.. تعال بعد إقرار الميزانية.. بعد العيد.. بعد الزيارة.. بعد العطلة.. في بداية السنة المقبلة"..

الأقدار جعلتني كثير الهوايات والمهن لا أميل للتخصّص الدقيق في العمل على طريقة "سبع صنايع" .. أنا لاعب ماهر في لعبة الدومينو مع صديقنا الأخرس في مقهى البطالة في جانب الكرخ وثالوثنا طه ترتيب يسجل نقاط الفوز والخسارة.. الأقدار تلعب بي حيث ما تشاء وحسب طبيعة العمل والوظيفة..

ناهزت من العمر ال45 سنة، ومثلي قد تزوّج واستقرّ.. ولا أعرف لماذا يقولون " الزواج راحة واستقرار" .. أعتقده نوعا من التشرد والضياع هنا .. وفي كلتا الحالتين جعلتني عقدة الزواج ملكا للوحشة.. أعاني من الضياع والغربة والوسطية المقيتة..

-ثم أين شريكة الحياة ؟ هذه التي ترضى برجل عاطل عن العمل مثلي ويهودي مكروه وأحيانا يتهموني بالنجاسة ويشطفون أيديهم عند الملامسة.. لم ألمس أية امرأة مطلقا .. المرأة عندي كائن غريب غير واضح الملامح، أرتبكُ كثيرا في التعامل مع "الجنس الآخر" .. قاطعني الوادي على حين غرة ليقول:

-لا تهتم كلنا في الهوى سواء.. المهم أصبحت بين يوم وليلة مصححا للغة العربية في مجلتنا .. وربما تنفتح عليك أبواب الرزق ثم الزواج.. انتهت الاستراحة وحان وقت التصحيح ..

رسالة فضائية سادسة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير:

بعد العودة من عمّان أنا وسامر مباشرة من دورة تأهيل المنظمة، أخبرني سامر أنه سيعالج الأمر بالخطوبة وبكل الوسائل المتاحة، وسيعيد الكرة تلو الكرة حتى يقتنع أبي بسامر، بالنسبة لي اعتبرتها واحدة من وسائل سامر لوضع العائلة أمام الأمر الواقع.. رغم التطمينات اليومية لي من عقدة القلق التي لازمتني بعد الحادثة المشؤومة التي حدثت لي في عمان وقد أخبرتك بها في الرسالة السابقة..

لم ينته الأمر عند هذه الحادثة.. المفاجأة العظيمة كانت تنتظرني لتزيد الطين بلّة ووجدتها أمامي.. فما أنْ مرّت بضع أيام قلائل حتى طرد أبي أهل سامر وقد وضع صورة أخي المقتول أمام الجميع في غرفة الاستقبال.. أخي الذي قُتل بحادثة بشعة من قبل الميلشيات التي كانت تجوب الشوارع في أعوام المحنة.. كان أخي ذاهبا الى عمله صباحا وتم اختطافه، في اليوم التالي وجدناه خلف السدة مع شبان آخرين رموا هناك.. عمّ الحزن الأسود على كل أركان البيت.. أمي كانت تغنّي وتكلكل في أساليب النشيج وفنون البكاء القاتل المميت لفترة طويلة..

تعقّدت الأمور الى الدرجة التي أشعرتني بالإحباط.. فكرتُ بالانتحار لأكثر من مرة، لكن الجرأة خانتني.. تمنيت أن أموت بمفخخة عابرة أو عبوة طريق.. ليس أمامي من خيارات أخرى.. أما سامر فقد كان يحيطني بالحنان ويشجّعني في كل يوم ألتقيه وأنا موشحّة بالملابس السود وعلامات الحزن بدت واضحة عليّ.. حتى بدا التلكؤ الواضح

على كروب عملنا أنا وسامر.. مما استدعى الأمر بتغييري من كروب إنقاذ اليهودي الأخير في منطقة النزيزة الى كروب بقايا الأرمن مع شخص آخر لا أرغب في العمل معه.

سيدي الكريم:

لم تبد عليّ علامات الحمل.. كان سامر يخبرني في كل مرة أن أهله جاهزون للقدوم الى الغزالية وخطبتي رسميا، لكنه ينتظر زوال تأثيرات الحزن المباشر..

راح سامر يحدثني في كل مرة، عن حبه لي وهو غير مستعد في يوم ما التخلي عني مهما كانت الظروف.. كذلك راح يحدثني عن أمور أخرى تشجعني على الاستمرار في الحياة .. كان يحدثني عن شرف الانسان هو في الوفاء بوعوده.. كان يقول:

- قضية الشرف في الشرق تختلف عنه في أصقاع العالم.. شرف المرأة ليس ما بين فخذيها.. أنما الشرف كل الشرف في الثبات على المباديء والقيم العليا بالصدق والوضوح والجدية وتحدي مصاعب الحياة والتغلب عليها..

إلى حد ما كان هذا الكلام يخفف عن كاهلي ثقل المعانات التي تلازمني.. وقد كنت أدرك تماما في قرارة نفسي أن الأمور ستجري بالاتجاه المعاكس.. غابت كلمات الحب والعشق عن حوارات ومسجات سامر اليومية.. يتحجج بعقبة رفض أبي المستمر له.. ماذا أفعل سيدي والقلق بدأ يخيم عليّ؟

تحياتي لك سيدي الكريم..

نورا

-14-

منظمة إخوان

في العدد الأول لمجلة نوارس كان هناك تحقيقا موسعا وشاملا عن المنظمة، الشروحات التعريفية في الصفحات الداخلية الأولى، تؤكد إنها منظمة إنسانية تهتم بشؤون الأقليات في العراق والشرق الأوسط.. يرمز لها في المخاطبات الدولية بالرمز الدولي"bahn" مسجلة في مفوضية الأمم المتحدة وتشرف عليها لجنة حقوق الإنسان العالمية.. لها امتدادات محلية تخاطبية مع مجلس الأقليات العراقية shared united NationsAssitance Mission for Iraq وعنصر ارتباطها هي السيدة ريم كوركيس يوحنا..

كذلك المنظمة مرخّصة للعمل في جمهورية العراق برقم الإجازة المسجل لدى مديرها التنفيذي السيد أركان نعيم الموسوي.. أكثر من صورة له في مواقع وميادين مختلفة من بغداد والمحافظات مع ناشطين في ثقافات التعدد.. تظهر الصور الملونة للسيد أركان وملاكاته في مواقع شتى يتفقد الأيزيدين في جبل سنجار أو الأخوة المسيحيين في سهل الموصل في برطلا كما في القوش وتل كيف والحمدانية او يتفقد الشبك في تلعفر أو الكاكائيين في السهل أو البهائيين في بغداد أو أقليات أخرى من بقايا الطائفة المندائية في العمارة والناصرية على نهر الفرات.. وقد أثبتت المنظمة مصداقيتها في التعاطي الجاد لتوفير مناخات إنسانية صحية لكل تلك الأقليات.. حيث عملت المنظمة لنقل مجاميع العالقين من هؤلاء وتنظيم مواسم لهجرات جماعية في فترات اشتداد العنف الطائفي.. الا إن العلاقة الخفية بين المنظمة والمجلة بقيت سرية، لم يفصح عنها محمد رياض الوادي. إلا إن طه ترتيب يحتفظ بوثيقة

حصل عليها من نبشه المتواصل في نفايات السفارة الامريكية تؤكد أن المجلة مدعومة من قبل المنظمة..

جاء في الرسالة الإلكترونية الأخيرة القادمة من المركز الرئيس في لندن والداعم الممول لفرع منظمة إخوان في بغداد ..

(مستر موسوي.. توجّب حضوركم الى بريطانيا – لندن - للتداول حول برنامج التبرعات بطريقة أداء افضل لعمل المنظمة في بغداد .. وحضور الموسم الثقافي الخريفي، يرجى إرسال نسخة من جواز سفركم.. صفحة الصورة والصفحة الأخرى اللاحقة.. ليتسنى لنا استحصال تأشيرة دخول لحضرتكم بريطانيا .. مؤسسة نعيم دنكور الإنسانية)..

في الصفحة الثانية لمجلة نوارس تفرد المجلة دعاية بمساحة إعلانية كافية لـ"منظمة إخوان الإنسانية" .. لمناصرة الأقليات المهددة بشبح الإبادة.. وتحت رقعة الإعلان المخطوط بالعربي والإنكليزي اسم المدير المفوض السيد أركان الموسوي ..

"تعمل منظمة إخوان الإنسانية غير الربحية في العراق بإشراف غير مباشر ودعم محدود من منظمة –هابيتيان- مؤل- وهي منظمة أوسع تابعة الى هيئة الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية للأقليات المعرضة لشبح الانقراض، كذلك يشرف مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA) المكتب الإقليمي في الشرق الأوسط "الإشراف غير المباشر..

تتضح صورة المنظمة أمام المتابعين بعد فوضى الاتهامات ومجانيتها أن مجلة نوارس هي واحدة من فعاليات ثقافية متعددة تابعة للمنظمة.. غير أن عزران كان يميل الى وضع المنظمة في خانة الشبهات.. يذكر في تقريره ما نصّه: "منظمة عميلة لجهات مشبوهة، غايتها إعادة الأقليات المهاجرة ومن ضمنهم اليهود العراقيون.. انتهى"..

غالبا ما تعلن المنظمة عن مشاريع طمأنة الأقليات المرعوبة، كذلك في محاولتها لحث الشباب الواعي ومن كلا الجنسين ممن يجيدون اللغة الإنكليزية والعربية كتابة وقراءة من الذين حاصلين على البكالوريوس أو الماجستير في هندسة علوم الحاسبات من تقديم أوراقهم لمقر المنظمة في الحارثية مرفقة بسيرة ذاتية على العنوان البريد الإلكتروني التالي:

arkan- 1957@yahoo.com

أما السيد أركان نعيم الموسوي، فهو شخص أخطبوطي.. تعدّى حاجز الخمسين سنة من عمره.. وقد عاد الى العراق ما بعد غزو عام ال 2003.. في التسعينات كان يعمل صحفيا مغمورا على القطعة.. كتب في جريدة نبض الشباب موضوعا مثيرا عن أحقيّة اليهود العراقيين – غير المتصهينين للعودة الى وطنهم الأم- العراق- فهم حسب تعبيره من سكان هذه الأرض قبل آلاف السنين.. لكن هذا الموضوع المثير في حينه قد أحرج المشرف على الصحيفة والتي ترتبط ارتباطا غير مباشر ب "عدي نجل الرئيس صدام حسين"..

حُوصر أركان الموسوي كثيرا في بغداد في حينها.. وصدرت بحقه أكثر من مذكرة إلقاء قبض سرية.. وكانت الفكرة تنحصر أما اغتياله أو اعتقاله.. لكن أخطبوطيته وحسّه الأمني العالي جعله يدرك بيسر ما تفكر به السلطة ويفلت من أطواقها وكمائنها.. انتقل أركان من صحفي مغمور الى صحفي ذائع الصيت، واستطاع الهرب الى شمال العراق في كردستان ومن هناك تمكن من الوصول الى لندن عبر وسطاء معارضين، بوصفه مطلوبا لسلطة البعث آنذاك.. أستطاع الوصول الى أماكن حساسة وثرية للجالية اليهودية العراقية في لندن.. حتى أنه صار لولبا لكل الندوات الثقافية والسهرات الجماعية للمجتمع اليهودي المخملي.. عُرف ب(mastar moswai) في تلك الاوساط وذاع صيته بينهم.. عمل فترة طويلة في مؤسسة نعيم دنكور الإنسانية لمساعدة الطلبة العراقيين

المهاجرين الذين يحاولون نيل شهادة الماجستير والدكتوراه على حساب المؤسسة المذكورة.. ووصل بذكائه وأخطبوطيته الى موقع السيد نعيم دنكور وزوجته ملكة جمال العراق في عام 1946 السيدة.....، استطاع اقناعهما بموضوعاته الجنونية والعمل بالمناطق الساخنة في بغداد تحديدا لإنقاذ البقية القليلة من اليهود العراقيين ومحاولة تسفيرهم، بعدما عجزت السفارة الأمريكية من محاولة إقناعهم بخطورة "بغداد" كمدينة ساخنة على حياتهم الشخصية.. قال السيد نعيم دنكور لمستر موسوي:

- سيد موسوي أنت لوبقيت هنا في لندن لا أشك بوصولك بعد فترة وجيزة وبسهولة لمنصب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة بعد تقاعد عجوزها هذا ..

عاد السيد أركان في عام 2004 إلى العراق.. وتقلّب بمهن كثيرة حتى استقر به الوضع لفتح منظمة إخوان الانسانية بمساعدة ودعم مباشر من مؤسسة نعيم دنكور في لندن.. وقد ذاع صيت منظمته في البلد لما تمتلكه من إمكانات مادية ضخمة ومرتبات دولارية عالية المستوى للعاملين بها .. 2000 دولار شهريا فقط لعامل تقديم القهوة ومثلها للمنظفين وعمال الحديقة الأمامية والخلفية..أما بقية العاملين بوظائف أخرى فكانت المرتبات مرتفعة مقابل المنظمات الأخرى..

أما بخصوص مجلة نوارس وهي ذات علاقة غير مباشرة بمنظمة إخوان، فقد تقوّل بعض الإعلاميين العراقيين الكثير عن غموضها ومرجعيتها .. "ان هذه المجلة ما هي الا نافذة مدعومة بشكل غير مباشر من منظمة إخوان التي ليس لها أخ واضح العلامات الفارقة بين المنظمات العاملة في البلد"..

-15-

كثبان رملية متحركة

أرتديت طاقية الإخفاء مثل كل مرة.. خوفا من اصطيادي من عزران الذي كثُر الحديث عنه في شوارع بغداد .. كيف لي أن أتحرك ما بين المقهى في النزيزة وعملي في شارع السعدون في المجلة دون طاقية ونظارة سوداء ولحية خفيفة متملصا من قبضة أصابع الشبحي وهو يحيط رقبتي كل ليلة يحاول فيها خنقي.. قال لي:

- أنت عامر أم أليس؟؟؟ تكلّمْ بسرعة..

- .....

هناك أمور كثيرة لم تعالجها أو حتى لم تأخذها بعد بالحسبان تلك التقنيّات الحديثة لشركة SAMSUNG.. فبرنامج استشعار الخطر لم يعد يعمل بذات الكفاءة.. فقد تمكنت بعض الشركات الرديفة من استمكان البرنامج المذكور ودحر فعاليته، تم إيقافه وتهكير تقنيته الفعّالة..

أصبحت الآن مكشوفا تماما أمام الطعنات ومن كل الاتجاهات المختلفة.. لا من برنامج مُكافح يحميني من الأخطار المحدقة بي.. مما زاد من الوحشة المريبة التي تنتاب بعضنا هذه الأيام.. وهي ليست رديفة الى مفردة الوحدة أو التوحّد كما أوردتها مجلة نوارس وقمت في حينها بتصحيحها لغويا، من دون أن أبدي رأيا مخالفا في عالم التوحّد أو عوالم الوحشة البغدادية اتجاه نزر الحياة الشحيحة..

بعد تردد قاتل قررت الذهاب الى مدينة الناصرية، غالبا ما يقول عني طه ترتيب إني شخصية مترددة، أنا بطبعي لا أميل للبت في الأمور

التي تحيط بي وتلزمني بإتخاذ القرار السريع، المهم أني هذه المرة حاولت القفز على تشخيصه لي وقررتُ الذهاب الى مدينة الناصرية بقرار شجاع.. لم أزرها من قبل ولكني كنت أسمع عنها كثيرا في الأخبار.. بل لم أر في حياتي أية مدينة جنوبية مطلقا .... فأنا رجل بغدادي مشكوك في بغداديته، عشت في دائرة صغيرة من مدينة بغداد، وعليّ أن أتحدث فضائيا في "الفيس بوك" مع قرين لي هناك والإ سأتعفّن في دائرتي البغدادية الضيقة هذه فهي أضيق من فوّهة تنور طين مستعر.. سأدردش معه على الخاص عن الطريق الأسلم والأمن للوصول الى مركز المدينة وكيفية التعرف على داود اليهودي، أو على أصدقاء الدردشة الثلاث..

عندما قررت الذهاب الى "داود" القابع في دائرة الناصرية لأشكو له ما أنا فيه وأنشُ عن كاهلي شبح الوحشة ولو لأيام فقط متخلّصا من الشبحي ومراقبته بالسفر الى الناصرية..

أرشدني سيد قطانو الى "داود ناصرية" بعد الحاح شديد مني.. إلى يهودي آخر من الجنوب وهو المتخفي الثاني بعدي.. وكان تصوري عن الناصرية أنها مدينة نائية جدا تقع على حافة صحراء الجنوب وهي بعيدة نسبيا عن بغداد، حيث تصورتها كجيب مستوحش ساكن على حافة صحراء خالية من البشر.. الحياة فيها بدائية وبسيطة.. ناسها بسطاء يبالغون في طيبتهم المفرطة ويكثرون من كرمهم اتجاه الغريب..

أذهب للبحث عن " داود ناصرية" الوحيد الذي يتلذذ بعزلته الكرستالية في مدينة الناصرية.. ليس للرجل عنوان ثابت هناك مثلما ذكر لي قطانو فقد انقطعت أخباره منذ أيام سقوط بغداد واحتلالها، كل ما صرّح به السيد ناجي قطانو – دليل البقية الباقية – أنه موجود

بشكل متخفٍّ في منطقة باب الشطرة في مركز المدينة، قال: "كان أبوه "الله يرحمه" يمتهن بيع الفحم في علوة السيف هناك.. داود يوسف ذاب مع توجهات المدينة في موجة تديّنها الطاغية، ما جعلته يتلذذ بالصمت والعفن الوجودي".. امتهن عدة مهن وتقلب في الكثير من الصنائع والمهن البسيطة.. فمرة تراه مصورا شمسيا، ومرة فحّاما يُحي تراث أبيه ومرة أخرى وزّانَ حبوب في سوق الطعام في علوة السيف..

يعيش في الناصرية ولا يريد تركها مطلقا فهو غير متزوج يعيش وحيدا ينتظر منيّته هناك ولم يحضر الى معبد "مئير طويق" ولم ير الحاخام المتخفي في كل فترات التعبّد .. لكن عزلته ووحدته لم تضعه في مرمى النيران المتشابكة هناك.. يعيش في خربة تركها له الأب، هي عبارة عن بيته الصغير.. تتكون الخربة من غرفة واحدة بملحقاتها، لكن النفايات والأزبال وأكوام فتات الفحم الأسود وأكياسه جعلت من الرجل عبارة عن هامش حياتي لاينفع ولا يضر أمام تيار التوجه العام في المدينة وطوفان موجات التدين المنتشرة في الفضاء الرمادي هذا ..

هناك ثلة من أصدقاء دردشة "الفيس بوك" سيستقبلونني داخل المدينة في مقهى العروبة.. أقمت علاقة افتراضية مع ثلاثة منهم طيلة فترة التوحش التي قضيتها أبان الفترة التي تسّيد بها الشبحي في شوارع بغداد.. الأول أطلق لنفسه اسم "شمس الاحرار" والثاني غلّف نفسه ب "جلجامش العراقي" أما الثالث من الثلة المتمردة نفسها فيدعى "كوسو في الناصرية"..

هذه الثلة هم من جماعة "ملحدون" السرية تحترف طريقة إلحاد ما بعد الحداثة.. يستمدون أفكارهم من الخزان الفكري لعدنان معارضة.. أفكارهم مريبة ومخيفة وباختصار هم يعتنقون بل يؤمنون

ايمانا متطرفا وقاطعا بأن لابد لهذه الأرض من خالق أرضي.. أرضي يعيش قريباً منهم.. يعيش بين الجميع وهو حي لا يموت.. هذا الخالق هو الذي يوزع عليهم العذابات بالتساوي وله رسل كثر ربما كان آخرهم عزران..

وفي ليلة ما كانت الوحشة الكبيرة متسيّدة فيها، تراسلت معهم على الخاص عبر مناقشات حامية عن نظرية "اللا - أدرية" التي بدت تنتشر بشكل أو بآخر بين ثنايا المجتمعات التي تعاني من إحتباس فكري حاد بعد استبداد الدين السياسي وطغيانه.. أتذكر ما قاله لي "جلجامش العراقي" بهذا الخصوص عبر الدردشة الليلية: "كلما تسيّدت الجماعات المتشدّدة - حصلت الردة السرية في الخفاء".. كنت أقترب منهم كثيرا فهم لا يرون في ديانتي مشكلة اتجاه توجهاتهم العامة..

وهم حصّنوا أنفسهم بشكل جيد ضد الاختراق من الآخرين.. بل عملوا بالضد من توجهاتهم الحقيقية.. فهم يؤمنون بحتمية التخفي للرب والعباد وإظهار العكس أمام الناس.. مما جعلهم يظهرون تديّنا مظهريا مزيفا.. التشدد في الملبس وطريقة الكلام وأداء الطقوس العبادية العامة والمتوارثة كعادات وأنماط سلوكية حالهم حال الجميع.. هذه الجماعة هي محاولة إحياء كما يذكر "كوسو في وشمس الأحرار" لجماعة تنظيمية قديمة تُعرف بـ "منظمة أحرار" ظهرت في بداية القرن العشرين في ربوع الناصرية الناشئة كمدينة طليعية تتطلّع لكل أفكار جديدة من أفكار عالمية جاءت مع الانفتاح الحاصل في بداية الاحتلال الانكليزي، حيث ظهرت في عام 1927 هذه الحركة انتشرت في جنوب العراق كفكرة وجودية ونظرية قردية عن سر الوجود الكوني.

فيما قال شمس الأحرار وهو الرجل الاصلع القصير:

- "أحرار" هي حركة فكرية أكثر من كونها منظمة سياسية مناهضة لسلطة الاحتلال البريطاني آنذاك.. وهي حركة مناهضة اجتماعية انتشرت بشكل واسع في ربوع المدينة وأصبح لها أتباع كثر في فترة قليلة.. استطاعت السلطة من إبادتها بأمر شرعي مدعوم آنذاك.. فيما قال كوسوفي في الدردشة الليلية:

- " لذلك ارتأينا أن تكون حركتنا سرية وتمتاز بالتخفّي الدقيق وإتقان التمثيل السلوكي وإظهار التدين المتشدد بشكل يتيح لنا الحركة داخل المدينة بشكل مرن" ..

وصلت مدينة الناصرية بعد أربع ساعات متواصلة قطعت بها خيطا صحراويا زاد كثيرا في بلورة وحشتي المخيفة.. يتيح الطريق الصحرواي الدولي الجديد هذا المجال كثيرا لتقليب صفحات واسعة من ذاكرة الماضي، الذاكرة التي سمّرتني على هذه الأرض.

يمتد هذا الطريق بممرين واسعين حديثين حتى نهاية مدينة الديوانية ثم يتلاشى الطريق تدريجيا مع قطع كبيرة تدلل على تواجد كبير لقوات درع الجنوب التي نصبت سيطراتها على الطريق الدولي، حتى يتحول الطريق الى ممر واحد تحيط به قطع تحذير كثيرة كل عشرة كيلومترات بالكثبان الرملية والمطاعم التي تقدم كباب الصحراء المشوي. عندما أحدق في خيط الطريق الأسود أجد قطع مخلوعة من إطارات الناقلات على صفحته متناثرة على طول الطريق، تتبعها مناظر للكلاب المدهوسة وقد تساوت مع التبليط وبقي رسمها الأثري على الطريق.. لا شيء غير ذلك سوى الوحشة الدبقة في تلك الصحراء.. لقد اتاح لي تقليب كل الأفكار المنضدة هنا في رأسي وترتيب البعض منها .. وهي محاولة لتزجية الوقت المتبقي من الطريق المؤدي للناصرية.

على باب السيطرة الرئيسة لمدخل مدينة الناصرية وبعد عدة يافطات عملاقة ترحّب بـ"الزائر الكريم" ومزيدا من صور الرموز الدينية والشعارات المسطّحة، وقوسا منيفا لمدخلها ينم عن عظمة عمرانها، تبيّن أنه محض كذبة كبيرة بعد المدخل مباشرة، حيث سرعان ما يتبدد هذا الشعور الزائل.. عند الوصول الى بداية الدخول الى أطلال مدينة خربة قال لي رجل الأمن:

- هويتك أخي..

- تفضل..

- تفضل أخي عامر.

قال سائق السيارة "اليوكن" للركاب: "إنهم يفتشون في صناديق السيارات بحثا عن قناني الخمر.. هذه الرائحة الغريبة هي رائحة خمور مسفوحة أو محروقة.. عندما يحصلون على واحدة يشتمون صاحبها – حامل المنكر- ثم يتم تجميعها كل يوم ويتم بيعها بأضعاف أسعارها على كحولي المدينة وتماثيلها الأوفياء.. أحيانا أخرى تتجمع زمر الشرطة ويصورون قناني المنكر كما يسمونها بحفلة كرنفالية لحرق الكراتين المهربة منها مع هوسات وأهازيج النصر.. رائحة الخمور المحروقة تزكم الأنوف وتصيب الركاب بدوار منعش.. "زنادقة" قال أحد الشرطة وقد شاركه في الرأي مجموعة من الركاب المتدينين من ذوي المحابس واللحى..

❖

لا أستطيع أن أفي بوعودي لها.. أنا لستُ برجل خائن كما جاء برسالتها الأخيرة.. حيث بعثت لي برسالة موبايل قاسية قليلة

الكلمات.." غير آسفة على اكتشافي لخيانتك.. الرجل الخائن لا يصلح لكل شيء".. المسكينة تعتقد أني رجل كامل الرجولة!".. سأحدث " داود ناصرية" طبعا إن وجدته حيا عن هذه البنت.. فهي أصلا من لبّة هذه المدينة وربما يعرفها ويعرف كثيرا عن عائلتها التي هاجرت في فترة الحصار إبان التسعينات المضنية وهي من مواليد هذه المدينة.. تعرفت عليها من خلال صداقات الافتراض الفيسبوكية ذات مساء..

نعم وعدتها بالزواج عندما أحصل على الوظيفة.. هذا كل ما وعدتها به.. اعتبرت حصولي على الوظيفة كمصحح لغوي لحظة إنقاد تاريخية لها.. قالت "ما العذر بعد الوظيفة يا عامر؟" وما علمتْ أني لست بعامر.. لست برجل ولست مسلما.. المسكينة أحبّتني مثلما تحب أي بنت الرجل المكتمل الوجود.. مَنْ يعلم ربما أوحى لها الشبحي بهذا الحب.. هذا كان حقيقيا، أما غير الحقيقي فإني كتبت اسمي بالفيس بوك ب " عامر البغدادي" متخفيا فضائيا.. لكني لا أعرف كثيرا عن نفسي جيدا.. هل أبادلها نفس المشاعر أم متردد خائف مذعور؟؟ طبعا أعرف أن هذا التردد بسبب الاقتران.. لا أستطيع أن أخبرها أني لا أستطيع الاقتران بها بسبب عطب مقصود لذكورتي.. الجماعة ثقبوا الخصية وكووا الحبل الناقل، ثم تركوني أسرح وأمرح مثل هر مطابخ في دروب بغداد وشوارعها الموحشة، لأجد قدري ينتظرني راكبا فوق دراجة صرصور سوداء يرشده الشبحي ويوجهه بهاتفه السامسونج، هل أخبرها بعد أن وثقّت البنت بي وأعطتني مفاتيح قلبها؟ ربما إن أخبرتها بما حصل لي ستضع لي عبوة لاصقة على مؤخرتي وتفجّرها.. مَنْ يَعلم !؟ فطريقة الأخذ بالثأر غدت أكثر دموية هذه الأيام.. وعتاب الأحبة ينتهي الى نار وجمر وحرائق.. انتهت حيرتي الآن بعد ميتة نظيفة

ومميّزة ولله الحمد .. المهم أني الآن أتحدث لكم عن رحلتي الى داود ناصرية..

هذه البنت هي من الناصرية أصلا تركها أبوها ويدعى سليم كرجي وهاجر مع زوجته وترك البنت عند عائلة مسلمة من المدينة وسرعان ما تبخّرت هذه العائلة وانقطعت أخبارها تماما..أما هي فلا تعرف عن ديانتها الكثير.. استسلمت للأمر الواقع ومحت الفطرة من حياتها..

داود ناصرية يعرف كل أهل المدينة الأصليين، وهم يعرفونه طبعا .. قبل أن تتعرض المدينة الى غزو شرس وعنيف من أهل الريف المحاذي للمدينة.. في الأقل سأقدم اعتذاري الشخصي محاولا توضيح الالتباس الحاصل بوضعي الشخصي.. فأنا بعد حادث الإخصاء لا أستطيع الاقتران بأحد أي أحد مهما كان حتى طه ترتيب والأخرس ومحمد رياض الوادي وداود ناصرية..

رسالة فضائية سابعة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير:

غالبا ما أحاول كتابة رسائلي هذه إليك في ساعات الفجر الأولى حيث الناس نيام وتيار الكهرباء الوطنية متوافر بشكل أفضل من ساعات النهار الأخرى.. ساعات الفجر تتصف بهدوء النفس النسبي على كافة الأصعدة..

سيدي الكريم:

تطورت الأمور بشكل متسارع في علاقتي المشوبة بأخطار مع سامر خصوصا في أيام ما بعد سفرة عمان.. وقد فكرت كثيرا فعلا للبحث عن طريقة ما للتخلص من سطوة وسلطان العشق والنزول الى أرض واقع اقدامه بثقل الجبال، لم تنته جذوة الحب في قلبي.. إنما هو الخوف عليه من أهلي.. أبي وأخي وأولاد عمي الذين عرفوا بمحاولات سامر المستمرة في التقدم لي لخطبتي ورفض أبي المتكرر للأمر برمته.. ليس لها تفسير سوى أنه يحبني..

كيف أتخلص من شبح سامر؟؟ هذا السؤال الذي دفعني فعلا للتخلص من الوظيفة وإبعاد سامر عن خطر محدق من أهلي.. وقد سمعت مرة أن أبي يتحدث في الهاتف عن أوصافه ومحل العمل في المنظمة..

في الأيام الأخيرة لي فيها .. طرح علي سامر فكرة الهجرة خارج العراق في فرع المنظمة الإقليمي بعمان، ليتسنى لنا الزواج ومن ثم طلب

اللجوء الإنساني المفتوح تلك الأيام عبر أندنوسيا او ماليزيا أو تركيا .. رفضت فكرة الهرب من أهلي بتلك الطريقة المرعبة، التي تسبب الحرج لأهلي أمام الأقارب.. اعتبرتها خيانة للثقة التي منحها أبي لي .. ماذا أفعل سيدي والدائرة بدت تضيق حول رقبتي؟

في أحد الأيام الكالحة قام بكر بزيارة خاطفة ومريبة لبيتنا، ابن عمي الذي يتردد دائما على بيتنا .. جاء الى مقر المنظمة في صباح أحد الأيام بدعوى أنه كان مارا في منطقة الحارثية وجاء ليسأل عن أحوالي.. غير أن الغريب في الزيارة أنه كان يسأل عن سامر كثيرا بحجة التعرف عليه.. سألني عنه فقلت:

- غير موجود .. ماذا تريد منه يا بكر؟
- لا شيء سوى التعرف عليه..

ثم خرج بسرعة من المنظمة وكنت أظن أن القضية انتهت عند هذا الحد .. حتى خابرني سامر بتلك الليلة .. وقال لي: " إنه تلقى مكالمة غريبة من شخص يدعى بكر يريد اللقاء به في مكان هو يختاره.. ليسهّل عليه قضية الخطوبة وهو كما يدعي أنه يؤثرعلى والدي كثيرا"

لقد تعقدت الامور بشكل أكبر سيدي الكريم.. غدا سأكمل لك ما جرى من أحداث أخرى.. حان موعد إطفاء الكهرباء الوطنية الشحيحة.. تحياتي.

نورا

-16-

بذرة داود

وصلت مركز مدينة الناصرية عصر ذلك اليوم الموحش، بعد رحلة صحراوية في الطريق الدولي الجديد .. الريح تصفر في الشوارع الكئيبة والخالية من البشر إلا من بعض الذين طردتهم البيوت..

ذهبت فورا في رحلة البحث عن مكان لي في فندق بسيط ومتواضع في مركز المدينة حيث شارع الحبوبي أمامي والفرات بكورنيشه خلفي كما أخبرني سائق التكسي الرجل الأصلع.. كان الأمر جد يسير في الحصول على سرير في غرفة رباعية الأسرة في فندق يدعى "حمورابي" على ناصية شارع النيل وهو الشارع الرئيس في المدينة، إذ يطلّ في طابقه الأول على عمامة الحبوبي الكونكريتية الكبيرة، حيث تزينه حزمة من أعلام ملونة كبيرة لأحزاب وتيارات وحركات إسلامية متشابهة.. المهم أني سأنام على سرير حديدي أثري وفراش متواضع جدا بعد سيل جارف من أسئلة أمنية كثيرة من رجل الاستعلامات.. وجوه كثر تتفرس بغريب المدينة الذي طرأ على سكينتها .. وجوه كانت تثير أسئلة عدة دون أن تنطق علنا بسؤال واحد .بل كانت تتحيّن الفرصة للانقضاض على هوية هذا الغريب.. لكن هيهات سوف لا أحقق لهم ما يبتغون بطريقة الصمت الملفوف بالرماد القاتم..

أخذت حماما سرياليا حيث كان النزلاء يحدقون بأعضائي المتاحة للنظر خلف باب حمام مخلوع وسفري.. باب الحمام يأبى الانغلاق على غريب المدينة ككل أبواب أروقة الفندق.. استحمام سريالي بقشطة صغيرة من صابونة صفراء انزلقت الى المجاري مع أول حركة اغتسال..

خلدت الى اغفائة بسيطة، انتهت الغفوة مع استيقاظي كالمفزوع، سرعان ما نزلت من الطابق الثاني .. وقد دبّت الحركة بين أبناء المدينة، فوجدت نفسي أسير بين أمواجهم، مستغربا لكثرة المطاعم والمقاهي المطلّة على شارع النيل الذي اكتسب التسمية إبان المد القومي المتعاظم في فترة الثمانينات.. جلست الى مقهى تدعى "مقهى الصوافي" تقدم الشاي القيري المحلّى وهي مقهى مثلما أخبرني كوسوفي الناصرية للتيار اليساري المحافظ لأبناء المدينة، تجتمع فيها أجيال متنوعة من رياضي المدينة المتقاعدين وشيوخ عشائر مطرودين من فترة البعث يحتسون قير الشاي بتلذذ واضح وحبور.. عظمت حيرتي من كثرة المجانين والمتسولين الذين يمرون على زبائن المقهى، لا أحد يتهمهم بالمخابراتية مثلما كان سائدا في عهد صدام..

اتصلت بالهاتف بثلاثي الدردشة للتعّرف الواقعي عليهم حسب الاتفاق المبرم قبل المجيء الى الناصرية.. ومن ثم نبدأ بحركة البحث عن "داود ناصرية" على وفق المخطط المحدد لي.. رغم كل اليأس الذي يغلفني فقد كنت جادا في البحث عنه مهما كلف الأمر، ومهما تعاظمت وطالت فترة البحث ومشاكلها..

بعد ساعة كاملة من الضجر وتكرار حقن الشاي القيري أطل عليّ الثلاثة ومن دون عناء تم التعارف بيننا بسهولة.. أخذوني معهم في رحلة المسير للترفيه والتعرف على كورنيش المدينة وهم يشيرون لي بالأماكن – الأطلال في سفوح مدينة أنهكتها حروب وحصارات وتيه وضياعات وهجومات من غرباء وقرويين استباحوا بكارتها وأذنّوا لصلوات اليأس في خرائبها.. انتهت جولة الترفيه المزعومة تلك الى عدم.. دون أية انطباعات مضافة.. عدت الى حمورابي الفندق السريالي على أمل تكثيف الجهود

بمساعدة ثلاثي الدردشة في اليوم الثاني للبحث عن مكان داود، على وفق المعلومات المتوافرة عندي التي زودني بها ناجي قطانو..

- داود وأبوه وجدّه هم من مواليد الناصرية.. أبوه الله يرحمه كان يبيع الفحم في منطقة تدعى في الناصرية بـ"علوة السيف".. هو يسكن وفقا لآخر المعلومات المتوفرة لدي في منطقة باب الشطرة قبل ال2003. خذْ مثلا هذه الصورة الوحيدة له عندما كان صبيا ببجامته المقلمة في منطقة السيف، ربما تفيدك في البحث عنه.

لم تكن هذه المعلومات ذات فائدة تُذكر وفقا للجولات الميدانية للبحث عن داود برفقة ثلاثي الدردشة.. لا سيف ولا فحم ولا ناس يعرفونه.. فأغلب أهل المدينة قد غادروها بعد الاحتلال الأمريكي حتى حلّت غزوة التدين الحماسي التي تربعت على قلب المدينة وذاب الجميع في موجة التدين وهاجر من هاجر من الأبناء والأهل الى المنافي البعيدة..

غير أن أحد الأشخاص القدامى المتبقين من الأهالي قد وضع لنا أطلسا مبسّطا مدعوما بخريطة للوصول الى داود ناصرية.. حيث استمر البحث لأربعة أيام متواصلة ولم نصل الى نتيجة واقعية.. لقد كانت الخريطة جيبا مهلكا ومتاهة مضنية في مناطق تكاد تكون مغلقة على أهلها وتتضح غربتنا فيها وضوح السواد في البياض .. كلما نصل الى خيط سرعان ما ينقطع لنبدأ البحث مرة أخرى من جديد وهكذا حتى تقطّعت بنا السبل كلها.. تعب ثلاثي الدردشة من البحث في مدينة صغيرة وتلبستهم الظنون والمخاوف لئلا ينتبه رجال الأمن للأمر ونزج كلنا في سين وجيم.. أبلغوني انهم سيواصلون البحث وعليّ الرحيل عن الناصرية خصوصا أن صاحب الفندق أخبرني بطلب المغادرة الفورية لوصول وفد رياضي وعليّ إخلاء السرير في الغد..

في اليوم التالي أقفلت عائدا الى بغداد بخفي حنين.. سأكون نهبا للوحشة والخذلان دون شريك آخر.. داود قد احتاط جيدا دافنا نفسه في رحلة التخفي المضنية لنا .. ربما توارى بين أكوان الفحم أو ذاب بلحية ومحبس ودشداشة سوداء.. أو ربما قُتل كونه يهوديا نجسا في مدينة الإيمان.. وداعا داود ناصرية. لا من سبيل اليك إلا الله ومن بعده عزران..

-17-

منظمة إخوان لندن

مرّت أيام العمل عليهما ثقيلة من دون نتائج متحققة تُذكر، مما أضعف موقفهما أمام مدير المنظمة الذي ما انفك يلّح عليهما يوميا في الوصول إلى خيط يدلّهما على صورة للهدف في أضعف الحالات..

في يوم ما أخبرهما المدير بنفاد الفترة المحدّدة لهما، إن لم يحسما الموقف خلال أسبوع فقط.. ترتّب عليهما حسم الملف بالسرعة الممكنة ومواصلة مشوارهما في متابعة الهدف وتقديم التقرير النهائي بسقف زمني لايتجاوز سقف هذا الاسبوع.. رغم أنه هناك أكثر من مشكلة قد تلاقيهما في ذلك اليوم أو اليومين اللاحقين.. فالرجل المتخفّي لا يمكن أن يكشف لهما طبيعة تخفّيه لأسباب كثيرة، منها رعب الأسئلة الشخصية عن الذوات وكذلك الاحتكاك الطائفي المرعب بعملية جمع المعلومات عن الناس وما يرافقها من قلق وتوجس.. الناس مستفزّة سواء في منطقة النزيزة أم في الكرخ كلها كما في الرصافةأو في بغداد كلها.

كانت توجيهات المدير المفوض لهما، بالاستمرار الحذر والوصول للسيد "عامر أفندي" ومكاشفته بقضية منظمة إخوان لمساعدته وإنقاذه من الخطر في بقائه في منطقة النزيزة وفقا لوصية العم نعيم دنكور.. كانت الخطة الجديدة تقتضي شطب الكثير من المراحل وتقليص جدولها الزمني ثم إحداث تغيرات مسرّعة في قاعدة البيانات قبل الوصول الى طريق مسدود.. اتفقا على مفاتحته بمفتاح الشفرة ب" شومري متسفا"- كطريقة حرق مراحل وتسريع، بعدها ستكون الأمور مفتوحة للطرفين للحوار الصريح ثم تقرير المصير على أن تتحمل المنظمة كل

أصناف الدعم والانتشال من وضعه الحالي.. يسبقها مرحلة تأكيد الهوية من خلال إرسال الصورة إلى لندن للتعرف عليه، على أن تتطابق المعلومات مع تأكيدات أو نفي ناجي قطانو..

"شومري متسفا" كتب سامر هذا المقطع اللغز بقصاصة ورق وحشرها في مفكرته.. وبكلمات قليلة استطاع السيد أركان الموسوي شرح الكلمة السرية هذه لهما.. عندما سألت نورا بطبيعتها الفطرية عن معنى هذا المقطع وترجمته للعربية، أجابها السيد أركان الموسوي بكلمات مقتّضبة تحمل في طياتها الكثير من الحذر قُبيل الإنزلاق في التفسير الطويل للمعنى الديني التوراتي لهذه الشفرة حيث قال:

- معناها الحفاظ على الشريعة في ديانة يهود العراق.. هذا هو المعنى الحرفي لترجمة الكلمة من العبرية الى العربية.. ومثلما موجود في كل الأديان من فرق وطوائف وجماعات داخل الدين الواحد.. أيضا هؤلاء جماعة "شومري متسفا" الذين يتّصفون بها جماعة يهود العراق بالذات عن غيرهم من اليهود الآخرين في كل أصقاع العالم.. يعتقد أنها جاءت من طقوس لعبادات توراتية أصيلة أيام السبي البابلي وبقيت خالدة في الطقوس والذاكرة اليهودية المحلية وهي أصلا غير معترفة بالفكرة الصهيونية..

قطع سامر ونورا الطريق صباحا من المنصور الى منطقة النزيزة، حتى وصلا في ساعة متأخرة من وضح النهار الى مكان عامر أفندي..

لم يخف نفسه بطاقيّة الإخفاء كما أخبرهم السيد أركان.. ولم يكن محل الحدادة بعيدا عن فرن صمون البركة كما توقعا، لكنهما بالمقابل لم يحصلا داخل محل الحدادة المعروف في المنطقة ببيع حديد السقوف عن أية معلومات عن الرجل، إذ استطاع الرجل (البديل) وبعملية تمويه بارعة عندما نفى أي ذكر لعامر أفندي في النزيزة كلها حيث قال:

- عمي ماكو واحد بهذا الاسم في كل هذه المنطقة.. من مدخل السيطرة وحتى الرحمانية ليش هو اكو أفندي يبقى في بغداد؟ بطران ..

يتطلّب الأمر أذن معالجة فك الالتباس بين معلومة صاحب المقهى "عباس مخلوف" وحديثه عن شخص يدعى "داود أفندي" وعن الهدف المعني والمدعو "عامر أفندي".. وتلك قضية ملتبسة تحتاج لأطلس مصوّر جديد للتفريق بين شخصيتين يسكنان في منطقة واحدة.. حيث تكمن العقدة في مرحلتها الثانية لاكتشاف الشخصية الحقيقية – دائرة البحث– المدعو " أليس رغيد حزام" قال سامر لعباس مخلوف صاحب المقهى:

- عمو.. إننا من منظمة إخوان الإنسانية نعمل على تقديم المساعدة لبعض شخوص الأقليات المحاصرين ومساعدتهم على الهجرة، هل تعرف شخصا يدعى "أليس رغيد حزام"؟

- يا أليس يا رغيد.. الجميع هنا خائف ومرعوب. كلما قدمت شايا لزبون يهتز الاستكان يرقص ثم يسقط.. يوميا تفقد المنطقة واحدا من خيرة شبابها بفعل الاحتكاك، أنظر نوارس جسر الشهداء وأنت تعرف الباقي.. ربما الشخص المقصود هاجر أو ذاب أو تخفّى بين حشود الناس المرعوبة وهجر النزيزة كلها.. كيف باليهود المساكين وسط فوضى القتل بالكواتم والذبح المبارك على الطريقة الشرعية؟ الوضع في البلد أبدا لا يسمح لبقاء هكذا نماذج في ظروف عصيبة.. فقط بس يخلص هذا القوري أفلت..

كانت خطة عمل هذا اليوم تقتضي المصارحة المباشرة، عندما يلتقيان بالسيد "عامرأفندي" في محل الحدادة، شكّك سامر بالشخص البديل الموجود في محل الحدادة.. رغم كل التمويه الذي عمله على شخصيته والشعارات الاسلامية التي رفعها على جدران محل الحدادة..

حيث رفض الرجل رفضا قاطعا، بل نكَرَ أصل القضية كلها .. لم يعط لهما المجال لزيادة التوضيح.. حتى إنهم عاودا الكرّة عليه بإلحاح من هاتف المدير، حتى وصل الحال فيهما لاستفزازه بشريعته"شومري متسفا" .. بعد أن درّبهم السيد أركان المدير على انتزاع الاعتراف بطريقة ملتوية تصادمية ..

كانت لائحة تعليمات المدير تعتمد ثلاث نقاط يجب الحصول عليها من الشخص – الهدف.. صورة شخصية حديثة للهدف ثم مكان عمله ومكان بيته والثالثة هي المعلومات المحدّثة عنه في نوع التخفّي بالاسم أو المظهر أو نوع الديانة الجديدة.. كانت كل المؤشرات تشير الى تطابق حاد في سيل المعلومات التي تنطبق عليه من حيث الشكل والسحنة واللكنة البغدادية الأصيلة، اذا ما أُبعِد التشويش الذي أحدثه عباس مخلوف صاحب المقهى..

كانت نورا فرحة بصحبة سامر للوصول الى مكان الهدف ولم تشعر بالخوف مطلقا، تطلق بعض الكركرات عن مصيرهما معا عندما تهاجمها جماعة ما بمشهد تندّري ظريف.. درجت العادة في كل يوم عمل لتخيل شكل الاختطاف والميتة المزدوجة مع سامر.

لم يحصلا بعد على صورة له.. وقد ألحّ المدير عليهما بتصوير الهدف المموَه خلسة بالهاتف.. وجلب الصورة لإرسالها الى لندن بأقرب فرصة.

رسالة فضائية ثامنة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير:

وأنا أكتب رسائلي اليك سيدي، أجدُ نفسي في كل مرة أنني جالسة أمام قس في كنيسة بصدد الأعتراف ليس إلاّ.. أحس بألفة وراحة نفسية في التخاطب معك.. ألفة فقدتها منذ أن ساءت علاقتي بالرَحم الدافيء، تلك أمي التي بدت لا تطيق جلوسي معها، تشيح بوجهها عني منذ عودتي من عمان.. وكأنها كانت معي عندما وقّعت مرغمة في المحظور وفقدت عذريتي في لحظة حلم خارج نطاق الواقع ومحرماته.. الكتابة لك تمنحني مصلا فاعلا للاستمرار في الحياة رغم كرهي لها.. خصوصا وأنا أكتب رسائلي هذه في ساعات الصباح المبكرة والناس تغطّ في نوم عميق.. أجلس وحدي، القهوة بالحليب مشروبي الصباحي المفضّل في أثناء كتابة الرسائل.. دخلت الى المطبخ لأعمل شرابي الساخن هذا، فوجدت علبة القهوة قد نفدت، ليس أمامي سوى كوب الحليب الدافئ.. أستمتع بأصوات زقزقة بعض عصافير الصباح بكل نشاطها المألوف في حديقة المنزل لأشرع بشغف للكتابة لك سيدي..

ذكرتُ لك في رسالتي السابقة، أن "بكر" ابن عمي هذا قد أبدى اهتماما واضحا في ملاحقة سامر. أعتقد أنه يدبّر أمرا ما بحركة وإيعاز رسمي من أبي.. أعترف لك أن بكر هذا قاسي القلب منذ صغره.. لقد عرفته في طفولته كيف يعذّب القطط ويخنقها وهو يضحك بهستيريا.. أكثر من مرة حاول التحرش بي عندما، كان يزورنا

في بيتنا أو نزورهم في بيتهم القريب من بيتنا .. جرّب دخول السجن لأكثر من مرة ولأكثر من سبب.. وفي كل مرة كان يخرج من السجن وهو أشدّ قساوة من ذي قبل.. اسمه وحده يعني السجن لأكثر من مرة في هذه الظروف المحتقنة في عرض البلاد وطولها .. عندما يُحاكم الناس ليس على العقيدة والانتماء إنما على الاسم المجرد فقط..

كان يتابع في السر والعلن كل تحركات سامر في المنظمة أو خارجها في منطقته بشارع فلسطين.. يتصل بأبي على الهاتف فيتنحّى أبي ليخرج الى الحديقة ويخفض صوته.. ومرات أخرى يحضر "بكر" الى بيتنا في أثناء الليل قبل ساعة من حظر التجوال، يدخل غرفة الضيوف مع أبي ويقفلان الباب خلفهما .. عرفت أنهما يخططان لشيء ما لسامر المسكين.. سمعت اسمه يتردد وأنا أقدم لهم الشاي.. بعثت بأكثر من رسالة لسامر لكنها لم تصل.. يأتي الصوت المكروه.. "الرقم المطلوب خارج نطاق الخدمة" ..

بالنسبة لسامر وكخطوة احترازية قام بحرق رقمه، ثم بعث لي برسالة من رقم جديد يخبرني أنه قلق من ملاحقة أحد الغرباء له.. يدّعي معرفته المسبقة بي. كان رجلا صاحب كرش عظيم ويضع نظارة سوداء على عينيه يسير خلفه في كل الطرقات المؤدية الى شارع فلسطين أو المنظمة.. يرتدي ربطة عنق رمانية وقميصا ورديا وبنطالا رماديا .. أخبرني أيضا ستكون تلك آخر رسالة منه، قال:

- ماذا أفعل نورا؟؟؟؟ بدت ملامح القلق والخوف واضحة عليه.. حتى إنه يكتفي برسائل (sms) بدل المكالمات الطويلة التي كان يجريها معي.. قلت له بجرأة غير معتادة:

- أنا ماذا أفعل يا سامر؟؟ أنت رجل وتستطيع ترتيب وضعك.. تستطيع التخلي عن عملك والانتقال الى عمل آخر.. أما أنا فليس أمامي سوى الانتحار أو الهروب.. أما الهروب فذلك يعني النجاة لي وتدمير سمعة أهلي.. وهذا ما لا أفعله مطلقا.. بعد تلك الرسالة التي بعثها له.. انقطع سامر عن المنظمة.. وأغلق هاتفه وتبخر مثلما تتبخر الاحلام حينما تشرق شمس الله على النائمين في العراء. ماذا أفعل سيدي؟؟ هل أقف أمام إرادة أبي وبكر في الانتقام لأخي المغدور على طريقتهما؟ دائخة لا أعرف ماذا أفعل.. ومن هذا الذي يراقب سامر؟ ملامحه لا تدل على هيئة بكر.. ربما استطاع بكر بتكليف أحد المقربين منه لمراقبة سامر ثم الاجهاز عليه في اللحظة المناسبة.. كل شيء جائز هنا.. لا أستطيع فعل أي شيء.. فقط أنتظر ماذا يفعل الآخرون بي.. شربت آخر رشفة من كوب الحليب وغادرت العصافير شجرة الرارنج تبحث عن أرزاقها خارج حديقة المنزل..

تحياتي سيدي..

نورا

-18-

الأمسية الثقافية - لندن-

لابد من تغطية كاملة لهذه الأمسية.. قال السيد أركان للصحفي والمصور المرسل من مجلة نوارس والذين حضرا معه لتغطية هذه الأمسية :

- أريد تغطية صحفية كاملة.. رد الصحفي قائلا :
- صار أستاذ أركان سأسجل كل ما سيدور في هذه الندوة..

بعد جلسة عمل في غرفته في فندق "كراند نوفيتيل" أطلع على التغطية الصحفية التي كتبها الصحفي المرسل من مجلة نوارس قبل ارسالها الى مقر المجلة في بغداد ..وجاء فيها :

.. انعقدت الندوة الثقافية بحضور ضيف الجلسة السيد أركان الموسوي وشخصيات مخملية من المجتمع الانكليزي وآخرين من يهود العراق المهاجرين وحاخامات في قاعة مؤسسة دنكور الثقافية، يوم الثلاثاء الثاني عشر من تشرين الثاني في مركز نعيم دنكور بلندن العاصمة.. كلمات ترحيبية مسجّلة مقتضبة سبقت عرض فلم "لاعبو كرة الطائرة" عن قصة اليهود العراقيين وذكرياتهم الموجعة في بغداد الخمسينات، حيث دعّم الفلم بمجموعة سلايدات صورية عن تاريخ الطائفة في عراق الأمس.. احتشد الحاضرون وضاقت بهم قاعة العرض.. يتطلّعون الى بوسترالفلم الضوئي على شاشة العرض مع أغانٍ لزهور حسين وناظم الغزالي..

بدأت الأمسية بكلام للأستاذ "ديفيد دنكور" شرح فيها جزءا من التأريخ المعقّد للعراق.. ويضمنه تاريخ طائفته بكل مأساة الشتات

والغربة وتشظّي الهوية الممزقة.. ثم عرّج أيضا على نشاطات المركز والمؤسسة (مركز ومؤسسة دنكور) ومشاريع أبيه الدكتور نعيم المتنوعة أكاديميا وثقافيا ودينيا واجتماعيا فى بريطانيا.

راح يتحدث عن بريطانيا البلد المضيّف وجهودها التي رحبت بهم وسهّلت لهم عملية منح الجنسية وتوفير السكن والمعيشة اللازمتين ومنحهم كافة الحقوق المدنية، لينبغي حسب وصفه ردّ الجميل لهذا البلد المعطاء..

ديفيد ذكر أيضا عن فكرة انبثاق الفلم وتموينه.. ثم طلب شخصيا من السيدة "فيونا موريه" وبتكليف من مؤسسة دنكور أن تعمل هذا الفلم عن (لاعبى كرة الطائرة من بغداد) وكيف بدأ المشوار الطويل حيث قال:

- إنّها قصة من قصص كثيرة حقيقية، حدثت لنا في بغداد، وتدوينها تاريخيا هي مسؤوليتنا.. هي ذاكرة لأجيال يهود بغداد من الشباب خصوصا الجيل الرابع المتطلّع لهويته الأم، الجيل الذى ولد فى بريطانيا وبلدان الشتات الأخرى.. هناك مجموعة كبيرة من التساؤلات لاسيما عن الهوية والوطن والأولوية ..

قبل بدأ العرض بقليل تحدث أيضا الحاخامَان اللاحقَان، إذ تحدث الحاخام الكبير السابق للجالية اليهودية الشرقية (د إبراهيم ليفى) عن موجز لتاريخ يهود العراق ومعابدهم وحاخاماتهم باعتبارهم مركزا دينيا للعالَم.. كما تحدث الحاخام الكبير الجديد (جوزيف دويك) بحديث ممتع شيّق وجميل ومختصرعن التاريخ والحاضر ودور اليهود العراقيين فيهما.

في هذه الأثناء تحمّس السيد أركان للحديث، فتلك فرصة مواتية للتعريف بنفسه من خلال منصّة الحديث.. وهو يعد كلمته المختصرة والمعبّرة للأعتذار لمواطنيه ويعدهم في العمل المتواصل لزيارة بغداد

وزيارة الأمكنة التي ولد فيها أجدادهم.. لكن فرصة أركان الموسوي تأخرت قليلا وربما بعد مشاهدة الفلم ستتاح له الفرصة ليدلي بدلوه..

ثم حان دور "فيونا مورفى" معدّة مادة الفلم الوثائقية لتتحدث عن تجربتها فى الفلم والمراحل التى مرت بها مراحل جمع المادة الخام، حتى وصل إلى النتيجة التى ترونها مهيأة للعرض وكاملة من مختلف جوانبها .. تمنّت أن تكون فى بغداد لتشهد معالم الحدث ومواقع الذكريات ومحاكمة القصص للأماكن والأحداث وتعاقباتها.

الفلم استغرق ما يقارب الساعة والنصف من حكايات تاريخ العراق.. تطرق الفلم عن تاريخ يهود العراق بكل تلك الحقب من خلال أشخاص فريق كرة الطائرة ومتعلقيهم الذين كانوا فى بغداد ومراحلها التاريخية المختلفة وآثارها لاسيما على يهود العراق من خلال مقابلة السيدة "فيونا" لهم في لندن وأسئلتها المختلفة عن الماضى والحاضر، عن الأيام الجميلة وكذلك أيام المحنة والفرهود والسجون والهجرة.

ظهرت في الشريط مشاهد منفردة.. صور فوتغرافية ملتقطة بعدسة المصور مراد الداغستاني لملكة جمال بغداد السيدة رينية دنكور.. فقد بدت رمزا للجمال والمحبة والتحضّر. رائحة بغداد العبقة خرجت من شريط الفلم وانتشرت في ارجاء القاعة.. تحسّست العيون لتلك الرائحة فأدمعت على تاريخها الذهبي..

كانت الموسيقى التصويرية للفلم مأخوذة من الأغانى العراقية القديمة الأصيلة ومن ألحان الكويتيين صالح وداود .. ثم أطل الفلم بصور،وثّائقية مترادفة عن بيت دنكور الواسع المليء بالحيوية والنشاط والعطاء مع فعاليات لعب الطاولة والورق وكرة الطائرة. بيت دنكور المطل على نهر دجلة في موقع شارع النهر..

كذلك عرض الفلم أيضا مقاطع مأساوية جدا لمقتل الملك والعائلة ونزول الجيش للساحات وكيفية تفاعل الناس معها كصورة رمزية لبداية النهاية للحياة البغدادية المدنية بعد صعود موجة العسكر وبداية المد القومي الناقم على كل شيء يتناقض مع مفاهيم التعصّب العروبي. مجموعة الصور حصرية وتعرض لأول مرة ..

إن هذه المشاهد الشنيعة جعلت ملكة جمال بغداد تغادر البلاد من الخمسينات ما جعلها من المهاجرات الأوائل من العراق في 1950 إلى لبنان مدة ثم إلى لندن لتبدأ العمل بعدها فى تجارة العقارات .

ثم تعرض الفلم إلى حقبة الزعيم عبد الكريم قاسم عندما استقبله الشعب كزعيم أوحد وبدأ الناس يتحدثون عن صورته فى الشمس.. وقد تعامل مع اليهود بالحق والإنصاف وأخرج المسجونين ظلما وعدوانا وردّ الحقوق وإعطاء جواز لمن يريد وكان له أصدقاء زملاء من اليهود، لكن الزعيم أيضا له أعداء كثر مثل جمال عبد الناصر والغرب مما أدى إلى مقتله وجماعته بطريقة مروعة وفظيعة.

في الجزء الأخير تطرق الفلم إلى أكبر المشكلات التي واجهها يهود العراق آنذاك في الحفاظ على الأولاد، لدرجة أن بعضهم فكّر أن يستأمن جاره المسيحي عليهم خوفا من أخذهم من آبائهم مما حدا بالسيدة إيلين أن تبعث ولديها إلى لندن خوفا عليهما رغم قسوة الفراق عن الأبناء. حضر الى المنصة الرجلان المُهجرَان الذين ظهرا وهما أطفال في المادة الوثائقية وسط ترحيب الجمهور لهما .

من أصعب الأسئلة التى وجهتها الإعلامية المتميزة "فيونا" لهما هو السؤال عن الهوية والانتماء والوطن الجديد وتعريف كل شخص لنفسه فقال الكبير: أن الأول يمثل الهوية اليهودية والثاني يمثل عراقيته.. بينما

الصغير قدم العراقية ثم اليهودية ..عرّف نفسه بالعربية بلهجة بغدادية "قحيّة" يكثر فيها من القافات بدل الجيم المعجمة والغين بدل الراء على طريقة اللهجة العربية – اليهودية على طريقة اللساني والشاعر مناحيم بياليك.. حيث كان السيناريو المعد للفلم باللهجة اليهودية العربية البغدادية على طريقة حكايات الف ليلة وليلة ولغتها ..

ذكر السيد ديفيد دنكور أن صورة والدته ملكة جمال بغداد التى نشرت قد أخذها أكثر من 2500 موقع ألكترونى من موقعه وشهدت اهتماما وإعجابا كبيرين.

في الفلم يظهر السيد ديفيد دنكور ليتحدث ايضا بتلك اللهجة البغدادية.. قبل استباحتها، تحدث عن احتفاظه بكتب الدراسة، وأن بغداد ما زالت في دمه وعروقه وحنينه لها لا ينقطع.. ثم تداخل السيد فريدى خلاصجى عن تلك الأيام وذكرياتها بينما تحدثت والدته إيلين عن شوق وحنين مستمر حتى الآن إلى بغداد. كانت تسجل في دفتر ذكرياتها كل المفخخات التي تضرب بغداد وتصلي كل سبت للضحايا ..

ذكّر ديفيد هنا بقول البروفسور العزيز "سامي موريه" الأديب العراقي المعروف عندما جاء إلى لندن وأقام الندوات حول كتابه الرائع (بغداد حبيبتي) فأحببناه وأحببنا كتابه وقصصه وذكرياته.. عاشق ولهان وصادق مخلص حتى في أنفاسه ودموع عينيه.. سألته الزميلة الشاعرة أمل الجبوري لو كان السباق في الفلم بين فريق كرة طائرة عراقي وإسرائيلي فمن تشجّع؟ أجاب بالبداهة والصراحة طبعا الفريق العراقي.. إنه شوق وعشق وحنين ومحنة يندر للخيال البشرى أن يتصورها ولا الرسام الذي رسم صورتها ولا للشاعر أن يكتب قصيدتها أو النحات أن ينحت حروفها، شوق فريد وإحساس عتيد ومحنة قاسية

ودهر عجيب غريب.. العجيب الغريب عدم قبول عبد الرحمن رئيس المركز الثقافي العراقي بلندن وهو صهر وزير الثقافة أن يقيم ندوة للأستاذ الكبير سامي موريه في هذا المركز العراقي الذي تحول إلى حسينية بلندن في إبعاد النخبة المثقفة والإقصاء ليهود العراق قاصدا متعمّداً والمجيء بأنصاف المثقفين في مهزلة من مهازل مؤسسات الثقافة المعاصرة زورا وبهتانا وإفكا.

يُعَدّ الفلم بحقّ متميزا في رحلة فريدة لفريق كرة الطائرة ومتعلقيهم يستهوي المشاهدين ويجذبهم جذبا ويشدّهم شدّاً في استغراق عاطفي تاريخي رائع جعل بعضهم يبكي أثناء عرض الفلم.. يبكي على التأريخ والحاضر، يبكي على المحنة الطويلة وهم يتهامسون فيما بينهم مرارا وتكرارا لماذا كل ذلك؟ بغداد لا تستحق ما يحصل كل هذا لها..

وجد السيد أركان الموسوي نفسه من حيث لا يشعر يشاركهم البكاء من صميم قلبه، بكى معهم لمحنة يهود العراق، بكى معهم من أجل العراق أيام الخير، بكى معهم لما يراه في بغداد يوميا من كل انفجار وقتل وتهجير.قال لرجل مسن يجلس بقربه:

- إنه لمن المؤسف حقاً أن تكون بغداد طاردة لتنوعها.. لم يبق من يهود العراق اليوم سوى حفنة أشخاص حسب ويكيلكس وهم متخفّون بين الناس.. بعضهم يختفي تحت أسماء ومسميات إسلامية يتغيّر الاسم والمُسمّى والهوية والمظهر والمنطقة، كما فعل أحد الوزراء العراقيين اليهود سابقا ليستوزر في الوزارة ويستطيع من خلالها أن يخدم العراق الحبيب.

أخذ السيد الدكتور نعيم دنكور عهدا على نفسه منذ سبعين عاما حين كان يدرس في المملكة المتحدة أن يقدّم دعما ماليا كبيرا للقضايا

التعليمية عندما ينجح، كما أنه منذ أربعين سنة قد أخذ عهدا آخر في ايجاد الطريقة المناسبة لشكر البلد الذى يقدم له اللجوء العائلي عند الخلاص من البعث العراقى. من هنا كانت منحة إلياهو الكبيرة وكذلك "ويست منستر" أكاديمي وعدد كثير من الخدمات الكبيرة تمثل وفاءً لهذا العهد الكريم..

قصة حياته متميزة، فهو من عائلة شريفة دينية بارزة، كان جده الحاخام عزرا دنكور هو الحاخام الأكبر للطائفة ببغداد. جاء إلى المملكة المتحدة أول مرة عام 1930 لدراسة الهندسة فى جامعة لندن ثم الرجوع إلى الوطن للإلتحاق بالجيش ثم بناء مؤسسات ضخمة ناجحة فى العقارات والصناعات. تزوج من رينية دنكورعام 1946 حيث باتت ملكة جمال بغداد بعد فترة وجيزة. لقد حصل على امتياز شركة كوكا كولا للعراق مع شريك مسلم في الخمسينات من القرن الماضى ثم أفسد شريكه الشراكة وخيانته لصديقه دنكور. على الرغم من نجاحه الباهر لكن الأوضاع المضطربة السياسية وملاحقة اليهود في العراق جعله يهاجر الوطن.

ففي عام 1964 ترك العراق وسكن المملكة المتحدة، حتى أصدر الحزب الحاكم مرسوما على يهود العراق، إما العودة أو فقدان جميع ممتلكاتهم. فاختار اللجوء تاركا وراءه كل ممتلكاته وتجارته الناجحة وأصدقائه.

ومرة أخرى يبدأ بالقليل من المال حيث ينجح نجاحا باهرا فى بناء العقارات وتطوير الأعمال التجارية، ثم التحق به أبناؤه الأربعة. كان ذلك جزءا من القصة لأن الجزء الثاني المهم هو خدماته الإجتماعية والخيرية الكبيرة في المملكة المتحدة، عندما أسس مركزا اجتماعيا في غرب

كنسنغتون للمهاجرين الجدد وتقديم الخدمات المختلفة لهم. وفي عام 1971 أسس مجلة (سكرايب) ليهود بابل وذلك لتوحيد الشتات اليهودي العراقي. كان رئيس تحريرها والمساهم الأكبر فيها لأكثر من ثلاثين عاما متواصلاً في تدوين التاريخ وتجارب المهجر حتى تجمع قراؤها من مختلف أصقاع العالم. لقد أنشأ (مؤسسة المنفيون) كمؤسسة خيرية في مساعدة الجانب التعليمي ومشاريع أخرى في بريطانيا وأنحاء العالم منها مساعدة المدارس من الهدم ومشروع الأرز في القدس وعشرة آلاف من الأكياس أسبوعيا للمدن الفقيرة.

لقد قدم الدكتور دنكور عام 2005 منحة مليون جنيه إسترليني لطلاب الجامعات البريطانية. وقد حصل على أعلى وسام فى بريطانيا فى تموز عام 2006 من الملكة في عيد ميلادها الثمانين عندما منحته وسام الإمبراطورية البريطانية جزاء لأعماله للجالية اليهودية وللتعليم.

تحدث السيد أركان الموسوي لقناة محلية انكليزية "إن مركز نعيم دنكور هو صرح علمي كبير ومشروع ثقافي اجتماعي عظيم حيث النسبة العظمى من الطلاب من ذوي اللاجئين الذين لايجيدون الإنكليزية، عندما تكون الإنكليزية وبنسبة 90 بالمائة منهم، هي اللغة الثانية، يساعدهم المركز ليتخطوا الحواجز اللغوية من المرحلة السابعة إلى المستوى (a). كان واضحا نجاح المشروع في تفوق وتحول العدد الكبير بمستوى الطلبة، اذ بات مؤهلاً للصفوف العالية، يمثل المشروع كغيره من المشاريع العظيمة مصدر فخر واعتزاز لبريطانيا والعالم المتحضر.. فالقرآن الكريم يعتبر اليهود من أهل الكتاب، ونبيّهم موسى ونزل عليه التوراة وجاءت عشرات الآيات في حقهم مثل قوله تعالى (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكمة والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على

العالمين) سورة المجادلة- الآية 16 وقد ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات لتفضيل بني إسرائيل على الناس جميعا". ثم قال سيد اركان الموسوي لليهودي الصغير:

- أعرف ان أول بيت طابوق بني فى بغداد هو بيت شماس والذى هدّم لاحقا لبناء فندق بابل عليه، وهي محاولة لإزالة الذاكرة التاريخية، بينما الشعوب الأخرى تحافظ على معالمها التأريخية.. نحن علاقتنا بالتأريخ علاقة مرتبكة دائما.. كما كان السير ساسون حسقيل أول وزير مالية عظيم ومتميز في خدمة العراق، له مواقف مشهودة أمام بريطانيا العظمى عندما فاوضها فى العهد الملكي لدفع عائدات النفط واشترط الذهب بديلا عن العملة النقدية، ليظهر جليا نظرته الثاقبة وحدسه العلمي وقراءته المستقبلية البارعة عندما نزلت العملة الورقة لاحقاً وكان الذهب مرتفعا وغيره من المواقف الوطنية التي ترفعه إلى أفضل وزير مالية حتى يومنا الرمادي هذا على مستوى الشرق الأوسط ..لذلك رثاه كثيرون مثل الشاعر معروف الرصافى قائلا

ألا لا تقل قد مات ساسون فقل تغور من أفق المكارم كوكب
فَقَدنا به شيخ البرلمان به ليلة الداجي إذا قام يخطب

في آخر دقائق الفلم تطرّق إلى أول قاضٍ وأعلى سلطة قانون نزيهة في تاريخ العراق الحديث يمثلها "داود سمرة" بفكره وكتبه وأدائه وذكائه وسيرته المتميزة، كما أن أول ناد اجتماعي إلى لورا خضوري وأول قصر يستضيف أول ملك للعراق هو قصر شعشوع البغدادي، كذلك أول قصر يستضيف الملك في محنة فيضان دجلة لصاحبه مناحيم دانييل المعروف بخدماته الاجتماعية ونزاهته، وكذلك ولده عزرا مناحيم دانيال عضو مجلس الأعيان خلفا لوالده عشرين عاما وتبرع بالكثير من المال للمعاهد

الخيرية والمستشفيات والمدارس كما فعل بأموال أخيه حسقيل المتوفى بباريس فقد أوقفها لمنشآت الطائفة اليهودية ومدارسها ببغداد . لقد خرج في تشييع المرحوم عزرا رئيس الديوان الملكي والوزراء ومختلف الوجهاء وفئات المجتمع.. وقف الأعيان خمس دقائق تكريما لذكراه ومواقفه الوطنية..

أما الجانب الثقافي فحدّث ولا حرج، فقد كانت مدرسة الأليناس هي المدرسة الحضارية الأولى إلى لورا خضوري فقد افتتحت أولى المدارس للبنات في العراق كله للتعليم وأول مدرسة ثانوية في الكرخ كانت للست سمحة كما أن أول ملجأ لأيتام المسلمين قد بناه مناحيم دانيل من ماله الخاص وقد حولوه اليوم إلى منتدى المسرح بشارع الرشيد لإخفاء معالم يهود العراق وخدماتهم الكبيرة.

وأول طبيب أعصاب في العراق هو "جاكي عبود" المتخرج من بغداد ولندن والذي تولّى تأسيس وإدارة أول مستشفى للأمراض العقلية، يعالجهم بكفاءة وإخلاص وعناية دقيقة فريدة، أما "داود كبّاي" فقد كان يعالج مرضاه الفقراء بالعمارة ثم في بغداد مجانا وقد يزودهم كذلك بالدواء حتى وقف الناس طوابير.. كانت النساء تمسح الحناء على حائط عيادته كما تفعل للأماكن المقدسة احتراما واعتقادا بقدرته العجيبة في شفاء المرضى الذين قد يزورونه منتصف الليل ولم يسأم عن معالجتهم بكل شغف وحب.

وإنّ أول طيار عراقي مدني هو سليم ساسون صالح دانيال الذى درس الطيران في بريطانيا وقد اشترى طائرة صغيرة وجاء بها إلى بغداد عن طريق إيطاليا وبيروت في بداية عام 1930 وعيّن ضابطا في مديرية الطيران المدني.

مرّت لقطات صورية قديمة الى البنوك والصرافة وروادها وقادتها كبنك زلخا وكريديت بنك وبنك عبودي، وفي عام 1932 كان إبراهيم الكبير هو أول من وضع النقود العراقية.. والبنك الشرقي الذى كان يعقوب صالح حسقيل يطبع اسمه على الأخير بعد أن كان له فروع في مختلف دول الشرق الأوسط والهند وغيرها، لذلك بات أكثر من نصف أعضاء إدارة غرفة تجارة بغداد الثمانية عشرة من اليهود بما فيهم نائب الرئيس والسكرتير.. لقد أصبح العراق غير متأثر بالشح والضيق أبان الحربين العالميتين بفضلهم في تموين البلاد وسدّ احتياجاتها من البضائع الإستهلاكية والضرورية.

- أنا شخصيا سأتكفل بانتشال المتبقين منهم والمحاصرين في بغداد .. وتلك مسؤولية أخلاقية وحضارية وثقافية..

إيلين الحاضرة في هذا العرض كانت متفائلة، وهي تمسح دموع الفرح.. قالت عن الفلم في معرض حديثها لاذاعة البي بي سي:

- لابد أن تعود بغداد إلى ما كانت عليه يوما وسنعود حتما. إنهم يرونه بعيدا وأنا أراه قريبا عندما يطلع الفجر ويزول الظلام ولو بعد حين، فهي سنة من سنن التأريخ والكون، فكم كبوة سقطت فيها بغداد على مر التاريخ لكنها قامت وانتعشت حتى صارت مركز العالم وقبلة الفكر والثقافة والأدب والترجمة والفلسفة والحضارة. إنه الأمل الذى به نعيش ونحيا، الأمل الذي ينبغي أن نسعى إليه جميعا لكي نجعله واقعا حيا معاصرا حتى يرجع الحق إلى نصابه ويعود العراق إلى أهله الحقيقيين منذ ثلاثة آلاف عام ويعشقونه عشق الذين بنوه سابقا، يمكنهم أن يعيدوا بناءه وتحريره وازدهاره. ففي ليلة السبت من كل أسبوع هنا، يمنع لمس النقود والصيام من الجالية البغدادية.. أذهب

مشيا على الأقدام متخفّية مرتدية الحجاب الذي يجعلني لا أختلف عن سواي من النساء في الذهاب أو المجيء.. بيتنا البغدادي يتوسط بيتا لعائلة مسيحية وأخرى مسلمة، قلت في الدعاء القلبي والدعاء كما تعرفون قرين الصلاة.. في الطريق الى المعبد لصلاة الصبح.." يا الله يا ربنا .. يا ملك الكون.. يامن قدّستنا بوصاياك.. أوصيتنا بضيائك المُشع .. يارب أرضنا اجعلها مثمرة.. يا رب السماء اجعلها آمنة...." كانت لنا معابدنا في بغداد شاخصة حتى هذه الساعة وما زالت آثارها باقية.. أذكر حتى هذا اليوم المعبد الذي أحثّ الخطى للوصول اليه قبل موعد الصلاة في الساعة الثامنة والنصف، المعبد هو أيضا مموّه بشكل قصدي ومتخفٍ عن الأنظار.. فهو عبارة عن غرفة طويلة نسبيا، تترك الجهة المقابلة إلى بيت المقدس دون مقاعد، فيما الجهات الثلاث قد وضعت فيها المقاعد المتراصة للمصلين والمتعبدّين، حيث تكون المقاعد عادة مقابلة الى الجدران.. فللجدار طاقة التوراة وعلى الجميع استنباطها .. الطاقة التي فيها أوراق التوراة توضع في صيوان داخل كوة من جدار.. ثمة فجوة مغطاة داخل الكوّة تغطيها ستارة رمادية، ثم باب حديدي مصبوغ بلون أسود في ثلثه الأعلى فتحة كنافذة داخل الباب الحديدي، مشغولة بقضبان حديدية وبمسافات متساوية تقاطعها قضبان أخرى مستعرضة داخل نافذة الباب المستحدثة.. هناك وفي العمق ثمة مصباح أصفر مُضاء بضوء شحيح.. على درفة داخل الجدار ثمة لفافة مكتوبة باللغة العبرية.. الداعي رجل ضئيل وطويل نسبيا يقف خلف مائدة مربعة.. هذا الداعي يقف في مكان أمام جدار الطاقة، وخلف الداعي يقف "الريّاي" رئيس المعبد الصغير المتخفي في هذه الغرفة وعلى مسافة من الداعي ليست ببعيدة.. الغرفة متخفية داخل بيت منزو.. هذا الريّاي يقوم بدوره المعتاد .. يقوم بتعليم المتعبّدين طريقة أداء الصلاة..

كأنه معلم كبير أكثر من كونه حاخام.. يقوم بتلاوة الصلاة وإلى جانبه قارئ التوراة.. عادة ما يكون القارئ ذا صوت حسن.. يرتل ترتيلا جميلا وخلفه المرتلون من عامة المصلين.. يبدأ القارئ بتلاوة التبريكات والأدعية (18) مرة ثم يتلو بعضا من مزامير داود .. مرتديا ثوبه الأسود يوشحه في الردنين والياقة بوشاح أبيض.. ويضع على رأسه طاقيته الصغيرة.. من سفر التثنية يتلو القارئ ب"شما .. **shama**" أي السمّاع وهي عبارة عن محفوظته، ثم يعقبها بالمقطع الأكثر انفعالا "اسمع يا رب إسرائيل.. إلهنا الرب من كل قلبك.. حبُ الرب من كل قلبك.." هنا تصل الصلاة الى ذروتها حتى تنفتح الطاقة وهي متألقة بالأنوار قريبا من المصباح الأصفر المُضاء.. في هذه اللحظة تكون اللفافة التوراتية محاطة بالأنوار من كل جانب.. مطوية مزيّنة بالرسوم.. هنا يتقدم أحد المصلين فيستخرج واحدا من اللفافات.. اللفافة من الجلد الرقيق تحتوي على الأسفار الخمسة الأولى.. وهي ما يسمى بالتوراة.. مكتوب عليها بخط اليد بحروف عبرية وعلى جانبها قطعتان من الخشب ملفوفتان بالحرير المُنقّى والملون تتوجّها حلقات فضيّة، مكتوب وبخط اليد وبحروف من العبرية النقية كلمات من التوراة.. يمر حامل الصحيفة بصفوف المعبد، وكلما حاذى أحدهم ينحني راكعا.. إذا مرَّ بالصف الذي خلفه، استدار الى الخلف حتى لا تكون التوراة خلفه احتراما للقانون الإلهي.. ثم تفتح اللفافة وترفع إلى الأعلى ليراها الجميع.. ثم توضع على المكتب، لتوضع للدرس. في كل يوم سبت تبدأ الصلاة عند الثامنة والنصف تحديدا إلا في الأيام التي تصعب فيه الحركة أو يحضر فيه التجوال.. لا يقف فرق الوقت حائلا من توحيد الصلاة في كل مكان على الأرض.. بكى السيد أركان مرة أخرى على حال القوم في لندن بصوت مسموع..

عدّ الفلم وثيقة مهمة عن محنة التهجير ورحلات يهود العراق بين الدول المختلفة للبحث عن وطن بديل، ووفق منهاج الحفل خصص وقت كاف لمناقشة آراء الحضور من النخب الفنية والمتتبعين لتاريخ العراق.. حتى أنهم اجمعوا على تواضع البنية الفنية البصرية بمواكبة السينما العالمية في هذا المجال رغم غنى المادة التوثيقية والتاريخية التي ركّز عليها كثيرا شريط الفلم.

ثم اعتلى المنصة السيد رئيس منظمة إخوان السيد أركان الموسوي، وقدم شهادة تقديرية باسم منظمته للسيدة فيولا لجهودها عن إنجاز وثيقة مهمة في هذا الفلم.. ثم تحدث مطولا عن منظمته التي ستقوم في التنقيب عن آثار الأشخاص المتخفين في بغداد أو باقي المحافظات.. وسيقتفي آثار آخر يهودي عراقي في بغداد وينقذه، صفّق له الحضور تصفيقا متواصلا على الطريقة العراقية الحماسية وطال أكثرهم في تصفيقه السيد ديفيد نعيم دنكور، وعندما نزل من المنصة احتضنه بكلتا يديه وأجلسه على يمينه.. وقال له:

- شريط الفلم مهم جدا لكن الأهم حضور شخصية عراقية متفهمة ومتحمسة لمأساة اليهود العراقيين.. "عافرمن" عليك سيد موسوي..

قام السيد أركان من كرسيه ليصافح الصحفي الشاب ياسر الخطاب على تلك التغطية الرائعة لتلك الأمسية وقد وعده بتكريم خاص في مقر منظمة إخوان حين العودة الى بغداد بعد نشر هذه التغطية مع الصور وحجب صورته الشخصية من التغطية الإعلامية لضرورات المهنة وطالبه أيضا بترجمتها الى الانكليزية..

-19-

لمّ شمل

فصل جديد طرأ في أثناء تحرير العدد رقم (3) من مجلة نوارس حيث سُرّبت رسالة (جمان) ابنة السيد ناجي قطانو وهي تعيش بمنفاها في ديترويت - أكبر مدن ولاية مشيغان الأمريكية -، حيث دعت الأب ناجي قطانو للقدوم إلى أمريكا بعد محاولة جادة للحصول على تأشيرة دخوله لأمريكا، قدمت طلبها المتكرر إلى مكتب وزارة الأمن الوطني الأقرب إلى مكان إقامتها وأدرجت المعلومات بـ(نموذج I-130). وبعد موافقة دائرة خدمات الجنسية والهجرة الأمريكية على الطلب، تم إرسال إشعار موافقة (نموذج I-797) لمقدمة الطلب جمان ناجي.

بعد عناء دام لأكثر من أربع سنوات متواصلة في المراجعات المتواصلة للـمّ الشمل مع والدها السيد ناجي قطانو في "دائرة الايمجريشن"، حيث كانت حريصة على حياته هنا في بغداد.. كان سبب التأخير يعود الى شرخ غير واضح في تأريخ العائلة من طرف أمها، ثم استطاعت دوائر الهجرة باللجوء الديني.. وجدت تأريخ العائلة مدوّنا بكل حكاياته في سجلات الدوائر الامريكية المعنية وخصوصا مكتب الأمن القومي لشؤون الهجرات..

استغربت جمان كثيرا من تفاصيل قصة خالها منير، تفاصيل غير مكشوفة تأريخيا للعائلة ولأمها بالذات.. ورغم أن حكاية النقيب الطيار منير لم تشكل نقطة سلبية لدى دوائر الهجرة ولا في الدوائر السياسية أو الاستخبارية الضيقة أو "دائرة الايمجريشن"... إلا أن (السين والجيم) قد أخذا وقتا طويلا.. حيث ينظر الأمريكان بنوع من الارتياب لتاريخ

منير روفا .. كشف الموظف المختص المكلّف بمتابعة شؤون الهجرة عن أسرار جديدة كانت غائبة بل وصادمة لجمان.. فالقضية وبعد مرور خمسين سنة كانت كافية لكشف أسرار النقيب منير الذي هرب في طيارته الميغ من قاعة عراقية الى مطار عسكري في القدس.. كشفت المحادثة عن هذا التقرير:

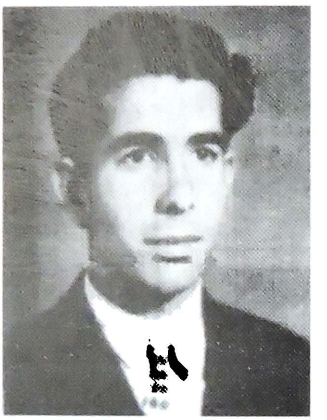

منير روفا

جمان دقّي النظر جيدا في صورة هذا الشخص؟ إنه خالك منير جميل حبيب.....! أوليس الصورة التي معك؟؟

- منير روفا هو منير جميل حبيب روفا (1934م - 2000م)، هو عراقي استطاع في عام 1966 من الهرب بطائرة الميغ التابعة للقوة الجوية العراقية إلى مطار إسرائيلي في عملية منظمة آنذاك.. اشتهرت العملية بشفرة خاصة تحت الرقم (007)، اعتبر الموساد هذه العملية المخابراتية واحدة من أنجح عملياته، تمكنت بها المخابرات الإسرائيلية أيضا من تهريب جميع أفراد عائلة منير روفا من بغداد إلى إسرائيل.. ثم

قام الموساد بإعارة الطائرة المختطفة بصورة مؤقتة لوكالة المخابرات الأمريكية لغرض إجراء التحليلات الفنية والهندسية المتعلقة بنظريات الطيران الخاصة بتصميم الطائرة. ثم أعيدت من جديد لتدخل المتحف الجوي الاسرائيلي..

- في لحظة هبوط النقيب منير بطائرته العسكرية على أرض إسرائيل عقد مؤتمرا صحفيا حيث تحدّث لفترة وجيزة عن دوافعه الحقيقية للخروج من بلده بتلك الطريقة التي أثارت حينها الكثير من تقولات العرب المتحمسين للحرب.. مدعيا بأنه كان يعاني من التفرقة الدينية.. كان يشعر حسب الادعاء بأن العراق ليس بلده لذلك طلب اللجوء والهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد فترة وجيزة التحقت عائلته به في إسرائيل ولم يسمح له مغادرة الأراضي الإسرائيلية والتوجه إلى أمريكا في حينها. بل مُنح الجنسية الإسرائيلية وكوفئ بمنحة مالية.

أو ليس هذه الصورة آنسة جمان هي لطائرة خالك لحظة هبوطها في القدس؟؟

منير الضابط الطيار والمسيحي العراقي برتبة نقيب من مواليد بغداد ومن عائلة تنحدر من الموصل قرية تل كيف، لأسرة كلدانية كاثوليكية فقيرة، كان ترتيبه الثاني ضمن تسعة أبناء لموظف بسيط، عوقب بالطرد من وظيفته في وزارة الزراعة، والحبس لعدة أشهر بسبب تلقيه الرشاوى. متزوج وله بنت وولد، وله أخت متزوجة في بغداد من رجل أرمني يدعى ناجي قطانو الذي هو والدك.. عائلة منير جاءت لاجئة للعراق مع الكثير من العوائل المسيحية التي كانت تقطن جنوب شرق تركيا وجبال شمال غرب إيران بقرار من عصبة الأمم بسبب الأذى الذي عانت منه تلك العوائل أثناء العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى، تمّ توطينهم في القرى المسيحية المحيطة بالموصل، حتى حلّت كارثة جعفر العسكري في مذبحته الشهيرة عليهم.. يعتقد بعضهم أن هذا الأمر جعله يعاني من عقدة المواطنة ورغبته الجامحة لهجرة الوطن والاستيطان الافتراضي في "أمريكا".

المهمة (007) هي المهمة نفسها التي ظهر بها جيمس بوند في فلم الطائرة المخطوفة، وهي طائرة قاصفة متطورة ومزودة برادار متطور.. كانت قياسات الطائرة محيّرة إذ بلغ عرض اجنحتها 60،7م وطول جسمها 75،16 وهذا ما لم يتوفر للطائرات الأمريكية الفرنسية وتحولت إلى لغز من الألغاز والأهم من ذلك كله إن كل هذه الميزات كانت موضوعة بين أيدي الطيارين العرب وتفتقد إليها إسرائيل فكانت الرغبة عارمة لكشف أسرارها عن كثب حيث أصبحت هدفا لاختطاف احداها للوقوف على خفايا قوتها.

يعتقد بعض المؤرخين والمحللين السياسيين أن عملية (007) كانت تحمل أهدافا خفية بالإضافة إلى الهدف الرئيس المعلن بكشف تكنلوجيا

السلاح الجديد لميغ 21 التي أصبحت جزءا رئيسا في ترسانة سلاح الجو في مصر والعراق وسوريا حيث يرى بعضهم أن إسرائيل أرادت أن تحقق سبقا أو ما يسمّى بضربة استخبارية تجني منها أكثر من فائدة..

إسرائيل تطمح للتعرف على هذا السلاح المتفوق الجديد لتتمكن من ردعه وهي على أبواب حرب 1967 التي تنوي شنها مباغتة بأسلوب الحرب الخاطفة. تترادف هذه القضية مع أخرى في بلدان إقليمية:

● في نهاية العام 1961 ألقت المخابرات المصرية القبض على الجاسوس المصري جان ليون توماس وهو أرمني الأصل واعترف خلال التحقيق أن الموساد جنده للعمل على تجنيد طيار مصري بغية الهروب بطائرة ميج 21 إلى إسرائيل مقابل مليون دولار.

● فضيحة عام 1963 عند القاء القبض على عميلين للموساد في سويسرا هددا ابنة عالم ألماني يعمل في القاهرة أدت إلى اقالة مدير الموساد هاريل وتولية عاميت الذي استحصل على ميزانية أكبر للموساد لجلب المزيد من معداته وأدواته ومختبرات البحوث الفنية وضم المزيد من الخبراء إلى الجهاز.

● افتضاح أمر الجاسوس الإسرائيلي ايلي كوهين عام 1965 في سوريا، بعد أن أصبح عضوا بارزا في الحزب الحاكم ووزيرا وعضوا في مجلس الشعب، من قبل المخابرات السورية بالتعاون مع رجل المخابرات المصري المعروف رفعت الجمال الملقب برأفت الهجان.

قام جهاز الموساد برئاسة مائير عاميت بوضع الخطط الكفيلة لتحقيق نصر ينقذ سمعة إسرائيل ويعزز من مكانته كمدير جديد للمخابرات وذلك من خلال تنفيذه للوصول إلى الطيارين العرب وكانوا

من العراقيين فتم اختيار أربعة منهم الأول النقيب الطيار شاكر محمود يوسف، وكان منفتحا ولديه العديد من الصداقات والثاني الملازم أول الطيار حامد الضاحي وكان متدينا ودمث الخلق ولا يحب إقامة العلاقات، والثالث فهو النقيب الطيار محمد غلوم أما الرابع فكان النقيب الطيار منير روفا وهو الطيار الوحيد المسيحي بينهم وكان المطلوب رقم واحد بسبب سهولة استغلال لعبة العقائد والأقليات في عالم الجاسوسية ولكن لوحظت ملازمته للقاعدة العسكرية حتى في إجازاته.عام 1965 تلقت الموساد برقية من جون ميكون مدير جهاز وكالة المخابرات الأمريكية ينذر بوصول طيارين عرب من قادة الميغ 21 إلى الولايات المتحدة في دورة تدريبية، كان المطلوب التنسيق من أجل تجنيد أحدهم.

تم تكليف أحد الاشخاص بمتابعة النقيب الطيار شاكر محمود يوسف الذي تمت مراقبته من قبل العميلة الأميركية اليهودية كروثر هلكر أثناء سفره لأمريكا، ثم لاحقته بعد عودته إلى العراق واستدرجته إلى إحدى المكانات السرية في محاولة لتجنيده وعند مصارحته باغتها بسحب حزام بنطاله وبدأ بضربها بعنف وفي غمرة ثورته دخل عليه أحد الاشخاص المكلف بحمايتها وقتله وغادرت هلكر إلى لندن حيث قامت المخابرات بقتلها لكي لا تنكشف العملية، خاصة أن تلك المرحلة شهدت انكشاف الدور الإسرائيلي في الاشتراك بقتل ابن بركة في فرنسا.

أما الملازم أول حامد ضاحي الذي كان في السادسة والعشرين من العمر فقد عرض عليه الإقامة والعمل في أمريكا مع المخابرات مقابل مبلغ كبير لكن حامد الضاحي سدد ضربة قاسية إلى الموساد إذ قام بإبلاغ آمرية بالأمر الذي أدى الى وضع خطة بالتنسيق مع الاستخبارات

العسكرية العراقية للإيقاع بهم حتى تقرر نقله إلى العراق على وجه السرعة إلا أن اجراءات السفر الاميركية أخرته ثلاثة أيام، تمكن الموساد في أثنائها من الاجهاز عليه بعد تحديد موعد كاذب له مع أحد زملائه في إحدى الكافتريات مما أدى إلى إنهاء الدورة قبل انقضاء مدتها بشهر واحد وعودة الطيارين إلى العراق.

أما اغتيال الطيار الثالث محمد غلوم فقد تم من قبل الموساد بالتعاون مع المخابرات الإيرانية السافاك في باريس بعد رميه من القطار.

بتلك الطريقة أخبرها الضابط الامريكي والذي كشف لجمان نصف تاريخ الحكاية السرية لخالها، ولم يحن بعد ما هو دور خالها في القضية (007) .. عندما ابتسم الضابط وهو يجمع أوراقه من مكتبه قال:

- لا تتعجلي الأمور.. في الجلسة القادمة سيحين دور خالك.. وستعرفين القضية كاملة.. مع السلامة آنسة جمان.. أنا أعدك أنه حين الانتهاء من سماع القصة كاملة سيجعلك تحدّدين بالضبط ما هو موقفك من حالة خالك.. وستعرفين كيف كان موقف الأب قطانو حينها في البراءة من منير روفا .. صحيح إن والدك أصبح اليوم رجلا مسنا وعجوزا لا فائدة منه لكنه كان يميل في كل مافعله حينها في استهجان موقف خالك.. تفضلي مع السلامة..

رسالة فضائية تاسعة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

وصلت الأمور الى مفترق طرق مهلك في أحسن حالاته.. انقطع سامر وغاب عن مشهد الأحداث بعد أن تركني فريسة لأفكار مرعبة.. وقتها خفّت وطأة الاجتماعات تدريجيا بين أبي وابن عمي ولم يعد يتواصل في المجيء إلى منزلنا .. توارى عن الأنظار ابن العم وسجّل غيابه في إشارة مهمة للبحث عن مصيري المعلّق بيد القدر الغامض، الذي يحاولان رسمه لي على مشيئتهم..

في يوم ما سمعت أبي يتحدث مع أمي عن غياب بكر واختفائه في ظروف غامضة.. كان عائدا من جولة عمله اليومي في سيارته التاكسي، أغلق هاتفه في إحدى السيطرات ثم اختفى. وقد ظهرت علامات القلق على أبي في كل مرة يجد هاتفه المغلق على الدوام. يتذّمر أبي ويبدأ بالسب والشتام على البلد كله وحكومته والامريكان والميليشيات.. أنا من جهتي كنت أتصل بين فترة وأخرى بهاتف سامر فأجده مغلقا.. أتذمر وأسب نفسي وألعنها.

ذات مساء وبعد مضي فترة ثلاثة شهور من الغياب، جاءت رسالة الى هاتفي من رقم دولي تقول الرسالة: " أنا أسامة عبد العزيز الكبيسي.. مهندس مدني أعيش حاليا بشكل مؤقت في دبي وسوف أغادرها الى أستراليا بعد شهور قليلة.. اختصر الطريق عليك. أريد الزواج من بنت عراقية من أصلي وفصلي، أوصلني السؤال اليك" ..

إنه هم جديد مضاف فوق همومي.. وجرح سامر ما زال نديّا .. مَنْ أسامة هذا وكيف وصل إليّ؟؟ لا أعرف.. المهم سيدي إن كان سامر ليس وفيا معي.. فأنا بعكسه تماما .. لا أستطيع نسيانه مطلقا ..

بعد أيام قليلة من رسالة أسامة، تفاجأنا بزيارة امرأة كبيرة السن جعلتها البدانة تتعكز على عصا بيدها وتتمايل بمشيتها، ادّعت أنها خالة شخص يدعى" أسامة"، تريد أن تخطبني له.. طبعا أمي فرحت بمشروع زواجي هذا، أما أبي فقد وضع شرط الضمانات الواجبة لكون الخطيب خارج الوطن.. ادّعى أبي أنه يعرف هذه العائلة الكريمة والثرية عندما كانوا في بغداد وهي عائلة كانت محسوبة على النظام السابق..

أما أنا فلا أحد يسألني عن رغبتي في الزواج.. إلا ببعض أسئلة من باب إسقاط الفرض في أسئلة عابرة..

كيف أتزوج بتلك الطريقة سيدي؟؟ بالله عليك أستاذ، فأنت اطلعّت على بعض أسرار حياتي هل يجوز لي نسيان سامر وجسر الشهداء والنوارس البيض وأزقة الشورجة ودرابين النزيزة وجلسات الشاي في بهو المنظمة وسفرة عمان.. سامر هو كياني كله.. لا لا أستطيع مطلقا .. ثم كيف اتزوج وأنا لست باكرا؟ وعملية الترقيع تابعتها في الانترنيت تحتاج الى شخص مرافق لي.. القضية أكثر من معقدة سيدي..

لا أستطيع مطلقا ..

رفضت الفكرة أمام أمي متذرّعة بمحاولة إكمال دراستي الجامعية في واحدة من الكليات الأهلية.. لكن أمي هاجت وتذمّرت وأسمعتني كلاما غريبا .. " الرجل سيستر عيوب البنت مهما كانت" .. لا أعرف ما

قصدته أمي من كلامها المُلغزهذا.. ربما هي تعرف بمصيبتي، أو ربما استشعرت بعلامات في جسمي أو وجهي من وقوعي في المحظور في سفرة عمان.. ربما! ..

سيدي لا أستطيع أن أكمل فقد حان موعد إطفاء كهرباء الوطن.. حان موعد نوبة الحزن ودورة البكاء اليومية.. وداعا..

نورا

-20-

دمعة جُمان ساخنة

جلست جمان على الكرسي نفسه، والمخصص لها في كل جلسة.. عندما أحضر لها الضابط الأمريكي بيده كوب القهوة "الدوبل" كما يسمونها في المجتمع الأمريكي.. فتح حاسوبه اللابتوب ثم تناول البوكس فايل خلف مكتبه، ليكمل لها القصة الأمريكية لخالها النقيب الطيار منير روفا.. قال:

- بدأ دور النقيب الطيار منير روفا الذي تم تجنيده في أثناء حضوره إحدى الحفلات الفنية الترفيهية في منتدى مكسيم في الجادرية حيث تعرف على باربرا وهي سيدة إنجليزية تبين له لاحقاً بانها زوجة مدير مجموعة شركة النفط العراقية المحدودة الشهيرة بتسمية (IPC) التي تم تأميمها لاحقاً على عهد الرئيس الأسبق أحمد حسن البكر عام 1972، هذه المرأة الانكليزية رأس حربة لقاعدة المصالح البريطانية في العراق.. السياسة البريطانية في تلك الفترة تطمح لرد اعتبارها على اثر الهزيمة المنكرة في العراق بعد الإطاحة بمصالحها ورجالاتها في ثورة يوليو / تموز 1958 حيث كان العراق ورئيس الوزراء والسياسي المخضرم نوري السعيد باشا يمثل قطب الرحى وعراب هذه السياسة في الشرق الأوسط والمنطقة العربية. تطورت علاقة منير روفا مع باربرا بشكل متسارع لإسقاطات مصلحية لكلا الطرفين فارتبط بها بعلاقة عاطفية عارمة سرعان ما تحولت إلى علاقة غريزية محاولا استغلال موقع زوجها المؤثر لدى السفارة البريطانية لغرض تهريبه إلى إنجلترا أو الولايات المتحدة، وهي تعلقت به لوسامته الشخصية ورشاقته

العسكرية، ثم رأت فيه الأداة لتنفيذ تطلعاتها ومطامح السفارة البريطانية في بغداد. فأخذا يلتقيان تارةً في الكنيسة بذريعة الصلاة وتارة في الموصل مدينته الأصلية تلافيا لأنظار زوجها من جهة وأنظار الاستخبارات العسكرية العراقية من جهة أخرى والمخابرات البريطانية التابعة للسفارة البريطانية وشركة نفط العراق البريطانية من جهة ثالثة.

- من جانبها كانت تصور علاقتها به للمخابرات البريطانية على أنها علاقة عمل الهدف منها تجنيده للعمل مع المخابرات البريطانية أو كمصدر للمعلومات عن تسليح العراق وتعبئة قطعاته خصوصاً بعد مشروع الوحدة الثلاثية مع مصر وسوريا عام 1964 على الأخص وبعد التطور الخطير على مصالحهم على اثر اتفاق حكومات الدول الثلاثة.. من جانب آخر ترددت إلى مسمع مدير الشركة علاقة زوجته بالطيار المسيحي الذي وضع هدفا لتجنيده حيث كانت تساوره شكوك حول تصرفاتها مما شجعه لتسفيره للتخلص منه. وبعد فترة أبلغت باربرا منير روفا برغبة زوجها مدير شركة النفط لمقابلته الذي التقى زوجها حيث رحب به وشرح له خطة هروبه التي تتضمن مرحلتين:

- الأولى، بضرورة تقديم إجازة مرضية من سربه في قاعدة الرشيد الجوية قرب بغداد والعمل على نقل أفراد عائلته إلى المحافظات الشمالية لتهريبهم إلى إيران التي كان يحكمها الشاه محمد رضا بهلوي صديق بريطانيا حيث كان لشركة نفط العراق فرع في طهران باسم شركة نفط إيران، والتي ستقوم من جانبها بتأمين نقلهم كلاجئين إلى بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة.

- الثانية، ترحيله من البصرة متخفياً إلى بريطانيا الذي من المفترض أن يلتقي عائلته هناك ثم الانطلاق منها إلى الولايات المتحدة.

- وافق منير على الخطة مع بعض التعديلات خصوصاً على التوقيتات، لأسباب مهنية تتعلق بعمله العسكري. تلافيا لمتابعة مديرية الاستخبارات العسكرية له. فطلب إجازة مرضية طويلة متحججاً بمرض زوجته لمرافقتها لزيارة أهلها في الموصل وقد رفضت بادىء الأمر للشكوك التي كانت تحوم حوله من زملائه وآمريه حول تذمره الدائم والانطباع لعدم وطنيته الذي عزز ذلك التقارير نصف السنوية لمديرية الاستخبارات العسكرية عنه وطلب دراسة إما إيقافه عن الخدمة العسكرية وأحالته على التقاعد أو نقله إلى صنف سلاح آخر بصفة خدمات أرضية.. بقي الأمر قيد المتابعة والمراقبة لعدم وجود أدلة على خيانته، حيث أيد ذلك بعض زملائه بأنه كان يمر بظروف اجتماعية صعبة بزوالها ستزول مبررات تذمره. بدلاً من السفر الى الشمال نحو الموصل سافر بالاتجاه المعاكس إلى الجنوب نحو البصرة حيث التقى زوجها مدير شركة النفط للمرة الثانية الذي رحب به وأعد لتنفيذ الخطة لتهريبه بجواز سفر مزوّر بصفة أحد العمال المشتغلين على ظهر إحدى البواخر من أسطول ناقلات النفط العائدة للشركة.

- انطلقت الرحلة والمفاجأة كانت بعد ساعات نوم عميقة من جراء المخدر الذي أعطي له. وجد نفسه مباشرة في تل ابيب بدلاً من لندن. وتم التحقيق معه من قبل الموساد الذي وثّق له الصور وأبلغه بأنهم سينشرون هذه الصور مالم يتعاون معهم وأن جميع طلباته ستكون مستجابة وعلى رأسها هجرته وأفراد أسرته إلى الولايات المتحدة ولكن بطائرة حربية عراقية من النوع الحديث الذي تعاقد عليها العراق مؤخراً.

- رفض النقيب منير روفا بادىء الأمر مدعيا عجزه عن تحقيق هذه المهمة مع وجود قوة جوية عراقية صارمة واستخبارات عسكرية دقيقة. إلا أن الموساد تعهد بتذليل جميع الصعوبات من خلال العمل

على إحداث ثغرات تساعد على خرق الدفاعات والاستخبارات العراقية باستغلال أحد أيام العطل الرسمية وجذب انتباه الاستخبارات والقوة الجوية العراقية لحادث ثانوي مفتعل لتمكين روفا بالهرب بالطائرة. وفي الجانب الآخر كانت عائلة روفا قد وصلت إلى الموصل وكانت لا تعلم شيئا عما يجري سوى ما أبلغها منير بأنه بواجب عسكري لمدة شهر وعليهم السفر لزيارة الأهل.

- بعد عودته عكف بهدوء لتنفيذ الخطة فبعد أشهر تم نقل أفراد عائلته من بغداد إلى الموصل ومنها إلى المناطق الكردية المتاخمة للحدود مع إيران حيث نقلوا بطائرة عمودية إلى داخل إيران ومنها إلى لندن.

- ظل الطيار منير روفا بعد سفر عائلته إلى لندن في حالة عصبية شديدة لكن أحدا لم ينتبه إلى هذا التغيير الذي طرأ على هذا الطيار فكانت تتملكه نوبات من الخوف والقلق على مصيره إذا ما افتضح أمره وعلى عائلته. كانت الساعة قد بلغت الثامنة إلا ربعاً صباح يوم 16 اغسطس / اب 1966 عندما اصطف تشكيل من طائرات الميغ 21 التابع لسلاح القوة الجوية العراقية للقيام بطلعات تدريبية معتادة وكان ضمن الطاقم التدريبي في هذا اليوم الطيار الجاسوس منير روفا.

- صعد منير روفا إلى طائرته وصعد طيارو تشكيل الميغ 21 الجاثمة على أرض قاعدة الرشيد في بغداد وكان منير قد عقد العزم على ألا يفوت هذه الفرصة مطلقاً بينما تأخر هو قليلاً بتشغيل محرك طائرته "الأسرع من الصوت" شغل بقية أفراد التشكيل محركات طائراتهم التي أخذت تزمجر على مدارج القاعدة الجوية، على غير عادتها وربما بسبب العطلة الرسمية، كانت القاعدة في ذلك اليوم يشوبها هدوء غريب أشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة، أخيراً أقلع منير والتحق خلف التشكيل، وما لبث أن قام آمر التشكيل بالاتصال بمنير

ليتحقق من سلامة اجراءات الاقلاع والتوتر الواضح الذي اعتراه منذ الصباح الباكر لهذا اليوم غير العادي، وعلى حين غرة فاجأ منير الجميع بابتعاده عن التشكيل وطار بسرعة أعلى بكثير من التشكيل أو حتى السرعة المعتادة في التدريب مدعيا قيامه بمناورة تدريبية ضمن المنهج المقرر، وبعد تأخره لدقائق وجه إليه آمر التشكيل نداء بالعودة فورا للتشكيل إلا إنه لم يرد عليه فحاول اللحاق به إلا أن منير تجاوزه بمسافة كبيرة متخذاً طريقه نحو الحدود الأردنية وبسرعة فائقة متجنباً المرور من فوق مدافع مقاومة الطائرات، وعند اختراقه للحدود الأردنية قامت طائرتان من طراز هنتر أردنيتان ذات السرعة الأقل من الصوت، باعتراضه إلا أنه أفلت منهما نظراً لفارق السرعة والتقنية واتجه فورا إلى حدود إسرائيل التي دخلها مخترقاً منطقة البحر الميت.. وبمجرد دخول الطائرة الميغ 21 الاجواء الإسرائيلية رصدتها ثلاثة رادارات كما دوت صافرات الإنذار معلنةً وجود هجوم جوي معادي، أقلع النقيب الطيار ران وكان معروفاً بأنه متخصص بطيران الألعاب بطائرته الميراج 3 الأقل كفاءة عن الميغ 21 والذي تقدم مرعوبا نحو الطائرة بعلمها العراقي الثلاثي النجوم متصورا هجوما معاديا قد انطلق صوب إسرائيل، بينما قام بإسناده في المطاردة سرب كامل من طائرات الميراج اتخذ بعضها وضع الهجوم في حين تأهبت الأخريات للانسحاب في حالة تطور الأمور لما لا يحمد عقباه، كان الجو غائماً متقطعاً مما زاد من هلع الطيارين الإسرائيليين وهم يرون لأول مرة بالعين المجردة الميغ ذات الجناح المثلث وهي تزأر مخترقةً الأجواء الإسرائيلية مستعرضةً رشاقتها تارةً ومتخفيةً خلف الغيوم تارةً أخرى وكأنها صاروخ منطلق دون توقف نحو مقتله.. مرت لحظات صمت رهيبه تقطعت فيها الأنفاس.. ثم كسر هذا الصمت منير بالانحدار قليلا وخفض سرعة

الميغ 21، حتى أخذ الطيار الإسرائيلي ران من التسلق بسرعة إلى ارتفاع أعلى من ارتفاع الطائرة الميغ 21 واخذ ران يعد العدة لوضع طائرته بوضع الاستعداد القتالي لمهاجمة الطائرة متصوراً أن مناورةً ما سيقوم بها الطيار المعادي عندما خفض سرعته. وفي هذه الثواني العصيبة دوى صوت متحشرج وكان قائد القوة الجوية الإسرائيلي مردخاي هود عبر جهاز اللاسلكي الخاص بران وطائرات سرب الميراج المتصدية، يطلب من ران بلهجة حازمة "توقف عن إطلاق النار توقف فوراً" لكي لا يعترض الطائرة الميغ 21 ويصاحبها حتى تهبط.

لم تتمالك نفسها جمان إزاء تسلسل قصة خالها بين رافضة لشخصيته الخائنة، وبين حياة والدها ناجي قطانو .. ضغطت على مقدمة رأسها من هول الصدمة.. إذ لم تخبرها يوما أمها عن قصة خالها النقيب منير روفا الذي توفي في عام 2000.. هدأ الضابط من حالتها النفسية وراح يكمل بقية القصة وما تلاها.. قال:

- في عام 1988 تم اقتباس قصة الخال منير روفا في فيلم "رجال السماء" وهو فلم تلفزيوني أمريكي ذو ميزانية محدودة من إخراج جون هانكوك وكتابة كرستوفر وود وقام البريطاني بين كروس بتمثيل دور روفا وبمشاركة الممثلة ميرل همنغواي حفيدة الروائي المشهور إرنست همنغواي.. يرى بعض النقاد إن الشيء الحقيقي الوحيد الذي تم اقتباسه في ذلك الفيلم هو هروب منير روفا إلى إسرائيل مع طائرة الميغ 21 وكانت بقية الفيلم مليئة بالأخطاء التأريخية والعسكرية، فعلى سبيل المثال كانت طائرة الميغ التي تم استعمالها في الفيلم أقدم بجيلين من الطائرات مقارنة بالميغ المتطور آنذاك التي استعملها منير روفا والتي كانت طائرة أسرع من الصوت تعمل بالبنزين الذي أعطاها ميزة

السرعة والإقلاع الخفيف بينما كانت الطائرة المستعملة في الفيلم عبارة عن الميغ 17 ويرجع هذا إلى ميزانية الفيلم المحدودة . كذلك قامت الممثلة ميرل هامنغواي بتجسيد دور باربرا التي كانت في الحقيقة سيدة إنجليزية وزوجة مدير مجموعة شركة النفط العراقية التي تم تأميمها لاحقاً ولكنها تظهر في الفيلم على أنها مواطنة أمريكية. كما يركز الفيلم على أصول روفا المسيحية وهناك نصوص في الفيلم على لسان الممثل بين كروس (منير روفا) بأنه تعرض للاضطهاد بسبب كونه مسيحيا في دولة إسلامية. تحاول باربرا إغراء الطيار العراقي المتزوج بتوجيه من الموساد وعندما يكتشف الطيار حقيقتها يكون الوقت متأخرا جدا للتراجع فهو أمام خيارين إما خطف الطائرة إلى إسرائيل أو التعرض إلى الشنق من قبل الحكومة العراقية ويظهر الفيلم دورا كبيرا لميرل همنغواي في تهريب أفراد عائلة منير روفا إلى إسرائيل..

- لكن مقابل هذه الرواية.. ترى هل تمنحون أبي تأشيرة الدخول أم لا؟ هكذا تجرأت جمان لتسأل الضابط.. هنا ابتسم الضابط لها وهز رأسه بعد سلسلة المراجعات التي استمرت اربع سنين طوال..

- "نو بروبلم مسز جمان" ..

-21-

طه ترتيب

بمحض مصادفة يكتشف أليس رغيد أن صديقه طه ترتيب يحمل جبلا من الأسرار الرهيبة التي يخفيها عن الجميع.. وأكثرها دهشة السر العظيم والخطير الذي اكتشفه قبل يومين فقط.. فقد تبيّن أن طه ترتيب هو أحد القلة المتبقية من الديانة البهائية المحظورة رغم أن البلد يعج بصنوف أخرى من محظورات ومن شتى الأنواع.

تمتد علاقة الصداقة بين أليس رغيد حزام وطه ترتيب لسنوات طويلة خلت قبل أن يعمل ترتيب هوية عربية لأليس.. فهما من محلة واحدة وشارع واحد ومقهى ومدرسة واحدة وعباس مخلوف واحد .. لم تفرّقهم ظروف البلد الشائكة أو ظروف التخفّي القسري، بل زادتهما في التشبّث ببعضهما خصوصا في سنين المحنة الأخيرة، عندما أصبحت همومهما مشتركة والخوف والقلق والحذر كان واحدا.. وإن كان ترتيب لم يكشف شيئا واضحا عن حقيقة تخفيّه حتى هذه الساعة رغم حذره الشديد من المحيط الدائر حوله لكونه يعمل في نفايات السفارة الامريكية في المنطقة الخضراء..

تبين انه الابن الشرعي الوحيد المتبقي في بغداد ل"عباس بغدادي" البهاء الأول وشيخ الديانة ورجل المحفل الأول الذي تحج اليه في قصره كل أتباع الديانة ومن كل الاصقاع..

ذلك السر الذي اتضّحت خيوطه عندما رسم ترتيب على ورقة تسجيل نقاط الدومينو شعار الديانة البهائية ذات يوم في جلسة طقس المقهى وهو يسجل ما تنتجه نقاط اللعبة عندما كان التباري بين أليس والأخرس.. رسم بقلمه الجاف ثم حاول شطبه بسرعة لافتة، قبل أن يقدم عليهم عباس مخلوف بفضوله المريب .. حتى ايقن أليس سبب رعشة ترتيب وتغيّر ملامحه، يوم فاز بالضربة القاضية برقم (19) في لعبة الدومينو ولم يتعرف على سر هذا الرقم في معتقده وسر اعتقاده في البقاء..

في جلسة استراحة ما بعد الغداء كشف محمد رياض الوادي أسرارا خطيرة عن تاريخ طه ترتيب.. قال:

- أبوه (عباس بغدادي) ممثل أبناء هذه الديانة اللغز المحيّر للكثيرين، استطاع نظام البعث من ملاحقته وزجّه في السجن ثم إعدامه وقيل إنه مات في السجن بسبب المرض.. استطاع ترتيب التخفّي التام والابتعاد عن البيت الذي تحج اليه أبناء هذه الديانة في محفلهم قرب حمّام الصفا في منطقة علاوي الشيخ صندل بالقرب من شارع حيفا الحالي، استأجر له شقة صغيرة في منطقة السعدون موقع في مكان ليس ببعيد عن مجلتنا، تقع الشقة بالضبط أمام المحفل الثاني بمكانه قرب القصر الأبيض في خاصرة بارك السعدون ليتوارى عن أعين السلطة آنذاك، استبدل اسمه وغيّر هيئته، وما أن حانت لحظة احتلال بغداد الأخيرة حتى قررالعودة الى منطقة النزيزة والاقتران بأصدقاء الطفولة.. فالنزيزة هي مرتع صباه وشبابه وأقرانه..

ثم استلّ الوادي عددا من مجلة نوارس، حيث كتب في العدد الثالث محورا مهما حول الديانة البهائية، معتقداتهم وطقوسهم وأمكنة تواجدهم وقد عملت تصحيحه اللغوي بنفسي:

" العراق هو أحد الأماكن الرئيسةّ للديانة البهائيّة، ففيه قضى مؤسّسها "بهاء الله" عشر سنوات وأعلن دعوته، وبالتحديد في حديقة الرضوان في بغداد التي يقال إنها كانت على ضفاف نهر دجلة في موقع مدينة الطب حالياً. وقد سبق ذلك حضور مكثف لأتباع الباب (السلف المهّد للبهائيّة) في العراق، كانت من أشهرهم "قرّة العين" التي تعتبر أبرز شخصيّة نسويّة بالنسبة إليهم.

ليس طه ترتيب غامضا فقط وكذلك محمد رياض الوادي أيضا.. المجلة كشفت اسرارا مهمة عن تلك الديانة ولم انتبه لها إلاّ حين نبّهني لها الوادي.. حيث أطلعت على بقية التقرير:

يعتبر والد طه ترتيب "عباس بغدادي" هو الاب الروحي للطائفة وكان رئيس قسم الجيولوجيا في كلية العلوم بجامعة بغداد قبل سجنه وإعدامه.. واستطاع بثقافته الموسوعية من جمع كل أتباع الطائفة من كركوك وطوز خرماتو وجلبهم الى بغداد أبان الثمانينات من القرن العشرين"..

في العدد القادم تتمة..

وفي العدد الرابع من مجلة نوارس يكمل سكرتير تحرير المجلة السيد محمد رياض الوادي ملفه الخاص بأتباع الديانة البهائية في العراق وهذه المرة يعزز الملف بصور تراثية لمحافلهم الشاخصة.. يعتبر الوادي الصحفي الجريء الذي يحاول دائما تسليط الأضواء على

الأقليات العراقية المنكوبة.. ركّز في مساحة واسعة من الملف على تجمّعهم في مدينة السليمانية وممارسة طقوسهم في محفلهم الجديد القديم، كما يفرد مساحة أخرى لتاريخ الجماعة.. حيث ورد في العدد الرابع مايلي:

" بدأ تضييق الخناق يشتدّ على البهائيّين بعد سقوط الحقبة الملكيّة العراقية بالتدريج، إلى أن وصل ذروته في عهد نظام البعث. إذ قام النظام في العام 1970 بإصدار مجموعة قرارات نُشرت في جريدة الثورة الرسميّة العراقيّة ضدّ البهائيّين. وبموجب هذه القرارات، أصبحت الديانة البهائيّة محظورة رسمياً، جُرّد بموجبه البهائيّون من جميع ممتلكاتهم بل ومُنِع من تسجيل انتمائهم البهائي في حقل الديانة في سجلات الأحوال المدنيّة، وأمر بحذف هذا الانتماء في السجلات الموجودة واستبدله بأحد الأديان الإبراهيميّة الثلاثة المعترف بها رسمياً. وإثر ذلك، تمّ سجن عدد كبير منهم، لتصدر أخيراً أحكام بالإعدام بحقّ من ينتمي إليهم كجماعة ودين في أواخر سبعينيّات القرن الماضي. حتى دفعت الأسباب سالفة الذكر البهائيّين إلى الانغلاق التام أو مغادرة العراق أو التخفّي..

وعلى الرغم من الانفتاح الحاصل بعد سقوط نظام صدّام حسين في عام 2003، إلا أن البهائيّين في العراق ما زالوا في الظلّ، يعانون خوفاً اجتماعياً يمنعهم من الإعلان عن هويّتهم، ويفضّلون الابتعاد عن ممارسة شعائرهم أو الظهور للعلن.

يقول متخصّص في شؤون الأقليات العراقيّة بأن التغيير في العام 2003 لم يغيّر شيئاً في ما خصّ وضعهم، إذ إن البهائيّة ما زالت ديانة محظورة رسمياً، وهم ممنوعون من ادارج ديانتهم في سجلات الأحوال

المدنيّة، كذلك لم ترجع ممتلكاتهم إليهم ولم تلغَ القرارات الصادرة بحقّهم.

أما من الجهة الدينيّة، فقد صدرت آراء وفتاوى من قبل علماء شيعة في قم والنجف تقدّم نظرة مختلفة للبهائيّة وتتضمّن نوعاً من التسامح اتجاهها. أهمّها كانت فتوى لآية الله المنتظري في العام 2009 بخصوصهم تقضي بمراعاة حقوقهم في المواطنة على الرغم من الاختلافات الدينيّة في ما بينهم وبين المسلمين. وقد نشرت دراسة بعنوان «لمحة تاريخيّة عن الأقليات الدينيّة في العراق: تاريخها وعقائدها» أعدّها السيّد جواد الخوئي وهو من أساتذة حوزة النجف، تتضمّن رؤية علميّة حياديّة اتجاه معتنقي الأديان كافة في العراق ومن ضمنهم البهائيّون، وهي تعكس مزيداً من الانفتاح على مستوى النخب الدينيّة. كذلك، قام مؤخراً الصحافي والإعلامي الإيراني محمد نوري زاد المعارض لسلطة ولاية الفقيه المطلقة، بزيارة إلى بيت أحد العوائل البهائيّة ليقدّم لهم الاعتذار رسمياً بسبب الاضطهاد والعنف السياسي والمجتمعي الذي تحمّلوه طوال سنين، من الأغلبيّة المسلمة. وهي خطوة انعكست إيجاباً وقد أتت مطالبات على الصفحات العراقيّة على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، تقول بعمل مشابه من الجانب العراقي. ويبقى أن بهائيّي العراق يأملون بالاعتراف بهم رسمياً، وحمايتهم قانونياً وأمنياً والسماح لهم بالإعلان عن هويّتهم والقيام بشعائرهم الدينيّة واسترجاع ممتلكاتهم بخاصة الرمزيّة والدينيّة منها".

لكن ملف السيد سكرتير التحرير كان أكثر رومانسية، فعلى مستوى الواقع الصدئ كان "طه ترتيب" يعاني قلقا مزدوجا، أولا لأنه يعمل في نفايات السفارة الامريكية وهذا مدعاة للقتل بتهمة الخيانة

والجاسوسية، ثانيا لنوع ديانته المختلفة والمثيرة لشهوة القتل المنتشر بكل شوارع بغداد وخوفه من غول فكرة الشبحي للاهتمام به.. أنا وطه نتشابه في القلق والهم ونختلف في الجرأة .. طه لا يهتم كثيرا لوضعه الخاص، بل كان يهتم بوضعي الشخصي أكثر من اهتمامه بنفسه.. حين عمل لي هوية جديدة باسم عامر موسى يوسف.

هذا الأمر اكتشفته للأسف قبل موته بيومين فقط، لم استطع مفاتحة طه ترتيب بتلك الاكتشافات الخطيرة، رغم أنها خفّفت عني كثيرا وبمساعدة الوادي..

رسالة فضائية عاشرة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير سيدي الكريم:

لا أعرف هل ستنتهي حياتي عند هذا الحد؟ أم تطول لأصل الى نهاية معقولة لحكايتي؟ فموتي أصبح الآن حقيقة ماثلة أمامي.. الموت يلوح لي في كل مكان، أما حياتي فهي مجرد صدفة عابرة؟؟

ما زال أبي في كل يوم يلّح عليّ للقبول بزواج المراسلة من هذا الشخص الغريب، وكذلك أمي تلّح على الموضوع نفسه وتدفعني للقبول.. أنا في مرمى نيران كثيرة.. نار بغداد الحامية ونار سامر الموغل في الغياب ونار زوج المراسلة هذا.. ماذا أفعل؟؟

لا شيء تماما.. لا شيء بيدي لأفعله.. سأنتظر ما يفعل بي القدر فهو الأفضل لي..

البارحة خرجت من البيت بعد سجن اختياري لثلاثة أشهر.. أخبرتُ أمي بنيّتي الذهاب الى كلية النهرين لتقديم أوراقي على أمل القبول فيها، لكني قصدت بخروجي الذهاب الى منظمة إخوان.. في الأقل فيها رائحة سامر وذكرياتي معه، من المؤكد ستحتفظ بها الجدران والغرف التي كنا نجلس فيها معا لساعات، يلفنا العشق الذي بدأ ولم ينته، وفي الأقل من قبلي حتى هذه الساعة التي أكتب فيها اليك سيدي..

التقيت المدير أركان الموسوي هناك، حين وصولي رحّب بي الرجل وعلى الفور أغلق باب الغرفة لنجلس وحدنا.. تحدثت معه لأكثر من

ساعة عن محنتي وقلقي الدائم عن غياب سامر.. صارحته عن علاقتي به، علّه يساعدني في حل مناسب لمصيبتي.. تبّين أنه على علم مسبق بتلك العلاقة، ومقدّرا لوضعي تماما .. حتى إنه حاول تخفيف الجو الكئيب والدموع الساخنة التي نزلت مني دون إرادتي، وبمزحة خفيفة قال مبتسما :

- ربما ستقوم المنظمة بإنقاذ العالقين جرّاء علاقات الحب المتأزمة وانتشالهم ثم تهجيرهم حالهم حال الأقليات المتابعين من المنظمة ليمارسوا حياتهم.. بالنسبة لسامر كان الأمر محيّرا جدا يا نورا.. في الأسبوعين الأخيرين عاش بيننا شارد الذهن، وقد بدت عليه علامات التعب والإرهاق والخوف من شيء ما .. عندما بعثتُ بطلبه هنا وسألته عن سبب التلكؤ في العمل.. قال لي إنه مراقب من شخص ما .. ثم استمر ليومين ثم انقطع عن العمل نهائيا دون إشعار بالاستقالة أو الاجازة، من المرجح عندي أنه هاجر خارج البلد .. أهله لم يسألوا عنه في المنظمة، فلو كان مختطفا أو مقتولا لا سمح الله لحضر أهله إلى هنا للاستفسار عن مصيره.. لا يليق بك انتظار غائب بمثل ظروف بغداد الحالية، كل الغائبين هم في عداد الموتى بتقديري. قاومي المصيبة بالعمل.. المهم إذا رغبت في العودة الى العمل فمكانك موجود هنا بيننا فهذه منظمتك.. وأنا حاضر لأية مساعدة متاحة..

- لا أستاذ وضعي داخل البيت لا يسمح لي في العمل.. سأتقدم بأوراقي لإكمال دراستي الجامعية.. قطعت الطريق عليه بتلك الإجابة القطعية المختصرة..

خرجتُ من المنظمة تدفعني روحي الثكلى لأنعاشها ولو قليلا في المرور على الشوارع التي دسنا عليها معا .. على مطعم الهمبركر الصغير

المقابل لمعرض بغداد الدولي.. ثم عرّجت على جسر الشهداء وتأملت منظر النوارس.. تأملتها فكّان الحزن واضحا عليها .. طيرانها البطيء وحركتها الثقيلة.. أخذتني أقدامي الى منطقة النزيزة، وقفت بالقرب من مقهى عباس مخلوف، تذكرت قصة الرجل الهدف المتخفي عامر – أليس، أين ياترى وصلت حكايته؟ ليتني أعرف ما دار له وسط هذه الفوضى..

ثم عدت مرة أخرى الى ساحة الطلائع.. أخذت سيارة تكسي لأجل السرعة في الوصول.. قبل النزول من السيارة أردت أن أتذكر سائق التكسي وكأني قد شاهدته من قبل في مكان ما، لكني لم أفلح في تنشيط ذاكرتي وأصطياده.

في أثناء الليل كنت ممدّدة على فراشي أقلّب صفحات حياتي. وفي لحظة خاطفة وقد مرّت صورة صاحب التكسي في رأسي وتذكرته.. أنه الرجل صاحب ربطة العنق الرمانية الذي يقف بقربي فوق جسر الشهداء في أيام العمل مع سامر وهو يطعم النوارس مثلي.. قلت مع نفسي.. أهي صدفة عابرة؟ أم هو مخطط لاستهدافي أنا كذلك؟

-22-

تاريخ شخصي

في أول الليل عندما عادت من معايدة طبيب العائلة، صعدت الى غرفتها مسرعة على الفور، لم تلق تحية المساء المعتادة على أمها، التي كانت جالسة تتابع أخبار بغداد عبر التلفاز.. اكتشفت الأم ملامح الاكتئاب الحاد على جمان.. حيث بدا عليها التعب والإرهاق والتفكير والاكتئاب.. حتى احمرار العينين الذي دلّ على أن جمان قد بكت لساعات طويلة.. صعدت الأم الى غرفة ابنتها وطرقت الباب، ثم دخلت عليها:

- ما بك جمان ليس على بعضك؟

- ما كوشي مام...

- على ماما هذا الكلام! طوال عمرك وقلبك الصغير لا يعرف الضم على ماما..

- بصراحة مام قضية خالو منير ..

- ما به اللّه يرحمه.. مَنْ الذي ذكّرك به الآن؟

- في أثناء مراجعتي لمكتب الهجرة.. أخبرني ضابط المكتب قصة مخيفة ومخلّة بتاريخ العائلة.. قصة مغايرة تماما لما أعرفه عن بطولة خالو منير.. القصة المغايرة أربكتني.. لا أعرف ما ذا أفعل مام؟

راحت جمان تستذكر لها خيوط القصة الجديدة والمغايرة التي رواها الضابط الامريكي عن خالها منير روفا كاملة.. حتى ترقرقت عينا الأم بالدموع وقاطعتها بلحظة عصبية لم تألفها جمان من أمها:

- كافي ما يزي عاد.. هذا كلام الامريكان كلو زيف وكذب.. إذا تهمّك الحقيقة فعلا اسمعيها مني فقط.. منير خالك مثال الأخلاق

والشرف.. بل كان مدرسة في الوطنية العراقية، مو وطنية هذي الأيام يا جمان.. كل ما في الأمر انه وفي لحظة اندفاع وطني .. خرج عن سرب التدريب وراح من دون تخطيط للهجوم على إسرائيل.. وصل فعلا إلى إسرائيل.. كان الله يرحمه بنيّته تدمير القاعدة الجوية والطائرات الجاثمة هناك بطائرته الميغ 21 ليحقق حلمه الوطني الذي أصرّ على تحقيقه طوال شبابه .. لكن الأمور لم تنجح بيده.. استطاع أعداء الوطن من تلفيق الأكاذيب ضد نجاحه..هناك أرغموه على إنزال طائرته تحت تهديد ضرب المنطقة كلها.. وفي النهاية استبدلت القصة الحقيقية بأخرى محبوكة لتظهر إلى الإعلام لتبرز تفوق نشاط الموساد الاسرائيلي.. تفبركت قصته بسرعة فائقة.. حتى الناس في بغداد صدقوها.. المهم القصة طويلة جمان لكن صدقيني إن لأخي تأريخا نظيفا.. هو رجل وطني معروف بوطنيته من كل أصدقائه..

- لماذا الأمريكان يصرّون على خيانته؟

- الأمريكان لهم أهدافهم المعلنة في حينها والسرية.. وكذلك إسرائيل كانت لها أهدافها.. خالك مات عام 2000 وهو تحت الأسر ولم يكن يوما خائنا للعراق.. مستحيل مستحيل.. ما أسمح بتلويث سمعته وهو ميّت مطلقا..

خرجت الأم من غرفة جمان وهي تبكي.. وراحت لجلب كل الوثائق التي نشرتها بعض الصحف التي نشرت حقيقة ما حصل له..

- عندما يأتي هنا ناجي قطانو سيقّص عليك الحكاية كاملة جمان.

-23-

أسئلة وجود

غالبا ما يمارس أليس رغيد هوايته في القراءة عند ساعات الصباح الأولى.. وقع بيده في هذا الصباح العدد التاسع من أعداد مجلة نوارس العشرة، كان ينوي إكمال قراءة ما تبقى من صفحات باب "قصص حب عراقية" .. عن حكاية نورا وسامر تلك القصة التي تعاطف معها كليا، لكن نظره وقع على صفحات من باب "أقليات" .. حيث يواصل اليهودي الأخير اعترافاته المتواصلة.. قصته التي نسجها وقطّعها على أعداد المجلة الصحفي الحاذق محمد رياض الوادي الذي ما انفك من وضع إشارة "للقصة تتمة في العدد القادم"، كان يترك أليس المسكين يتحدث بانسيابية في وارد هواجسه كاشفا عن وضعه الشخصي ونهاية اعترافاته للمحرر.. حياته المكتوبة هي أكثر تأثيرا على الناس من حياته التافهة المنزوية في منطقة النزيزة.. كان يرمز له ب (أ . ر. خ) وعندما يصل الى مكان سكنه يضع خمس نقاط بين قوسين حفاظا على حياته..

في تلك اللحظة الصباحية أحسّ بضيق شديد وهو يقرأ محطات من حياته، كتبها الوادي بأسلوبه الشائق الأخاذ وكأنه يطّلع على تاريخه لأول مرة، شيء من المرارة الخانقة في جوفه، لحياته المدوّنة بين صفحات المجلة خاصة عندما قرأ المقطع ما قبل الأخير من مقال الأستاذ الوادي:

.. (في ذلك الصباح جلس كالعادة مبكرا نشيطا .. الحمد لله فقد كانت الكهرباء الوطنية متاحة له على غير عادتها .. بحث في قائمة القنوات الفضائية عن صوت وصورة لأغاني فيروز التي يمقتها الجنود والساسة

كرها أبديا .. ثم دخل الى الحمام ممارسا طقس الحياة الصباحي، ليزيل مسحة الكآبة المتبقية من بقايا الليل وتعب الكابوس الثقيل.. في آخر هزيع من ليلة البارحة جثم على صدره كابوس ثقيل.. شاهد صورة عزران بربطته المارونية وكرشه المتدلي يقطع تفاحة خضراء صغيرة ويقضم منها قطعة صغيرة ثم يبصقها من فمه لحموضتها ومرارتها التي لا تطاق.. يقذفها في موقد النار ويتدفأ باشتعالها:

خلع كل ملابسه دفعة واحدة في منزع الحمام.. أصبح عاريا مستأنسا بلحمه النابض وكرشه الصغير وشعر صدره الذي بدا كغابة محروقة.. عندما يكون عاريا متوحّدا في فضاء الرطوبة والظلام يكون أكثر صراحة أمام الأسئلة الصعبة التي تنتظر الإجابات منه في الحمام بفعل عامل التوحّد وهاجس الرطوبة وأرتخاء الأعضاء المتشنجة..قال محدثا نفسه :" ليس هناك حقيقة أكبر من كوني كلبا نجسا بنظر الناس هنا .. أنت يهودي - اذهب لبلدك"..

يتحدث بلغة الاعتراف محدّثا المرآة الطويلة المُضببة: "إن بغداد بلدي الوحيد .. لا أحد يريد أن يصدق حقيقة بغداديتي" ..

كان أمر التخفّي والذوبان هو الأمر الواقعي المفروض عَلَيهِ خوفا من حماسة وهيجان الناس في الشوارع وخصوصا بعد كل مصيبة انفجارات وأيام دامية..في تلك الأيام يعود مسرعا الى بيته ليختفي عن أعين الناس قبل أن يرموه حطبا لفوران غضبهم من شدة التفجيرات وتخفي القتلة.. ستنهش الجماهير لحمه وتقطعه انتقاما كأي مجرم أفّاق، مما يحدث من موت مجاني بالجملة للناس المساكين..

فجأة احسّ بوشوشة ماء الدوش حيث أحس بيد ضخمة تمتد لتفتح الصنبور.. صورة عزران خلفه في المرآة.. إنه لا يجيب عن أسئلته الأزلية.. لكنه أخبره بطريقته البوليسية.. قائلا:

- أنت في خطر".. لم يصدقه فهو غالبا ما يطنّ في أذنه نشيد الخطر..قال له:

- حياتي منذ ولدت وحتى هذه اللحظة في خطر دائم.

استحمّ جيدا في باطن "بانيو" صقيل وناعم يعبق برائحة الشامبو.. ثمة فقاعات لرغوة نزقة تتقافز فيه وتنفجر كانفجار العبوات.. الحمام في هذا البيت العتيق المرقّع هو المكان الوحيد المريح في عالمه الصغير هذا.. دندن مع نفسه:"طز بعزران أينما حل.. وأينما وجد"..

وسط حوض البانيو تحققت حالة الاسترخاء المثلى التي يبحث عنها.. جعلته في بقعة نعيم محمية وسط عظمة هذا الجحيم.. يقول عزران بهذا الصدد :"الخروج من الجحيم ليس بنعمة أبدا.. لكن النعيم الحقيقي في وجودك المريح في فضاء الجحيم بوصية مني".. دندن بصوته الأجش داخل الحمام دون أن يفهم فلسفته..

في كل مرة يخبره بهذه الاسطوانة المشروخة.. ثمة شخص لا يُرى ولا يُلمس باليد سيجيب يوما عن أسئلته، هو نفسه يطرح أسئلة تتصادم مع أسئلته.. شخص ما يتحدث معه ويطرد الوحشة عنه.. هو موجود في كل ساعة وكل يوم ..إنه لا ينام.. لايموت.. ليس له أب ولا ولد.. موجود هنا معه في حوض الاستحمام ينظر لي دون استحياء وفي الشارع وفي كل مكان..

- بعد الحمام تعطّر بعطره المفضّل عطر كلاسيكي نوع "ون شو مان" ثم شذّب لحيته دون أن يحلقها بالموسى، تلك وصية جماعته المتبقين له في وصايا التخفّي..قال وهو يمشط شعره الفضي أمام المرآة:

- أنا نظيف طاهر الآن كما خلقني الرب..... .

-24-

سائق الصرصور

على دراجة يُطلق عليها هنا في العاصمة بغداد بـ"صرصور" ويسميها الأقرع بالذبابة.. وهي سوداء صغيرة الحجم كعقربة صغيرة غادرة، تطلق من مقدمتها أصواتا متقطّعة بزمّارها البوق، وتبعث من مؤخرتها دخانا أبيض خفيفا.. لمحها أليس على عجل بنظرة خاطفة.. كانت تحمل على مقعدها شابين يرتديان تراكسوتات رياضية من دون لثام لم يبن عليهما أي ارتباك.. سائق الدراجة ماهر خفّيف الحركات، يدخن سيجارته من دون أن ينتزعها من فمه مطلقا، ينفث دخانها في الهواء المحيط.. يدندن بصوت جميل ومع صوت المغني المنبعث من مسجّل الصرصور أغنية الموسم ،"على الموت أخذنا.. أخذنا ولا تردنا"..

ثمة أصوات إيقاعية لجوقة تصفّق للمغني بإيقاع منتظم ورتيب.. لا وجود للموسيقى المُصاحبة للأغنية.. هي رجس آخر من عمل الشيطان مضافا لأرجاس أُخر.. لم يجز الفقهاء صوت البلابل وهدير أمواج الموسيقى، "لا بأس بالتصفيق إذن- هذا ما أجمعوا ثم اختلفوا في جوازه أو مكروهيته" أو حتى نجاسة مدندنيه..

استدار سائق الصرصور بعد أن تجاوز لمسافة أمتار، وقد رمق الرجل الهدف بنظرة جانبية خاطفة ومريبة.. أما الآخر خلف السائق كان يعتمر على رأسه الأقرع الحليق قبعّة بيضاء يدير مظلتها الشمسية إلى الخلف..

بدا لأليس أنه صباح غير فائت على خير في هذا اليوم الأغبر، حيث تعثّر كثيرا برنامج (oxsn-2 استشعار الخطر) البرنامج الذي استحدثته

شركة SAMSUNG للهواتف النقّالة الذكية واللوحية للتابات بأجيالها والكلاكسيات والكراند والنوت بتعددها ..من المفروض أنه يُبعد خطر الموت المفاجئ الذي يتربص في الطرقات.. طرحت وسوّقت الشركة البرنامج للبلدان التي تعاني من نزاعات محلية وعنف مسلح في بغداد والشام وكابل ومقاديشو.. يرتبط البرنامج بنظام "الاندرويد" الجديد، فيعطي إشارة صوتية (اهتزاز+رنّة) منبها للخطر الداهم ويُعد هو الأفضل، مختلفا كل الاختلاف عن الشعور البايلوجي الفطري بالإحساس الإشاري للخطر في جسم الإنسان المحاصر في (اصفرار الوجه – خفقان سريع ومحتمل للقلب - توقف عمل البنكرياس).. برنامج استشعار لشركة SAMSUNG بُني على أسس نفسية وتقنية، يرتبط بصاحب الهاتف الذي يعاني من حالات القلق النفسي.. في التعليمات المرافقة توصي بفتح إشارة البلوتوث في شوارع بغداد المحتملة للانفجار المفاجئ.. كذلك من المفروض وحسب تعليمات التشغيل المرفقة، تتفاعل على الفور كيمياء الدماغ البشري مع الحوافز المادية للمادة(Explosive material c4 + TNT.. أو نترات الامونيوم النشوية + ملح البارود ..أونيتروغليسرين ذات التفاعلات الكيميائية السريعة ـ C3H5N3O9+HNO3+H2SO4.. يتحسس المواد المشعة المنبعثة لذوات الطاقة النووية مثل يورانيوم 235أو بلوتونيوم 239) البرنامج الذي تم تداوله أكثر من تداول أقراص الخبز اليومي.. يتعامل البرنامج بسرعة فائقة مع مواد سريعة الانفجار التي تعطي إشارات سالبة يستلمها برنامج الاستشعار ليتفاعل مع حقيقة المحفز الدافع لها، ثم يعطي النتيجة النهائية بطلب الاستغاثة (رنّة موسيقية = هزة تشبه رجفة قلب ضعيف)..

المهم أن البرنامج المذكور في هذه اللحظة لم يعط رنّة استشعار الخطر إن كان من ثمة خطر من سائق الصرصور وصاحبه.. الاحتمال الأقرب للحقيقة هو في محاولة ناجحة استطاع بها ثنائي الصرصور إيقاف عمل البرنامج ببرنامج مكافح للاستشعار.. أو إن البرنامج المذكور بحاجة الى ترددات إيجابية جديدة وتحديث الموجات المرسلة والمستلمة.. أما سامسونج فقد كانت من الخبث بحيث ابتكرت البرنامجَ المضاد لإيقاف برنامج الاستشعار.. "يخلقون الفايروس ويصنعون المكافح له" دُنيا قحبة..

عاد صوت الدراجة يزعق مرة أخرى، حينما سارت دراجة الصرصور بجانبه من دون أن يلتفت هو إليها.. ظهر نفسه غير مبالٍ بما يجري بجانبه، وهذه طريقته التي أوصاه بها جماعته المتبقون، مع لائحة وصايا أخرى مخصصة للسيطرات..

صوت المغني منبعث بانتظام من مسجّل الصوت ويقترب أكثر مع كل لحظة تمر، التفتَ إلى اليسار وبنظرة خاطفة ليحسم أمره أما بالهرب ثم البحث عن باب دار مفتوح ليلوذ خلفه.. أو في العودة إلى الخلف والانطلاق من حيث ما جاء.. لكنه تفاجأ بهالة بيضاء لوجه يبتسم له.. عزران خلفه وجماعة الصرصور أمامه ضيّقوا الخناق عليه من الخلف.. ابتسم عزران له حيث وقف على ناصية الشارع يلملم أجزاء المشهد ويترجمه.. في الأثناء أحسّ بهسهسة احتكاك أقدامهما على الأرض.. شمّ دخان سيجارة سائق الصرصور كلما اقتربا منه ..

اسمه البديل كانت مشكلته ومصدر قلقه الدائم، فكيف إذا قال لهما اسمه الصريح "أليس رغيد خزام"، إذ يمكن التلاعب والتنكر بالشكل والهيئة وتمشية الحال، لكن خريطة الأسماء ووجهتها تنتهي

عند حساسيّة الاسم وبهوية مزوّرة في السيطرات ونقاط التفتيش الراجلة أو المرابطة غير المتوقعة، كانت مشكلته في التدرّب على النطق وضبط اللهجة المطلوبة والأسئلة غير المتوقعة في التفاصيل.. المشكلة بأهل الصراصير الجوالين.. يوم أصبحت الشوارع تحمل مفاجآت غير محمودة خصوصا في ساعات الظلام.. في الشوارع الخلفية المكللة بالسواد، أو قرب أكوام المزابل أو ربما على محيط المناطق المسيّجة بالكونكريت..

في هذه الأثناء وقبل الوصول الى أرض الرصيف، حدّق مليّا بصورة عزران ليقارنها بصورة الأقرع وصاحبه.. وما هي ردود أفعاله نحو الواقعة الغادرة؟ لغاية هذه الساعة لم يفك طلاسم الإيماءة الغامضة الغامزة التي صدرت من عزران، ربما كانت شبه موافقة على التوقف السريع، هي شبه ابتسامة غامزة ومعها هزة رأس وحركة أصابع يد خفيفة..

كانت المشكلة محصورة دائما في تقييد حركته، فحرية التنقل بالنسبة له تحمل مفاجآت غير متوقعة. والسلامة تتطلب المكوث دهرا خلف ظلال جدران البيت.. أما التنقل من مكان الى مكان فتلك مشكلة عويصة وخطرة، وبحاجة الى مخاتلة الشبحي والإفلات من قبضته.. لكن بانطلاقة برنامج استشعار الخطر الذي انطلق من شركة SAMUNG، كان يتوقّع أن القضية قد زال خطرها أو خفّ الى حد ما..

عزران بات قريبا يراقب المشهد المرسوم أمامه بدقة وتفانٍ، هو الذي حرّك شخوص اللعبة من سحب وإرخاء الخيوط أو ضبط الحوار الدائر بينهما من دون أن يعلن نهاية واضحة لستار هذا المشهد..

لم يكن "أليس" موفقا في اختيار الاسم الجديد للتخفي التام واتباع شروط السلامة من مفاجآت الشوارع كتلك التي حصلت له في تلك الساعة.. عامر "اسمي عامر" قال أليس لهما.. لم يكن مقنعا لصاحب الصرصوروصاحبه الأقرع، فالهيئة العامة له لا تتطابق كليا مع حيثيات الاسم الذي اختاره ودوّنه له صديقه طه ترتيب في هوية الأحوال المزيفة.. أنفه المستدق وبياضه المشرأب بصفرة خفيفة وجبهة عريضة أثارت شكوكهما..

أصبح سجلُ البحث عن الأسماء المحايدة ضيّقا جدا، المناطق المختلطة ضاقت حتى غدت شوارع دون شوارع وبيوتات دون بيوت وجادات تصفر فيها الريح وتتطاير فيها أكياس النايلون فقط وأخرى خاصة لتغوط الكلاب والقطط وجدران خلفية لتبول سكارى الليل.. اختفت وذابت المناطق المحايدة.. عندما يقول المحايدة كان يقصد بها المنطقة التي لا يثيرها مصرف الأسماء وخزانها الذي كاد ينفد.. يبحث عن الاسم الوسطي المحايد ما بين الأسماء شديدة "التطيّف".. وقد عُثرَ على الاسم المُراد منذ بداية قضيته العويصة حتى هذه اللحظة هذه.. الطرفان المتحاربان يطلقان اسماء مثل عامر وموسى ويوسف على كل طرف دون إثارة حساسية الآخر.. لكن وشاية ما من الشبحي هي التي فتكت به..

بهدوء مُنيف ومزدان بالثقة العمياء، توقّف ولدا الصرصور للحظة بالقرب منه.. سلمّا عليه بأدب واحترام جم وبتحية الإسلام العظيمة.. قال لهما:

- وعليكما السلام هلا بالشباب.. والله خفت منكما بادئ الأمر.. هههه. السلام يبرّد القلوب هكذا يقولون.. القاتل لا يلقي تحية على

المقتول.. إذ يبدو أني كنت واهما في الخوف الزائد من ولدي الصرصور..

الشاب الأقرع الآخر خلف السائق ذو القبعة، كان فتى ضئيل الحجم كريم العين، شكله مألوف لديه، تبين له أنه التقاه لأكثر من مرة في مكان ما او ربما كان جالسا أمامه في مقهى النزيزة.. بعكس السائق الذي اتضّحت ملامحه في الغموض والشيطنة..

الأقرع كريم العين ذو وجه مألوف وإنساني ومبالغ في براءته.. لكنه هو الذي سينفّذ به بعد لحظات بمرح طفولي وبآلية مريحة بعد أن سمع الاسم البديل له.. كان لطيفا معه حتى بطريقة نطقه النظيفة، تعامل معه باسترخاء تام وبوجه باسم بريء، الولد أجاد النطق:

- عامر!؟

الشاب الأعور اللطيف تحسس قرعته بعد أن أخبره الرجل عن اسم "عامر" وتلك طريقته في التفكّر، فقد كانت لديه دراية كاملة بلعبة الأسماء ووجهتها وما تخفيه تحت لحائها.. الخطأ الوحيد الذي وقع به الأعور الكريم هو إنه نسيَ أن يسأله عن عشيرته.. قال الرجل الهدف:

- اسمي عامر.. عامر موسى يوسف....ففف أنا .....لالا. دقيقة بس..

- كلب بن كلب .. نجس.. أسكت والاّ .....أنا أعرفك .

رسالة فضائية أخيرة

إلى: alzaydikh@yahoo.com

من: noora -1994@yahoo.com

صباح الخير:

أتمنى من قلبي أن تكون بخير دائم وصباحاتك كلها ابداع.. هل تعلم أنك خفّفت عني حملا كبيرا؟ تبدد الجبل الأصم من فوق صدري وأنا أبوح لك بأسرار ظلت حبيسة في صدري لفترة طويلة.. أشعر وأنا أكتب لك هذه الرسائل القصيرة، أني قد أزحت بعضا من هموم تلتف كأفعى ضخمة على رقبتي وتخنقني..

بعدما عدت إلى البيت توالت الأيام اللاحقة ثقيلة ومملّة ليس فيها من جديد .. في يوم خميس دامٍ كعادة الأيام الدامية فوجئت بمكالمة هاتفية من رقم دولي.. توقعّت أن سامر قلق عليّ لشدة انفجارات ذلك النهار وتلك الليلة الدامية، لكني فوجئت ايضا أنه صوت رجل آخر.. صوت لرجل يتكلم بتهذيب عالٍ ويختار كلماته بدقة وعذوبة، قال:

- مرحبا عزيزتي.. أنا أسامة الكبيسي.. أرجوك أن لا تغلقي المكالمة قبل أن انهي حديثي.. أعتقد تكرر اسمي عليك لأكثر من مرة خصوصا في الأيام الأخيرة.. سأكون واضحا معك جدا.. أنا تقدمت لخطبتك من دون مقدمات.. ربما كانت هذه طريقة تقليدية.. لكن كما تعرفين فالواقع العراقي لا يسمح باللقاءات والتعارف، مثلما يحدث في كل بلدان العالم.. نورا بصراحة إذا كنت ترفضينني كزوج أرجوك اخبريني الآن وقبل قطع الاتصال.. صحيح إنك لا تعرفينني جيدا ولكني أعرف كل شيء عنك..

- ماذا تعرف عني أخ أسامة؟؟

- كل شيء.. حتى علاقتك بسامر وكيف تخلّى عنك في ظروف كنت بحاجة له. أكرر عليك طلبي أنا رجل عملي لا يعرف الالتفاف والدوران وأذهب لهدفي مباشرة.. بصراحة أنا مستعد لتصحيح حتى الاخطاء التي ارتكبها سامر في ظروف غير طبيعية..

- ماذا؟؟ .....أفهم من كلامك أنك التقيت به؟

- نعم ولأكثر من مرة عندما كنت في عمان.. تحدث لي كثيرا عنك.. قال لي بالحرف الواحد .." أنا حزين عليها، ليس بوسعي عمل أي شيء لها في الوقت الحاضر".. وأخبرك أيضا أنه يعرف بنية الزواج منك وموافق عليها كذلك.

- أفهم أنه تخلى عني؟ أين هو الآن؟ لماذا لايكلمني؟

- تقريبا هو محرج منك.. عليك أن تفهمي ما لايقال.. أنا يا نورا وبصراحة جاهز لكل شيء.. فقط تعطيني الموافقة المبدئية لأعمل لك ما يسعدك.. بالطبع هذا ليس كلاما معسولا بين عشاق ويتبخر مع أول انفجار.. إنما هو كلام لرجل عملي مثلي.. أعمل في شركة ذات سمعة طيبة في الأوساط التجارية، ممثلا مفاوض لشركة عالمية كبرى. أتنقل بين عمان ودبي.. وضعي المادي يؤهلني للزواج منك بيسر وسهولة بعد موافقتك طبعا ..

- طيب انتظرني سأخبرك بعد اتخاذ القرار النهائي..

- متى؟؟

- بعد أيام قليلة..

- على هذا الرقم بعد تغيير المفتاح الدولي.

انتهت المكالمة الصادمة لي.. وفي المكالمة اللاحقة معه أخبرته بموافقتي، مكالمة تقطعت لأكثر من مرة.. دارت حركة الزمن بسرعة دوران الأحداث الدامية هنا .. فرحت أمي، حتى أبي الحزين بدت على وجهه ابتسامة خفيفة فيها نوع من الاطمئنان على مستقبل بائس لي..

هي أيام قليلة اتخذت فيها القرارالصعب بعد أن قطعت الأمل من سامر نهائيا .. سافرت الى الأردن مع أخي الصغير ك"مُحرم" مثلما تقتضيه القوانين العراقية استعدادا للزواج، الخطوة مجهولة تماما وأنا خائفة من الرجل.. تمثّل لي الأمر مثل الخوض في غمار أرض زُرعت بألغام من أصناف شتّى.. ثم عاد أخي الصغير بعد أيام سلّمني إلى أسامة كبضاعة مصدّرة من المنشأ .. عاد أخي الصغير بعدما اطمأن على وجودي الجديد مع زوج المستقبل..

في تلك اللحظات العصيبة هل كان يحق لي أن أكره نفسي وأقرّعها، هل أجلد ذاتي على ما فعلته سابقا أو لاحقا؟؟ سيدي لا تلمني فأنا كنت محبطة ومتخبطة في اتخاذ القرارات الصعبة ولا أحد يتفّهم وضعي..

سكنت في شقة منفردة ومجاورة لشقته بادئ الأمر قبل ترتيب ليلة الدخلة.. شقة مهيئة لهذا الغرض.. وبعد ثلاثة أيام خرجنا للتسوّق من وسط البلد في عمان استعدادا للزواج.. ثم أخذنا استراحة بطلب مني بعد مشوار التسوّق في منطقة جبل عمان.. جلسنا في كوفي شوب "سنتر لايف" حتى جاءت مكالمة هاتفية لأسامة.. قال لي:

- سأقدم لك بعد قليل مفاجأة عظيمة نورا.. كنت أتصور أنه سيقدم لي هدية ثمينة أو ماشابه ذلك.. تفضلي اسمعي..

نعم هذا صوت سامر، قفز قلبي من مكانه وتعثّرت كلماتي ورجفت شفتي السفلى وانتصب زغب يدي.. إنها قشعريرة فقدتها منذ أيام جسر النوارس.. لا أعرف ما أقول.. أأفرح أم أحزن؟ لا أدري.. المهم التقيته بعد نصف ساعة وبحضور أسامة خطيبي..

سيدي الكريم:

باختصار سامر لم يكن سامر الذي أعرفه في بغداد.. سامر جسر النوارس وجلسات الخلوة في غرف المنظمة ومكالمات آخر الليل.. كان بارد الأعصاب خاليا من كل مشاعر اتجاهي.. ينتقي الكلمات بحذر.. وتعامله برسمية مصطنعة أدير نظراتي بينه وبين أسامة لئلا أسبب حرجا لكليهما..

بعد السؤال والنظرات المختلسة ولحظات الحرج المقيتة.. راح يتحدث سامر بكل برود عما جرى له في آخر أيامه في بغداد قبل هروبه المفاجئ. قال:

- بغداد فرضت واقعا ثقيلا علينا.. أن نرضى بمصائرنا يا نورا.. المهم أني لم أتخلَ عنك مطلقا.. والدليل أني وبصراحة كنت مع أسامة أخطط لمساعدتك وانتشالك طبعا من بغداد.. أدين بحياتي لهذا الرجل الذي لا يتكرر مطلقا في داخل العراق.. هنا خارج حدود الوطن تمحى الطوائف وتنتهي لعبة الاتجاهين المتعاكسين وتعود الناس الى سابق عهدها.. وجدت أسامة أقرب من أبي وأمي وأخوتي.. تبرع الرجل وبكل صفات الشيمة العراقية القديمة أن ينقذني وينقذك مما نحن فيه بعد أن فتحت له قلبي وحدثته عن حكايتي معك.. بصراحة متناهية عليك تحمّل الصدمة.. اسامة هذا رجل متزوج.. قام من أجلي بتلفيق هذه الزيجة التمثيلية المؤقتة والفكرة الجهنمية هي فكرته.. بعد أيام قليلة

سيفسخ عقد الزواج القائم بينكما وتعودين لأهلك.. وحسب المخطط المرسوم ستخبرينهم أنه متزوج من اثنتين قبلك وهو رجل لا يطاق وأنك طلبت الطلاق منه.. وستمهّدين الطريق منذ الآن بالهاتف لأهلك.. تصوري حتى المرأة التي أدّعت خالته دفع لها 500 دولار من حسابه لتمثيل الدور.. طبعا أسامة ليس غريبا عني.. هو أخو خالد الذي كان يعمل معنا في المنظمة.. هو الذي احتضنني في الغربة المفروضه عليّ.. عندما تقطّعت بي السبل في بغداد .. هو أول الناس الذين التقيتهم في عمان.. وهو الآن مقيم بين دبي وعمان، ويعمل لحساب شركة صينية للمكائن والمعدات الثقيلة.. عشت معه في الشقة نفسها التي يقطنها في جبل الحسين. في بغداد وفي الأيام العشرة الأخيرة.. كنت بين أضراس الموت متشبثا بشعرة الحياة ومن أجلك فقط.. كنت مراقبا مراقبة مرعبة.. تبدأ دورة المراقبة من أول لحظة أخرج فيها من البيت صباحا، فأجد أحدهم ينتظرني ليودعني في المساء على عتبة منزلي في شارع فلسطين.. حتى انتهت الأمور برسالة ملفوفة بمظروف وبإطلاقة يتيمة داخله.. خيّرني القاتل بين حياتي أو ترك المنظمة العميلة.. اعتبروني جاسوسا وعميلا للأجنبي.. تصوري!! سينزلون القصاص بي إن لم أترك عمل الجاسوسية هذا.. أية جاسوية هذه؟ كما تعلمين غايتنا في المنظمة إنقاذ آخر اليهود المساكين من الموت الذي يطوق رقابهم في الشوارع البغدادية.. لم يكن من طريق أمامي سوى الهروب بجلدي.. لم أستطع اخبارك حسب وصية المراقب صاحب المظروف..

منذ الآن أنا وأسامة نخطط لأصطياد الرجل الذي خطط لاغتيالي وهجرّني من بغداد وكبّلني بتلك العذابات.. لقد عرفته تماما .. لكن المصيبة تكمن في موافقتك على فكرة الزواج من غيري.. اخبرت

أسامة لأكثر من مرة بأن الفكرة ستفشل وينهار المخطط.. نورا أعرفها وأعرف مدى حبها لي..

أنت بصراحة بعت الحب بيننا وبكل سهولة بالموافقة وهذا الاختبار لك هو الأخير.. أخبرت أسامة بحبك الجارف لي.. قلت له أن الخطة ستفشل، لأن نورا لا تقبل الاقتران بغيري.. بصراحة أنا الآن تحوّلت الى رجل واقعي.. تقع على مسؤوليتي تصفية الرجل الذي سبب كل ما حصل لي من هجرة وغربة وخوف.. لا أقبل لنفسي الزواج من بنت تتخلّى عني بسهولة.. الواجب الاخلاقي أن أخلّصك من محنة الخطأ الذي وقعنا به نحن الاثنان في عمان.. ها أنا أفي بوعدي حتى لا أكون نذلا وخائنا أمامك.. وأنقذك من هذا الحرج.. بعد أيام ستكونين حرة وانت ترجعين الى أهلك معززة مكرّمة. أما أسامة صديقي العزيز هذا سيغادر إلى دبي بعد إتمام الطلاق وتصديقه في القنصلية العراقية.. بعد فترة سأعود الى بغداد لتصفية حسابي مع الشخص الذي كان يراقبني وأراد النيل مني..

لم أستطع تحمل كل تلك الإهانات الموجهة لي أمام زوج مفترض وحبيب أفنيت عمري للوفاء له.. صرخت بوجه، ثم بكيت ولطمت على وجهي.. لا أستطيع أن أخبرك بكل ما دار بيننا فالخجل منك يمنعني.. والمشاعر العنيفة التي رافقتني أثناء تواجدي في جلسة الكوفي شوب خصوصا بعد صدمتي بسامر الذي أطاح بكل شيء.. أترك لك تصور اللحظات الصادمة لبنت غريبة ووحيدة بين رجلين خططا لقتل كل مشاعر نبيلة ونقية داخلها .. مثل ضبية صغيرة بين حيوانين مفترسين وجائعين..

انتهت الأمور بعودتي خائبة الى الديار بعد أيام، أجرجر الخطى المتعبة وأنا في حالة مأساوية رهيبة.. عدت إلى بغداد ولعائلتي وغرفتي

الكئيبة التي احتضنتني من جديد .. كل شيء في مكانه لم يتغير..على المنضدة التي أجلس أمامها ما زال القرد الأسود يخرج لسانه الأحمر لي. كأنه يهزء بي.. ياربي لكم كرهت الحياة سيدي الكريم..

سيطرت على كاهلي أفكار غريبة بعد العودة.. كيف يتحول سيل الحب الجارف الى سيل من أفكار سوداء انتقامية.. خصوصا بعد عودة سامر إلى بغداد ومكالمته الرسمية لي بالهاتف:

- مرحبا "أخت" نورا.. كيف أحوالك؟؟ الحمد للّه على سلامة الوصول. فقط حاولت الاطمئنان عليك. ستكون هذه للأسف آخر مكالمة بيننا.. لأثبت لك نيتي الصادقة في الوفاء والالتزام الأخلاقي.. اتمنى لك حياة سعيدة.. في أمان اللّه..

في تلك الأثناء خرج من السجن أبن عمي بكر.. فقد كان محجوزا (حجزا احتياطا) لدى الشرطة الاتحادية، حتى تنتهي المناسبة الدينية المليونية.. هو اعتاد على هذا الحجز في كل مناسبة. زارنا الى بيتنا، اطلع على أحوالي وشاهد علامات الذبول والحزن على وجهي.. بعد العودة من زواج فاشل لم يصمد سوى أيام في الأردن.. سألني عن سامر ،للأسف لم تتملكني هذه المرة مشاعر الخوف عليه.. أخبرته أنه عاد من سفر مؤقت وهو موجود في بغداد حاليا..

- لماذا تسأل عنه؟سألته..

- لدي حساب طويل معه..

لا تحقد عليّ سيدي الكريم.. أنا مطعونة بخنجر معقوف وبالخاصرة ومن الشخص الذي سلمته زهرة شبابي.. تصرفاته في عمان وبتلك الطريقة النجسة، أفقدتني صوابي.. أنا حاقدة الآن على

كل رجل.. الكل يخون بسرعة البرق.. ماذا تريدني أن أفعل؟ وقد قتلوا جماعة سامر من المسلحين أخي وابن عمي بل الكثير من الناس الأبرياء؟ يبدو أن الحب في بغداد مجرد لعبة قذرة لا تصلح إلا لتداول الأطفال ليلهو بها .. تذكرت قهقهات عزران خلفي فوق جسر الشهداء.. يبدو أنه كان يضحك على علاقة الحب الوليدة آنذاك.. قلت لبكر:

- دعه يعيش.. ليرى العذاب بعينه..

- طيب..سأبدأ بتصفية المقربين منه. واحدا تلو الآخر.. سأبدأ بعائلته.. لدي خمس عبوات لاصقة خصصّتها منذ هذه اللحظة له..

- طيب وافني بالأخبار اولا بأول.. كن حذرا يا بكر ولا تتهور.

سيدي الكريم: ليس لي ما أقوله بعدما قلت كل الكلام.. لا حياة لي بعد اليوم سوى الانتقام..

أتمنى أن لا تحقد عليّ.

وداعا..

نورا

-26-

موت بقرصة ذبابة

عشتُ في بغداد متخفّيا في السنين الأخيرة فبغداد مدينتي التي تكرهني وأحبها .. كلما زادت في بغضي زدّت في حبها .. عشتُ متخفيا باسم "عامر موسى يوسف"، ومع اشتداد التحديق في الوجوه من قبل السيطرات الأمنية الكثيرة المنتشرة في كل الشوارع.. سيطرة ثم سيطرة حتى أصل الى مبتغاي.. وتفتيش ثم تفتيش حتى أصل الى خط نهايتي الذي وصلته الآن..

آخر المفارقات الغريبة عشتها باسمين وربما سأموت موحّدا تحت اسم واحد .. لم تنفع الأسماء الحقيقية ولا الوهمية بعد .. ومع التفتيش العشوائي في الشوارع والمناطق السكنية في الكرخ كما في الرصافة قال لي شرطي السيطرة:

- هويتك أخي..
- تفضّل..
- وين رايح.. منين جاي
- رايح على باب الله..
- من يا عشيرة؟؟؟؟
- ..... بغدادي
- والنعم..بس من أي عشيرة؟
- .....
- كرخي... من الكرخ من النزيزة ..

عينا شرطي السيطرة الأخيرة تتفرّسان بتفاصيل الهوية الممزقة.. وتتجّه الى خانة الاسم والعشيرة ثم تُقلب الهوية على قفاها لمعرفة الديانة..... التولّد ..... اسم الأم..... ثم يسلم الهوية ويهز رأسه معلنا إشارة المرور على مضض غير مقتنع بتفاصيلي المهلهلة..

لدي احساس يطغى على حياتي بأني سأموت ميتة تاريخية، ربما سيحسدني عليها طه ترتيب:

- لا .. لا .. بالعكس خوش موتة ألف بالعافية عليه..

- أين أنت طه ترتيب الآن؟؟ أين الأخرس هاته معك.. ربما يستطيع التعبير أكثر مني..

اريد ميتة أكشطّ فيها الهموم والقلق المتراكمين برمشة عين وارتاح إلى الأبد ..اللله الواحد في لحظة الموت يكون خفيف الوزن كريشة طير، خفيف كالخارج من حمّام سوق ساخن في يوم شتوي مشمس ودافئ.. يتعرّق رغم البرد وتصطك أسنانه وترتجف ساقيه وتنزل بولته دون سيطرة تذكر.

أنا مستعد للموت.. بشرط أن يكون مثل قرصة ذبابة راقصة داعرة أو مثل قرصة بعوضة ثملة بدم رجل مخمور ومدمن، وليس مثل زرق انبولة في العضلة الخلفية كما أخبرني صديقي طه ترتيب بأنواع الميتات المحتملة في الشوارع هذه الأيام.. أين أنت صديقي ترتيب.. ربما مت قبلي وقد أخلّيت بالاتفاق المبرم بيننا ..

الأقرع وصاحبه يتهيأن للتنفيذ الآن، كان بودي الكلام معهما .. القليل من الدردشة.. من الثرثرة ستخفف عني اعباء تلك اللحظة.

أتذكّر الآن فقط الإطلاقة الوحيدة التي كانت متجّهة بسرعة فائقة نحو مقدمة رأسي المصفّح.. شاهدت المسدس الطويل جدا بماسورته الملولبة السوداء، قد شُدّت لتزيد من طوله وتكتم صوت رعبه. يخرجه الفتى العشريني الأعور من كيس نايلون في جنب الدراجة، ربما كان مسدسا كاتما ذاك الذي سمعت به كثيرا في هذه الأيام من الفضائيات.. من دون أن يكبّر أو يقطع دندنته في أغنيته السوقية تلك..

بعد انطلاق صوت المسدس زمّ على شفتيه بقوة وتمتم بصوت خفيض، حاولت التماسك لكني هويت.. حتى إن الكلب الأملح الذي سقطتُ بقربه فزّ لسقوطي.. صحيح أن الميتة حدثت في شارع خلفي

وقرب مزبلة، استطيع تقيم ميتي هذه.. فقد كانت بخمسة نجوم تماما .. في البدء تمددّت بهدوء مطلق بقربه، وسادتي كانت حافة لرصيف مثلوم لرأسي، وجسمي الناحل ممدد الى أفق الشارع، لم أستطع من فرش حتى جريدة تحت ملابسي، غير أن الشارع كان ملحوسا بلسان ذلك الكلب الأملح.. تمدّدت براحة رجل يتمدد ما بعد ساعات عمل مهلك، فحياتي كانت عملا شاقا ومجهدا، ومن السخف أن يكون الموت مريحا فيما الحياة تكون مزعجة وشاقة.. أهذه نهايتي؟؟؟ قرب قمامة وبجوار كلب أملح عراقي نحيف.. ضلوعه ناتئة وذيله معقوف الى الأعلى يرتجف.. لاحقا سيسجل الموظف بسجله "أن الحادث الشائن وقع بمنطقة الرحمانية في الكرخ قرب أفران البركة للمعجنات مقابل مقهى عباس مخلوف" ..

هذه ميتة اطلق عليها الأمريكان هنا ب"ميتة نظيفة" .. جثتي بقيت كاملة غير محترقة أو ممزقة، أحافظ بها على ارتداء بنطالي الأسود هذا وT شيرتي الأبيض وملابسي الداخلية البيضاء النظيفة.. كنت مدركا لخطورة الموقف بعد توقف برنامج الاستشعار، كانت ساعتها حركة الناس في الشوارع قليلة المتبقون منهم في الشوارع يسيرون متلفتين بجنب الحيطان.

لا يهم فأنا مرتاح من إزالة وجلي الهموم والقلق والخوف.. أحيانا يقدم القاتل لك خدمة العمر دون أن يدرك فعله، خدمة لا يقدمها لك أي قريب مهما كانت درجة قرابته منك.. في الأقل تخلصت من القلق الذي واكبني طوال حياتي.. كنت مستمتعا بالنظر الى الكلب الأملح الذي كان مشغولا في محاولته بالقفز على ظهر كلبة سوداء ضالة لقضاء حاجته منها .. هذا الأملح يشبهني، ذكّرني بي.. لكنه في كشف عورته تبيّن أنه مخصي مثلي.. الأملح يشتهي ممارسة سريعة تحت أكوام القمامة من كلبة في موسم إخصابها، ينتهي به الأمر بالعواء المُذل فقط، ثم النزول من لحظة الارتقاء الفاشلة.. كان يتعرّق من عقدتي الخجل والفشل معا .. حاول الانتصار لذكورته، حتى اصطدم بحاجز الخصية

المثقوبة.. من المؤكد أن مجموعة صبيان حي الرحمانية استأنسوا بإخصائه عندما كان جروا ضالا، عبثوا بذكورته وتركوه للعواء فقط من دون العض أو الارتقاء فراح يعض نفسه مثلي.. لو كان يفك لغتي ويصغي إليّ لقدمت له مجموعة النصائح المجانية عن أيام الاخصاء الرهيبة..

تأخر كثيرا برنامج الاستشعار في رنّته المعتادة.. الهاتف يغفو في جيبي غفوة طويلة.. لم يطلق رنّته ساعة اقتراب الأعور وصاحبه.. ربما طوّوا عملهم التقني وحاولوا التشويش على البرنامج، أو ربما أبطلوا عمله ببرنامج آخر.. كل شيء جائز!

انطلقت الإطلاقة اليتيمة والوحيدة، وجاءت لترد التحيّة عليّ بطريقة خرساء خاطفة وخبيثة..كان بودي أن اسأل سائق الصرصور.. عن اسم المطرب وعن تاريخ هذه الأغنية التي تتطلق من مسجّل صوت دراجة الصرصور.. فزّ الكلب الأملح النحيف خجلا من عملته السوداء هذه، وراح يداري خيبته بنبش القمامة بخطمه المبّقع، نفض خطمه من بقايا عظم ساعد طويل، ليحدّق بي.. أراه معاتبا وعينيه تطيل التحديق بي:

- "أهذا هو استحقاقك من الحياة؟.. أما تستحق أكثر من إطلاقه وحيدة يتيمة فقط؟ واحدة فقط أما تخجل.. والله عيب عليك!؟"

- ربما تكون أنت أفضل مني بنظرهم رغم نجاستك.. قلت له ولم يسمعني..

استحييت كثيرا من الكلب وأشحتُ بوجهي للناحية الأخرى مداريا خجلي لأكمل عملية موتي.. وأنا أنصت لدقات قلبي المتصاعدة وأنفاسي المتقطعة وانتفاخ رأسي.. كان بودي أن أقول له مثلا: " نعم سمعتُ طقّطقة سحب الأقسام وقرصة الزناد وضربة إبرة لسان المسدس، لكني كنت معتمدا اعتمادا كليا على رنّة الخطر استشعار الكلاكسي.. صحيح أن صوت الإطلاقة كان ناعما سلسا.. على عكس ما تعرضه أفلام اليوتيوب من ميتات الشوارع المرعبة، ولا حتى الأفلام العالمية اقصد

بأفلام الحروب الكونية.. يقولون الشخص الميّت لا يدرك ما يحدث، تبيّن أن الأمر غير حقيقي بالمرة، إنه كذب شائع.. قالوا " في الموت يفقد الإنسان ذاكرته" ..كله كذب بكذب، أتذكر جيدا أن الكلب لم يقم بلحس دمي الذي سال من زاوية فمي القريبة من الرصيف..لكنه تشممه بشغف وريبة..

❖

دخلتُ رسميا في سجل الموتى لجمهورية العراق الحالية باسمي القديم " أليس رغيد خزام " دخلتُ في سجل دائرة الطب العدلي - دائرة صحة بغداد- شعبة الجثث المجهولة في دائرة الطب العدلي.. كتبَ المضمّد المُعين في سجل سميك عليه شعار الجمهورية بنسره الأسود، واستنادا الى اسمي الحقيقي في هوية الأحوال المدنية الحقيقية التي أخفيتها طوال الفترة الماضية في جيب مخصوص داخل جُب لباسي الداخلي، حيث تمّ نقلي الى شعبة المغدورين بعد التقاط هويتي والتعرّف المُحكم على جثتي وتصويرها عدة صور.. صورتان جانبيتان وثالثة أمامية وثمة رابعة ملحقة للعلامات الفارقة، ثم تُدجّن مجموعة الصور داخل الحاسوب المركزي، وتُبَث الصور في المعرض اليومي للجثث المغدورة في الساعة التاسعة والنصف من صباح كل يوم عدا أيام العطل الرسمية على شاشات العرض في صالة الانتظار الكبرى.. ثم أُرسلت نسخة من شهادة الوفاة الى وزارة التجارة لشطبي وتنزيلي من قيد الحصة التموينية الشحيح.. مع العلم أني غير مشمول بها أصلا.. أخيرا سجّل ملحوظته الأخيرة في أقصى اليسار من السجل.. "مات على نفقته الخاصة".. مات ولم تستطع "منظمة إخوان" من انتشاله أو الاقتراب منه، إذ كانت المسافة بينهما بعيدة.. بعيدة جدا..

❖ ❖ ❖

(رسالة فضائية ختامية)

بعدما أنجزتُ كتابة مخطوطة هذه الرواية المصوّرة تحت ظروف قاسية جدا في بغداد، وبعدما أكملت نورا رسائلها الي.. ما بين عامي 2013- 2014.. كنتُ حينها سعيدا بهذا المنجز رغم فضاء التعاسة الوطني الذي يخيّم فوق رأسي، انشغلت فيما تبقى من نهاية العام بمتابعة الكوارث غير الطبيعية التي تحيط بي وأرشفتها واحدة تلو أخرى..

في الأيام الأخيرة التي دفعتُ بها هذه الرواية الى إحدى دور الطباعة والنشر العربية، ومن الأحداث الغريبة التي خيّمت على بغداد.. تبدأ ببزوغ ظاهرة عزران في سماء بغداد وهجرة الناس منها للتخلّص من شبحه في القبض على أرواح الناس المسجلين في قوائمه وزجّهم في موت المفخخات.. حيث أدرجت بعض الصحف قوائم طويلة بأسماء المؤجلين أو الذين في قائمة الانتظار.. كنت شغوفا بتدوين كل تقوّلات ومرويات الناس في المناطق الشعبية ومن كلا الطرفين عنه. ولا أحد لغاية الساعة يستطيع نفيه بالوثائق أو إثبات العكس.. كذلك دونت حادثة الطيور منزوعة الريش جراء عصف المفخخات والعبوات اللئيمة..

بعد مفاوضات مضنية ومارثونية مع وكيل الدار المعتمد للتفاوض عبر التراسل غير البريء، حدثت المفاجأة بوصول آخر رسالة عبر الإيميل الى صندوق بريدي الإلكتروني.. رسالة تفحُّ من حروفها المتكلّسة رائحة حزن معتّق ومكتوم.. في طيات عباراتها المرتبكة ثمة خوف مدفون، كانت الرسالة محرّرة بخط (Arial) عبر بريد الكتروني من الyahoo.. مرسلتها معرّفة لديّ في صندوقي الوارد باسم noora-1994.. نورا هي بطلة هذه الرواية طبعا.. حكايتها التي أصبحت خميرة معتّقة لعقدة هذه

الرواية، نشرتها مجلة نوارس البغدادية في حلقات.. استطعت بمساعدة سكرتير التحرير من الوصول للمرسلة قبيل هروبه إلى الأردن، أقصدُ البنت التي سلمتني المجلة عنوانها الالكتروني للظفر بعشر رسائل منها عن مجريات ما حدث لها بالضبط.. كذلك كان فحوى الرسالة الأخيرة ينم عن خوف وارتباك بالإضافة إلى الحزن المكتوم، أعتقد أن سبب هذا الخوف في محاولتها كشف الأسرار الدفينة لي دفعة واحدة.. تقول رسالتها الأخيرة:

إلى alzaydikh@yahoo.com

من noora -1994@yahoo.com

الأستاذ الروائي خضير فليح الزيدي المحترم :

تحية طيبة:

قرأت بإمعان شديد فصولَ روايتك "أطلس عزران البغدادي" التي بعثت لي مسودة فصولها عبر الإيميل.. ثم بعثت لك بعشر رسائل على بريدك الإلكتروني، أخبرتني بوصولها اليك واطلاعك على فحواها وشجعّتني على المواصلة بالرسائل.. رويتُ لك من خلالها ما حدث لي بالضبط.. وجدتُ رسائلي وقد تحوّلت الى خريطة منقوشة على لحاء ساق شجرة وحيدة عملاقة وناجية من لهب النار.. شجرة يتأملها عشاق الأرض المحروقة بخشوع ودهشة ويحفرون ذكريات أحزانهم على ساقها الضخم..

حقيقة بودي أن أكشف لك سرا أعبّر من خلاله عن إعجابي العظيم بروايتك هذه وبشخوصها القلقة ومصائرهم المخيفة ومصيري أنا من بينهم.. لقد أدمعتْ عيني لأكثر من مرة على حياتي الخاصة المنقوشة على صفحات الرواية، لم أتوقع يوما أن ما مرّ بي سيكون محض رواية تُقرأ.. إن كان من يقرأ بعد روايات هنا في بغداد، سيما أن

الحياة العراقية أكبر بكثير من أن تلمّ أطرافها رواية ما، فواقع الحياة هنا مصوّر بألوان طبيعية فائقة النقاوة، لهو أبلغ عندي بكثير من كل رواياتها .. لكن تصوير الشخوص وكأنهم معلقون بين السماء والأرض بهذه الكيفية يشفع لروايتك تلك سيدي، فقط أرجو منك إخفاء الأسطر الأخيرة من رسالتي الفضائية الأخيرة التي تتحدث عن تحريضي لبكر ، حتى لا أتهم بالمادة (4 ارهاب)..

فيما يتعلق الأمر سيدي بعلاقة الحب التي خضتُ غمارها مع سامر أبان فترة عملي ب"منظمة إخوان" في أعوام الحرب الأهلية الشرسة.. فقد وجدتك ناطقا رسميا بما حدث لنا يوميا في شوارع بغداد تحت نير الضغط النفسي الثقيل.. تُرى هل تستطيع البنت أن تعيش حياة عادية وسط فضاء هذه الحرب؟ هل يحق لي أن أعشق وأحب بشكل طبيعي في تلك الأعوام؟ لا أعرف.. بقيت أشكُ بكثير من الأمور الآن بعد أن آلت الأمور الى هذا المآل المخيف.. ف"العشق جريمة حاسب ويحاسب عليها القانون الملثم لجماعات السلاح ومن قبل سيّد الجميع - سيف الحياة العراقية - الذي قلت عنه أنت في روايتك "أنه عزران الذي يحرك خيوط لعبة الحياة القتالية الخطرة ويجعلها متأرجحة بتلك الطريقة" .. من السخف والعيب والجبن أن لا تدافع عن نفسك وتحمل السلاح بل وتقاتل من يقاتلك.. حتى نبتة الورد تحمي نفسها بالأشواك.. الحيوات والكائنات الصغيرة جعلت لنفسها نظام حماية خاص بها .. بؤس حقيقي سيدي إن لم يدافع الانسان عن نفسه.. غدت بغداد لا مكان فيها لتدفق المشاعر الانسانية البريئة أكثر من الحد المرسوم لها ..

غالبا ما أخاف كثيرا من مصطلح "الهدوء النسبي" للأوضاع الأمنية الدائرة في بغداد كما تعبّر عنه وسائل الإعلام.. بل أكره نفسي بقدر كرهي لدم أسناني، هذا المصطلح أعتبره مفتاحا لقفل مفخخ للكوارث المتتالية.. لما ينتظرنا من فواجع مزدوجة النهاية ومتسلسلة كمسبحة

شيخ بريء يتهدج بالسر..

سيدي.. أن تحسّن الوضع الأمني هنا يعني حرفيا أنه نذير شؤم لما هو قادم من أيام سود تنتظرنا على الطرقات مثلما أصابك نذير الشؤم من رماد يوم 11/5 الخريفي يوم طارت حمامات الفضل من دون ريش وحطّت فوق هامة عمارة الضمان ثم حلّقت بقدرته ولم تنزل على سطوح حي الفضل الواطئة. إنها مصيبتنا السوداء التي تلفّنا تحت خيمتها.. فالموت كما ذكرتَ في روايتك "إنه لعبة كرة قدم مصنوعة من حديد صلب تتقاذفها أقدام عارية لمسلحين حفاة، فتُصيب من تصيب ..

أود أن أقول لك أيضا على أن يبقى الأمر في السر بيننا.. إن ما ورد في روايتك كان مُعبّرا ووافيا عن تلك العلاقة.. لقد عشت لحظة صدق متناهية في الرسائل التي بعثتها لشخصك لأفرّج عن أحزاني المتراكمة.. كما أتمنى منك أستاذي الكريم بتغيير اسمي واسم سامر في الرواية.. هو مطلب أجده ضروريا، إني خائفة جدا من تداول الألسن ولوك حكايتي معه لأتحول إلى "نورا العامرية" بطلة رواية أو ضحية هذا العصر بعد أن تضع الحرب أوزارها وتندمل جروحها، حتى لا أتحول الى بديل خرافي لحكاية "ليلى العامرية" وهي تبحث في دروب بغداد التي تصطبغ بالوحشة عن مجنون عصرها.. سأكون شاكرة لك هذا الفضل في التعتيم على الأسماء الحقيقية..

تقبّل فائق تحياتي .....

النورس الحزين

نورا المسكينة

والله أنا المسكين عزيزتي نورا المسكينة.. ماذا أفعل الآن؟؟ ورسالتك جاءت متأخرة.. الرواية دفعتها للطبع بصيغتها النهائية بعد اكتمال جميع تصحيحات الأخطاء النحوية والاسلوبية ومسارات الأحرف الناقصة والمدغمة سهوا أو تلك القافزة في الهواء أو المعلّقة منها في دوامة بين مظلمة من حاسوبي ذلك الشيطان غير الرجيم.. أنا سعيد

بمنجزي هذا وبتلاوة أحزانك التي كنت أتمضّغ بها لإكمال روايتي وتلك هي عادتنا نحن كتاب الرواية.. أخبرني السيد الناشر أنه لا يستطيع تغيير أي حرف منها مطلقا .. ف "الرواية تشوى على النار الآن وسوف تستوي بعد أيام قلائل حسب تعبيره" .

هذا من حقه طبعا، ففي النسخة الأخيرة التي بعثتها للناشر أوعزتُ له بالتمام.. أرسلتُ له النسخة النهائية بطريقة ال"BDF" مرفقة مع جدول الأخطاء والتصحيحات حسب الصفحات المرقّمة.. وبعدما وافقت نصيا على صورة الغلاف الأول والأخير للرواية المرسل لي موشّحا بصورتي، لم أخبره عن قضية احتمال تغيير اسمي بطلبي الرواية خوفا من الإحراج الكبير لهما، ذلك لأن الرواية نهجَت مسارا منقّوعا بتركيز عالٍ ب"حامض الواقعية العراقية" المحض.. عليه سأتحمل جميع التبعات القانونية لهذا الأمر.. أقصد هنا بحامضية الواقع وما نتذوقه كجرعات مميتة / مضحكة لصور مركبّة ومذهلة عن أسرار مأساوية منسية تحولت الى محض فكاهة خالصة بيد عزران.. بصراحة أصبحت أخاف من ذكره حتى على الورق.. عزران هو السلطة السرية التي تتحكّم في سير الأحداث.. لا سلطة فوق سلطته، وبغض النظر لوجوده الفعلي من عدمه.. الكثير من الأشياء التي لا تُرى بالعين المجردة، لكن ثقل سطوتها أكبر من تصوراتنا المحدودة والبسيطة عن حجمها..

كل مأساة ترتقي الى قمتها بسهولة، وبعد بلوغ القمة تنحدر فورا إلى سفح الفكاهة.. إلى فاصل من ضحك متواصل، مثلما حدث لشخص مثلا أصيب في انفجار مفخخة في منطقة "بغداد الجديدة" وقد فقد ساقه اليمنى.. نهض من جديد دون أن يهمه بتر ساقه وراح يبحث عن هاتفه الكلاكسي الجديد "S4" بين أكوام السيقان والرؤوس والأيادي المبتورة المتحمّصة وبقايا أجزاء من سيارات محترقة، عثر عليه في آخر المطاف يرن بشكل متواصل.. وقد سمع في أثناء هذا الدوي قهقهات عزران.. كذلك كان يقهقه لحالات أخرى.. على سبيل المثال لا الحصر،

إنه ثمة شخص آخر منحدر من قمة المأساة إلى سفح الفكاهة في سجل حامض الواقعية.. راح يبحث عما تبقى من أجزاء ساعته اليدوية وما زال عقرب الثواني يهز برأسه.. وآخر تحسّس جسده بُعيد لحظة الانفجار وقد قذفه العصف إلى الرصيف الآخر، أغراه محبس من ذهب خالص ويراق وسط مشهد من الدخان وبقايا نار متّقدة، يلتمع المحبس بيد مقطوعة منفردة، حملَ اليد المقطوعة وأخفاها تحت ملابسه دون أن يخلع محبسها المتعسّر، دخلَ وخرج من هذا المشهد بأقصى سرعة.. آخر وقع صدفة في كمين سيطرة وهمية غرق في نوبة ضحك غير مسيطر عليه في وجه قاتله، تصورها بادئ ذي بدء "كاميرا خفية" والسكين على رقبته حتى لحظة الموت كان مستغرقا بالضحك وهو يموت بحامضية الواقع..

تلك كانت " لقطات لمشاهد متنوعة من فلم عراقي كتب قصته أحدهم وأصبح بطله عزران، ومحرك خيوط هذا الفلم" .. ينتهي الفلم من دون نهاية مريحة للمشاهدين.. من دون موت بطله، غير أن الناس في الشريط كانت تُكنس من الشوارع بمكنسة عملاقة.. لم يضحك ولم يبتسم، لكنه ففر فاهه لتتدحرج قداسة المأساة، حتى وصلت إلى هذا المنحدر الخطير في حوض من حامضية عراقية خالصة أنا أعيش في مستنقع حامضي آسن مثلما أخبرك الصحفي محمد رياض الوادي الذي هرب من مصيره المحتوم.. وبقيت وحدي هنا ارفل في قاع المستنقع مثل خلية فطريات دون روح أو حركة....

أقدم اعتذاري المُسبق للمتضررين من النشر داخل أزقة الرواية الضيقة.. فلا يمكن الا أن تكون هكذا.. أليس كذلك؟

المؤلف

❖ ❖ ❖

انتهت

خريف 2014

Baghdadi Izran Atlas

Images Novel

Khudair Flaih al-Zaidi

في أول الليل، كانوا جماعات من شمع، وعلى حافة صعود سلّم الحب تعثّروا.. ومع أول إشراقة للشمس هبطوا ذائبين أنساقا متشابهة.. موغلين فرحين، انهم اليوم يهزجون بحماس فوق سلّم الكراهية..

عزران

خضير فليح الزيدي